العرب (الثقافي)

إيران تحاصر مهرجان بيروت السينمائي

منع أفلام مهى الحاج والأخوين ملص ومحسن مخملباف

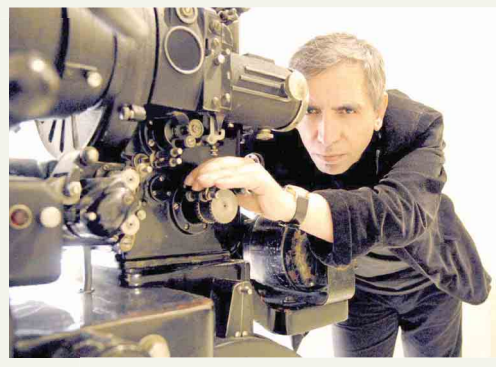

سركون بولص: القصيدة اللانهائية (مقال غير منشور)

أمير العمري: «يوم للستات» المعالجة أفسدت الفيلم

لطفية الدليمي: اختلال الثقافة ومفهوم المواطنة

علي حسن الفواز: دفاعاً عن الشعر والشعراء

سعيد خطيبي: عندما يصبح الكاتب سلعة

محمد حياوي: ازدواجية المحكي والمكتوب

ص 11 إلى 16 »

وجوه

محمد الذنيبات — ص 7 »
وزير أردني رصين لمدرسة المشاغبين

جاك أتالي — ص 8 »
العالم قد لا ينجو من الكارثة

محمد رمضان — ص 9 »
«أسطورة مصرية» متهم بنشر ثقافة البلطجة

محمد عمر خليل — ص 10 »
رسام المدينة الذي اخترع مدينته

العرب

alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/10/09 الموافق لـ 8 المحرم 1438

السنة 39 العدد 10419

Sunday 09/10/2016

39th Year, Issue 10419

تقارب نتائج الإسلاميين والأصالة والمعاصرة يعزز التوازن السياسي في المغرب

فاطمة الزهراء كريم الله

محمد بن امحمد العلوي

❏ الرباط – أفرزت الانتخابات التشريعية المغربية تقدما لحزب العدالة والتنمية، ولكنها دفعت بحزب الأصالة والمعاصرة إلى موقع ثان متقدم مما يعزز من حالة التوازن النسبية في المشهد السياسي المغربي.

وتمكّن الحزبان الرئيسيان من انتزاع حصص ملموسة من أحزاب أخرى في انتخابات جرت في أجواء هادئة بشكل ملحوظ.

وبحسب بيان لوزارة الداخلية المغربية، حصل حزب العدالة والتنمية على 98 مقعدا في الدوائر الانتخابية المحلية و27 مقعدا على اللائحة الانتخابية الوطنية، ومجموعها 125 مقعدا. وتلاه خصمه الرئيسي حزب الأصالة والمعاصرة الذي فاز بـ81 مقعدا محليا و21 مقعدا وطنيا (102).

وتضع النتائج حزب العدالة والتنمية، في وضعية صعبة للغاية بالنظر إلى التقارب في حجم المقاعد التي حصل عليها حزب الأصالة والمعاصرة، ثم حجم الفارق الكبير بين هذين الحزبين وباقي الأحزاب الأخرى التي تفوق الضعف بثلاث مرات.

وسيجد الحزب الإسلامي نفسه مجبرا على توسيع دائرة مشاوراته، وتقديم تنازلات لأحزاب صغيرة مقابل الاشتراك معه في تكوين الحكومة، فيما سيظل الأصالة والمعاصرة ناقدا لأسلوب الإسلاميين في إدارة الملفات ما يمثل عبئا مستمرا عليهم.

وليس مستبعدا تكرار نفس التجربة الحكومية السابقة في التحالفات بشكل فسيفسائي، إذ من المنتظر أن الجسم الحكومي سيضم أكثر من خمسة أحزاب وهو ما سيؤثر في عملية الانسجام الحكومي، هذا إذا ظلت الخطوط الحمراء التي وضعها كل حزب من الحزبين المتصدرين لنتائج الانتخابات تجاه بعضهما البعض.

واستبعد حزب العدالة والتنمية منذ الانتخابات المحلية والجهوية الماضية، أيّ تحالف أو تعاون مع حزب الأصالة والمعاصرة الذي بنى حملته على معارضة مشروع العدالة والتنمية الإسلامي، وبالتالي استبعاده لأيّ تحالف مستقبلي بين الحزبين.

هذا ويبقى أمام العدالة والتنمية المتصدر اللجوء إلى حلفائه في الحكومة السابقة ومن بينهم حزب الحركة الشعبية وحزب التقدم والاشتراكية بالإضافة إلى استبدال حزب الأحرار بحزب الاستقلال. هذا إذا لم يكن هناك توجه نحو إدخال حزب الاتحاد الدستوري إلى الأغلبية الحكومية.

الخصم الذي يستثمر أخطاء بن كيران

وقال عبدالإله سطي، الباحث في العلوم السياسية في تصريح لـ"العرب"، "أعتقد أن النتائج التي أسفرت عنها هذه الانتخابات، تتّجه بالمشهد السياسي المغربي نحو إفراز قطبية سياسية بين حزبي العدالة والتنمية وحزب الأصالة والمعاصرة".

وأضاف سطي أن هذه القطبية تقود نحو غياب مجموعة من الأحزاب التقليدية والعريقة في المغرب، كحزب الاتحاد الاشتراكي وحزب التقدم والاشتراكية وهي الأحزاب الخارجة من رحم الحركة الوطنية.

وقال حفيظ الزهري، الباحث في جامعة محمد الخامس بالرباط، لـ "العرب" إن "التحالف الحكومي المقبل لن يخرج عن الأحزاب التي شاركت في الحكومة السابقة بنسختيها وقد تتكوّن هذه الحكومة في أبعد تقدير من 5 أحزاب نظرا لتراجع حزب التقدم والاشتراكية حليف حزب العدالة والتنمية".

واعتبر الزّهري أن التحالف المقبل قد لا يخرج عن أحزاب الاستقلال والحركة الشعبية والتجمع الوطني للأحرار، وهي أغلبية مريحة قد تدعم بحزب التقدم والاشتراكية، فيما سيقود الأصالة والمعاصرة المعارضة مع الاتحاد الاشتراكي.

واعتبر سعيد الصديقي، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة العين بأبوظبي، في تصريح لـ"العرب" أن العدالة والتنمية سيواجه تحديا في التوفيق بين رغبته في تسيير عدد مهم من الوزارات، وبين ما يقتضيه التحالف من تنازل عن حقائب لصالح باقي الحلفاء.

● نتائج الانتخابات التشريعية تكرس القطبية السياسية في المغرب ص2

قتلى وجرحى في هجوم على عزاء والد وزير الداخلية الحوثي

صالح البيضاني

❏ صنعاء – تباينت المعلومات حول نتائج القصف الذي استهدف صالة عزاء في العاصمة صنعاء السبت.

يأتي هذا في وقت توقع فيه خبراء عسكريون ومحللون أن الهجوم سيزيد في توسيع مناخ عدم الثقة بين الفرقاء، خاصة أنه جاء بعد يوم واحد من مقتل اللواء عبدالرب الشدادي قائد المنطقة العسكرية الثالثة في الجيش الموالي للحكومة المعترف بها دوليا.

وقالت مصادر خاصة لـ"العرب" إن العشرات من القتلى والجرحى سقطوا جراء استهداف القاعة التي كان يتلقى فيها وزير الداخلية المعين من قبل الحوثيين العزاء في وفاة والده، بأسباب طبيعية الجمعة.

وبينما قالت مصادر إعلامية حوثية إن عدد القتلى والجرحى أكثر من 450، أشار العديد من المصادر إلى أن من بين القتلى قيادات كبيرة في حزب الرئيس عبدالله صالح والحوثيين، من بينهم أمين العاصمة عبدالقادر هلال الذي تحدثت الأنباء عن مقتله.

ويلف الغموض مصير وزير الداخلية الموالي للحوثيين اللواء جلال الرويشان وقائد قوات الاحتياط "الحرس الجمهوري" اللواء علي الجايفي والقيادي العسكري الحوثي الأبرز يوسف المداني وآخرين لم يتم الكشف عن هويتهم بعد.

وقال شهود ومسعفون إن طائرات تابعة للتحالف العربي الذي تقوده السعودية أطلقت صواريخ على مشاركين في عزاء والد وزير الداخلية في حكومة الحوثيين في اليمن السبت مما أسفر عن وقوع الكثير من القتلى والمصابين. وأضافوا أن صاروخا أطلق على قاعة في جنوب العاصمة صنعاء حيث كان يقام عزاء والد وزير الداخلية اللواء جلال الرويشان ما أدّى إلى تدمير القاعة.

وقال شهود إن الهجوم وقع بعد فترة وجيزة من بدء العزاء وشهد إطلاق صاروخين ضرب أحدهما المبنى وسقط الآخر في منطقة قريبة.

وتحدث الشهود عن نقل عدد كبير من الضحايا في سيارات إسعاف من موقع الهجوم حيث تصاعدت أعمدة الدخان.

فيما لم يصدر بيان عن قوات التحالف العربي الذي تقوده السعودية حول الحادثة في العاصمة اليمنية صنعاء، رغم اتهام محمد عبدالسلام الناطق الرسمي باسم الحوثيين في بيان على تويتر قوات التحالف بالوقوف وراء الهجوم.

وتحالف الرويشان مع الحوثيين المدعومين من إيران بعد مغادرة الرئيس عبدربه منصور هادي من اليمن مع تقدم الحوثيين صوب مقر إقامته في مدينة عدن بجنوب البلاد في مارس 2015. وترجح مصادر أن الهجوم على صالة العزاء جاء كرد فعل على مقتل أحد القيادات العسكرية البارزة في الجيش الموالي لعبدربه منصور هادي.

وكان الجيش الوطني اليمني فقد واحدا من أهم وأكبر قياداته العسكرية، حيث توفي قائد المنطقة العسكرية الثالثة اللواء عبدالرب الشدادي إثر قذيفة صاروخية استهدفته وهو يقود المعارك في جبهة صروح الاستراتيجية.

ووصف مراقبون سياسيون لـ"العرب" رحيل الشدادي بأنه خسارة فادحة للجيش الوطني، لما عرف عنه من الحنكة العسكرية التي تمكّن خلالها من إلحاق الهزيمة بالميليشيات الحوثية.

وقالت مصادر صحفية إن الرئيس عبدربه منصور هادي كلف اللواء عادل القميري بخلافة الشدادي في قيادة المنطقة العسكرية الثالثة التي تضم كلاً من محافظتي مأرب وشبوة.

واستبعد محللون عسكريون أن يؤثر رحيل الشدادي على سير المعارك والتقدم باتجاه العاصمة صنعاء.

وفي ذات الوقت قالت مصادر خاصة من صروح إن الجيش والمقاومة صدّوا هجوما كبيرا من قبل ميليشيات الحوثي التي حاولت استغلال الفراغ الذي تركه غياب أبرز قادة الجيش الوطني لتحقيق تقدم.

وقال المحلل السياسي اليمني توفيق السامعي إن الشدادي من القيادات الكفؤة والنادرة التي تآلف حولها القلوب كشخصية جامعة. وأضاف "عرفنا صموده ونضاله وشجاعته وتضحيته من خلال الميدان في الحروب الست في صعدة دفاعا عن الجمهورية مرورا بدفاعه المبدئي عن ساحة الثورة الشبابية عام 2011".

وعن أبرز المحطات في سيرته العسكرية، لفت السامعي إلى أن الشدادي أتى من صفوف الحرس الجمهوري حتى انضمامه للثورة الشبابية التي عيّن بعهدها قائدا للواء الثورة في مأرب عام 2013 فيما عرف بهيكلة الجيش حيث تم إبعاده من صنعاء إلى مأرب بطريقة سلسة كانت أشبه بنفي منها إلى توزيع وهيكلة.

هل الموصل ما يقرر مصير العراق؟

أسعد البصري

ص 3 »

الحريري يقامر بدعم عون لتطويق خسائره

❏ بيروت – يلتقط مراقبون في لبنان جوانب جديدة في حراك زعيم تيار المستقبل سعد الحريري حيال انتخاب الجنرال ميشال عون رئيسا للجمهورية، لافتين إلى أن الحريري يقامر بهذه الخطوة لاستعادة خسارته داخل الحاضنة السنّية في لبنان، وخاصة البرود الذي تبديه السعودية تجاهه، وهي الداعم الرئيسي له ولتيار المستقبل.

وربما تفسر رغبة الحريري في دعم عون وكسر الجمود مع حزب الله بمخاوفه من حديث عن أن الرياض تدعم بديلا سنّيا له.

وقد يمثل انفتاح زعيم المستقبل على خصوم الأمس سانحة لتطويق الخسائر. لكن تغيير التحالفات قد يحمل له المشاكل أكثر من المزايا.

ويرى المراقبون أن أمر العودة إلى رئاسة الحكومة بات ضرورة لشخص الحريري للإطلالة على شؤون الحكم في لبنان من الباب السياسي المتخلّص من دور الثروة المالية ووفرتها في ذلك، والمتخلّص أيضا، ربما، من أي حسابات سعودية كانت يومية ومباشرة داخل لبنان.

ويرى هؤلاء أن الحريرية السياسية تدخل عهداً جديداً لم تعرفه منذ تأسيس تيار المستقبل على يد الراحل رفيق الحريري.

وترصد هذه الأوساط مجموعة من السمات التي يجب التنبه لها في متابعة المبادرة الحريرية الجديدة. أول هذه السمات أن تيار المستقبل فقد احتكاره التام لزعامة السنّة في لبنان.

ولا تخفي الغالبية التي يحظى بها انتخابيا، تصدّع الحاضنة الشعبية للتيار وفق ما تبرزه ظاهرة الوزير أشرف ريفي سواء في الانتخابات البلدية الأخيرة في طرابلس أو في طموحات ريفي وغيره في التمدد نحو مناطق حريرية أخرى.

وتلحظ هذه المتابعة الأزمة المالية التي يعاني منها تيار المستقبل على نحو بات بنيويا دائما وليس عرضيا مؤقتا، ما يفرض على التيار انتهاج خيارات بغض النظر عن أجندة الراعي السعودي.

وتلفت الأوساط إلى أن المستجدّ أيضا هو سحب الرياض لرعايتها غير المشروطة للحريرية السياسية، دون أن يعني ذلك تخلّي الرياض عن سعد الحريري أو تفضيلها لبدائل أخرى.

وترتبط بعض الأوساط المتابعة لشؤون التيار الأزرق أن هناك رابطا جدليا بين أزمة الحريري المالية واندفاعه نحو خيار ميشيل عون كمدخل لتثبيت وضعه الشخصي السياسي.

ورغم أن أوساط تيار المستقبل تنفي حاجة سعد الحريري لتبنّي خيار عون للوصول إلى موقع رئاسة الحكومة، وتعتبر أن حجمه البرلماني والشعبي يجعله المرشّح الرئيسي لذلك الموقع دون أي صفقة خلفية.

وتوافق أوساط برلمانية على أن سعد الحريري يتحرك وفق زعامته اللبنانية المحلية دون أيّ سند دولي ودون رعاية إقليمية.

وترى هذه الأوساط أنّ تقصّد الرياض عدم التورط بأيّ موقف حيال الاستحقاق الرئاسي، على ما عاد به موفد الزعيم الدرزي وليد جنبلاط الوزير وائل أبو فاعور إلى الرّياض، يمنح الحريري حركة مستقلة تُحسب له إذا نجح بها ولا تُحسب على الرياض إذا فشل بها.

وتضيف هذه المصادر أن لقاءه الأخير بوزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف، وعلى الرغم من خلافهما المعلن في توصيف السبب وراء أزمة اللاجئين في لبنان، إلا أنها أعطته انطباعا بأن الدوائر الخارجية لن تعطّل أيّ حراك جديّ داخلي باتجاه انتخاب رئيس للبنان.

وبغضّ النظر عن المداولات المعقّدة التي قد تفضي إلى تمرير الجنرال عون رئيساً، فإن الحريري يسعى أن يكون عرّاب تلك الصفقة، التي بدا واضحاً أنها كانت مستحيلة من دونه حتى وإن كانت نتائجها في غير صالحه.

ويرى المراقبون أن هذا الاعتراف من جانب التيار العوني وحزب الله بحتمية المرور بقرار الحريري والاعتراف بوزنه لإنجاز الاستحقاق الرئاسي يمثّل رداً وإقرارا بفشل محاولة إلغائه سياسيا من خلال الانقلاب على حكومته عام 2011 والتشفّي بإبعاده عن البلد خلال السنوات الخمس الماضية.

وتعتقد مراجع متابعة لأمر المداولات أن إقرار كل الطبقة السياسية بالرشاقة التي يمتلكها الحريري في تحريك المياه الراكدة وفق مروحة اتصالات داخلية وخارجية، ستجعله قادراً على تذليل العقبات وإقناع المترددين سواء داخل تيار المستقبل أو لدى الأوساط السياسية الأخرى، لا سيما الأوساط التي يقودها وليد جنبلاط ونبيه بري.

أوباما شاهد زور في سوريا

خيرالله خيرالله

ص 5 »

● الحريري.. من أزمة المال إلى عرش السلطة ص4

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

نتائج الانتخابات تكرس القطبية السياسية في المغرب

حسابات الصندوق تعقد مهمة العدالة والتنمية في تشكيل تحالف حكومي

أسدل الستار على الانتخابات التشريعية في المغرب، بفوز حزب العدالة والتنمية بـ125 مقعدا، ورغم أهمية ما حققه الحزب الإسلامي إلا أن أمامه تحديات كبيرة لعل في مقدمتها مسألة تشكيل تحالف حكومي، خاصة وأن الأصالة والمعاصرة الفائز الثاني ليس بوارد الدخول في هكذا تحالف معه.

الناخب المغربي قال كلمته الأخيرة

محمد بن امحمد العلوي

□ **الرباط** – بعد النتائج النهائية الخاصة بالانتخابات التشريعية التي جرت في السابع من أكتوبر 2016 والتي فاز بها حزب العدالة والتنمية للمرة الثانية على التوالي، يكون المغرب قد دشن محطة مفصلية في تأصيل مبدأ المشاركة في العملية السياسية المغربية.

ويقول مراقبون إن الأهم في هذا الاستحقاق هو مروره في أجواء هادئة حيث لم تسجل أيّ انزلاقات عنيفة سواء بين الأحزاب المشاركة أو في الشارع وبمكاتب الاقتراع.

وأكد محمد فقيهي الأستاذ بكلية الحقوق بفاس، في تصريح لـ"العرب"، أن المحطة الانتخابية الحالية مفصلية في طريق التحول الديمقراطي للمجتمع المغربي وتكريس للمسار الذي يسير فيه المغرب وذلك لاستمرار الخارطة السياسية الحالية.

وأعلنت وزارة الداخلية أنه بعد فرز وإحصاء الأصوات في انتخابات 7 أكتوبر 2016، تبوأ حزب العدالة والتنمية المرتبة الأولى باحتساب الدوائر المحلية والدائرة الوطنيّة بحصوله على 125 مقعدا بالغرفة التشريعية الأولى، بينما جاء ثانيا حزب الأصالة والمعاصرة بـ102 من المقاعد وتموقع ثالثا حزب الاستقلال بحصوله على 46 مقعدا.

واستقرت نسبة المشاركة في حدود 43 بالمئة كما أكدتها وزارة الداخلية المغربية، وقالت الأخيرة إن حزب التجمع الوطني للأحرار نال 37 مقعدا وحزب الحركة الشعبية تحصل على 27 مقعدا، مقابل 19 من المقاعد لحزب الاتحاد الدستوري، و20 مقعدا لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ثمّ 12 مقعدا لحزب التقدم والاشتراكية.

وفي قراءة لنتائج الانتخابات أكد رضا الهمادي، رئيس المرصد المغربي للسياسات العمومية، لـ"العرب"، أن النتائج المعلنة لم تشكل مفاجأة للعديد من المراقبين، الذين رجّحوا منذ البداية تفوق حزبي الأصالة والمعاصرة والعدالة والتنمية وإن كان عدد المقاعد التي تحصل عليها الحزبان يتجاوز بقليل سقف التوقعات.

ويعزز هذا الاستحقاق الانتخابي الاختيار الديمقراطي بالمغرب وتثمين قيمة ما يفرزه الصندوق الانتخابي وتحصين مشروعيته.

وفي هذا الصدد قال عبد الإله بن كيران أمين عام الحزب الإسلامي إن نتائج حزبه "جد إيجابية"، معتبرا أن "الشعب المغربي كسب كسبا عظيما ويستحق أن يكون في مصاف الدول الصاعدة، مؤكدا أن الديمقراطية انتصرت وظهرت فيه الأمور على حقيقتها".

وتشجيعا على مبدأ المشاركة في الانتخابات بادرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتعميم خطبة جمعة موحدة حث من خلالها كل خطباء مساجد المملكة على أهمية التصويت وتذكيرهم بمسؤولية المواطن في اختياره الأصلح من بين المرشحين.

واعتبر رضا الهمادي، في حديثه لـ"العرب"، أن التراجع الكبير لحزب الاستقلال يبدو مفهوما نظرا لتخبطه في المواقف وضبابية الرؤية لقياداته، كما كانت النتائج التي حققها التجمع الوطني للأحرار منتظرة نظرا لنزوح عدد كبير من منخرطيه نحو حزب الأصالة والمعاصرة فضلا عن تراجع الأداء السياسي لقيادته.

وما كان لافتا للنظر هو السقوط المدوي لحزب الاتحاد الاشتراكي على جميع المستويات، فعدم استطاعته للوصول إلى عتبة تكوين فريق برلماني سيجعل مجموعته النيابية المقبلة تختلف بشكل كبير عن آخر فريق برلماني كوّنه هذا الحزب، حسب رضا الهمادي.

وعلى ضوء النتائج الرسمية التي حسمت الفوز لصالح العدالة والتنمية أقر عدد من المراقبين أن المشهد السياسي المغربي يتجه نحو قطبية سياسية بين الأصالة والمعاصرة والعدالة والتنمية، ومن وجهة نظر عبدالرحمن علال، الباحث في العلوم السياسية بكلية الحقوق في مدينة وجدة، أنّ التعددية الحزبية في المغرب كانت اختيارا سياسياً مغربيا لا محيد عنه بعدما تم تقنينه في نهاية خمسينات القرن الماضي، ودسترته مع التجربة الدستورية الأولى سنة 1962، وبالتالي فالخيط الرابط بين البلقنة والعقلنة حاد ودقيق جداً.

وأضاف أنه رغم تصدر كل من حزب العدالة والتنمية وحزب الأصالة والمعاصرة للمشهد السياسي إلا أن وجود فسيفساء حزبية، سيكبح من القطبية الحزبية.

ومع الفارق العددي بين حزبي العدالة والتنمية والاستقلال سيجعل هذا الأخير يعيد حساباته إذا أراد العودة للحكومة بعد أن خرج منها في العام 2013، وكانت هناك بوادر تقارب بين بن كيران وحميد شباط رئيسي الحزبين رغم المناوشات بينهما في ذروة الحملة الانتخابية الأخيرة. ومع الأرقام المعلن عنها سيجد العدالة والتنمية صعوبة في تدبير التحالف الذي سيؤهله لتشكيل الحكومة خصوصا وأن حزب الأصالة والمعاصرة أنه غير معني بوضع يده في يد العدالة والتنمية.

لكن سعيد الصديقي، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة العين بأبوظبي يشدد في تصريح لـ"العرب"، على أن الحزب يستطيع تشكيل الحكومة القادمة من خلال إقناع الأحزاب المشكّلة للحكومة المنتهية ولايتها بالاستمرار في الحكومة، وضم حزب الاستقلال إلى التحالف لا سيما بعد التقارب الذي حصل بين الحزبين بعد الانتخابات الجامعية.

أما الهاجس الذي سيتحكم في استراتيجية حزب العدالة والتنمية هو إيجاد بعض شروط ضمان استمرار الحكومة لولاية كاملة وعدم رهن مصيرها بحزب واحد، لذلك يتوقع سعيد الصديقي أن يوسّع حزب العدالة والتنمية تحالفه ليضم 5 أحزاب هي الاستقلال والحركة الشعبية والأحرار والتقدم والاشتراكية.

ويعتبر سعيد الصديقي أن العدالة والتنمية سيواجه تحديا آخرا لا يقل أهمية، وهو كيفية التوفيق بين رغبته في تسيير عدد مهم من الوزارات الكبيرة حتى يتمكن من إجراءات الإصلاحات التي وعد بها، وبين ما يقتضيه التحالف المرتقب من تنازلات عن حقائب وزارية لصالح باقي الحلفاء.

الملف الأمني يتصدر زيارة رئيس الحكومة التونسية إلى الجزائر

منور مليتي

□ قالت دوائر مقربة من رئاسة الحكومة التونسية إن الملف الأمني والاقتصادي يتصدر زيارة يوسف الشاهد التي يبدأها الأحد من خلال سلسلة من اللقاءات والمشاورات مع كبار المسؤولين إضافة إلى الرّفع من نسق العلاقات الدبلوماسية لمواجهة التحديات التي تواجه المنطقة.

وأعلنت رئاسة الحكومة التونسية أن الشاهد يؤدي الأحد زيارة إلى الجزائر يرافقه فيها وفد حكومي رفيع المستوى في مسعى إلى فتح آفاق جديدة للتعاون في مختلف المجالات.

واستبق الزيارة قرار للحكومة التونسية بإلغاء ضريبة دخول الجزائريين إلى تونس والتي كانت أثارت جدلا واسعا في كلا البلدين.

ولم تقدم رئاسة الحكومة في بلاغ أصدرته بالمناسبة إيضاحات ضافية لا حول أهداف الزيارة ولا حول طبيعة ونوعية اللقاءات والمشاورات التي يجريها الشاهد مع المسؤولين الجزائريين.

غير أن المصادر المقربة من رئاسة الحكومة أكدت لـ"العرب" أن الشاهد سيبحث خلال العديد من اللقاءات السبل الكفيلة بإنعاش الاقتصاد التونسي من خلال الرفع من التعاون الاقتصادي وخاصة الزيادة في المبادلات التجارية.

وأكّدت نفس المصادر أن الملفّ الأمني سيتصدر أهداف الزيارة من خلال بلورة تصور مشترك بين البلدين يضع حدا لمخاطر الجهاديين الذين ينشطون بكثافة على الحدود متخذين من مرتفعات الجبال معاقل لهم.

وتعدّ زيارة يوسف الشاهد إلى الجزائر الأولى التي يقوم بها خارج تونس منذ توليه رئاسة الحكومة وهو ما يعني سياسيا أن تونس تولي أولوية لعلاقاتها مع الجارة الغربية.

وتعد الجزائر شريكا اقتصاديا هاما لتونس سواء من خلال المبادلات التجارية التي تشمل العديد من المجالات منها المنتجات الغذائية أو من خلال كونها تمثل سوقا سياحيا تراهن عليه البلاد في ظل الأزمة الاقتصادية.

وفي ظل المخاطر التي باتت تمثلها التنظيمات الجهادية كثفت تونس من تنسيقها الأمني والعسكري ماديا ولوجيستيا مستفيدة من تجربة الجزائر في مكافحة الجهاديين وقطع الطريق أمام تنقلهم بين البلدين.

وتوقعت المصادر المقربة من رئاسة الحكومة التونسية أن تفضي زيارة الشاهد إلى توقيع عدد من الاتفاقيات المشتركة تشمل الرفع من نسق التنسيق الأمني والعسكري والزيادة في حجم التعاون الاقتصادي خاصة فيما يتعلق بتنشيط المبادلات التجارية التي لم ترتق بعد إلى ما يصبو إليه البلدان.

حكومة السراج تبحث سبل كسر عزلة ليبيا إقليميا ودوليا

شركة طيران ليبية تدخل شريكة للمركز التونسي لتدريب الطيارين

تحاول وزارة النقل بحكومة الوفاق الليبية المرفوضة من قبل مجلس النواب كسر العزلة التي تعانيها ليبيا جراء تردي الأوضاع الأمنية خلال السنوات الماضية من خلال الدخول في شراكة مع جارتها تونس وقطاع شركات الطيران التونسية والأوروبية بإعادة فتح مكاتبها في العاصمة الليبية طرابلس التي غادرتها منذ اندلاع الأزمة الليبية عقب ما عرف بمعركة المطار منتصف سنة 2014.

□ **تونس** – في خطوة وصفها مراقبون بالمهمة دخلت ليبيا ممثلة في الشركة الأفريقية للطيران في شراكة بنسبة عشرين بالمئة من رأس مال مع مركز تدريب الطيارين التونسيين.

وفي تصريح لـ"العرب" قال وزير المواصلات في حكومة الوفاق ميلاد معتوق إن هذه الخطوة تعتبر خطوة مهمة ستوفر على ليبيا الجهد والوقت والمال باعتبار أن ليبيا كانت تقوم بتدريب طياريها في مراكز أخرى في أوروبا.

وحث الوزير بقية شركات الطيران الليبية بما في ذلك شركة الخطوط الليبية على أن تساهم وتكون شريكا في هذا المركز على أمل أن يتحول إلى مركز تدريب مهمّ في شمال أفريقيا يستقطب متدربين من مختلف الدول الأفريقية.

واعتبر رئيس مجلس إدارة الشركة الأفريقية للطيران محمد الفورتية أن هذه الشراكة تعتبر مكسبا للشركة باعتبار أنها ستساهم في الرفع من أداء وكفاءة الطيارين الليبيين الذين ستتاح لهم فرصة التدريب والانتفاع بالكفاءات الموجودة في المركز.

وتسعى وزارة المواصلات في حكومة الوفاق لكسر العزلة التي تعانيها جراء تردّي الأوضاع الأمنية وهو ما أدّى إلى خروج أغلب شركات النقل الدولية والإقليمية وتوقف الرحلات بين ليبيا والعديد من الدول.

وعقب معركة المطار في طرابلس التي نفذتها ميليشيات ما عرف حينها بتحالف فجر ليبيا من أجل طرد قوات الصواعق والقعقاع الأمر الذي أدى إلى احتراق المطار وتدميره، إضافة إلى اشتعال الحرب على الجماعات الإرهابية في مدينة بنغازي حيث كان الإرهابيون يسيطرون على مطار بنينا في بنغازي قبل أن تسترده قوات الجيش بقيادة المشير خليفة حفتر.

وفي مايو الماضي وعقب شهر من دخول المجلس الرئاسي المنبثق عن اتفاقية الصخيرات للعاصمة طرابلس، استأنفت الطائرات الليبية، رحلاتها نحو مطار تونس-قرطاج الدولي في العاصمة تونس للمرة الأولى بعد أكثر من 6 أشهر على توقفها، بعد منعها من استخدامه لدواع أمنية، في حين أبقت الناقلة الجوية التونسية "الخطوط التونسية" قرار إيقاف رحلاتها نحو مطارات ليبيا بسبب تدهور الأوضاع الأمنية هناك.

هل يرفع الغبار عن هذه الطائرات

وفي عقب تعرّض حافلة للأمن الرئاسي التونسي لعملية إرهابية في ديسمبر الماضي، أعلنت وزارة النقل التونسية غلق مطار تونس-قرطاج أمام الطائرات الليبية ضمن "سلسلة من الإجراءات الأمنية".

وقالت إن المطار التونسي الوحيد الذي سيسمح لهذه الطائرات باستخدامه هو مطار محافظة صفاقس الواقع جنوب البلاد.

وقال وزير المواصلات الليبي في تصريحات لـ"العرب" إن شركة الخطوط التونسية ستستأنف نشاطها من العاصمة الليبية طرابلس بداية من نوفمبر المقبل.

إلا أن وزير النقل التونسي أنيس غديرة أوضح في تصريح لـ"العرب" أن السلطات التونسية ستسيّر لجنة للنظر والتحقيق في مدى سلامة وأمن المطارات الليبية لاستقبال الطائرات التونسية، مشيرا إلى أن عودة شركة الخطوط التونسية إلى طرابلس تبقى رهن التقرير الذي ستصدره هذه اللجنة عقب عودتها من ليبيا.

وبخصوص الوضع الأمني وملف تأمين المطارات قال الوزير التونسي إن تدهور الوضع الأمني الذي عرفته المطارات الليبية يعتبر انعكاسا طبيعيا لما عرفته ليبيا بعد إسقاط النظام، مشيرا إلى أن رغبة تونس في العودة لتسيير الرحلات الجوية نحو ليبيا تعكس وجود ثقة في تحسن الوضع الأمني في العاصمة طرابلس.

وأوضح وزير المواصلات في حكومة فايز السراج أنهم اتفقوا مع الطيران المدني البريطاني للعمل مع لجنة السلامة في البرلمان الليبي لمجابهة شروط الاتحاد الأوروبي لإلغاء حظر الطيران الذي تفرضه أوروبا على ليبيا مشيرا إلى أنهم يسعون لإعادة الطيران بين ليبيا والاتحاد انطلاقا من شهر يونيو 2017.

وأضاف معتوق أنهم بصدد بناء محطة جوية جديدة في طرابلس وتطوير مطار معيتيقة مشيرا إلى أنهم يسعون إلى صيانة مطار طرابلس حتى يعود للعمل مجددا بعد الخراب الذي لحقه سنة 2014.

وحول لقائه بسفير بريطانيا لدى ليبيا بيتر مليت قال الوزير إنه تم تفعيل العقود المبرمة مع الأكاديميات البريطانية لاستئناف تدريب طلبة الطيران المدني ومنحهم التأشيرات الخاصة، إضافة إلى تسهيل إجراءاتهم المالية والإدارية.

نسعى لإعادة الرحلات الجوية بين ليبيا وأوروبا بداية من شهر يونيو 2017

ميلاد معتوق

عودة الناقلة التونسية رهين تقرير اللجنة التي سنرسلها للنظر في مدى جاهزية المطارات الليبية

أنيس غديرة

موسكو تقابل الضغوط الغربية بالمزيد من التصعيد

رقعة المعارك تتسع لتشمل غرب سوريا وجنوبها

تعكس المؤشرات على الأرض أن روسيا حسمت أمرها بالسير في الخيار العسكري في سوريا إلى حين تحقيق مكاسب فعلية تقلب المعادلة جذريا، ولكن هذا التوجه محفوف بالمخاطر، في ظل الضغوط المتزايدة عليها من قبل المجتمع الدولي.

الحرب الباردة تعود من بوابة سوريا

□ **دمشق** – تتسع رقعة المواجهات بين فصائل المعارضة والجيش السوري المدعوم بميليشيات شيعية عراقية ولبنانية وإيرانية وإسناد جوّي روسي كثيف، وسط معطيات عن ترجيح كفة الأخير في تلك المواجهات.

ولم يعد التصعيد محصورا في حلب شمالي البلاد بل امتد أيضا إلى حماة غربا ودرعا جنوبا ما يعني وفق المراقبين أن العمل العسكري سيكون هو المسيطر في الفترة المقبلة، وأن الضغوط الدولية الجارية على روسيا والنظام سواء عبر مجلس الأمن أو التلويح بعقوبات اقتصادية لن تأتي أكلها.

وقال المرصد السوري لحقوق الإنسان ووسائل إعلام حكومية إن الجيش وحلفاءه استعادوا السيطرة على بلدات وقرى في غرب البلاد السبت، مما سلب مقاتلي المعارضة مكاسب نادرة حققوها في الأسابيع الأخيرة.

وأضاف المرصد ومقره بريطانيا أن المكاسب الرئيسية للحكومة كانت إلى الشمال من حماة.

وكانت المعارضة في محافظة حماة الواقعة جنوبي حلب قد سيطرت على سلسلة من البلدات والقرى التابعة للحكومة في هجوم نهاية أغسطس. لكن المرصد قال إن الجيش استعاد العديد من تلك المناطق في هجوم رجح كفته في شمال المحافظة للمرة الأولى خلال أسابيع.

وقالت قناة المنار التابعة لميليشيا حزب الله اللبنانية إن الجيش السوري سيطر على بلدات أو قرى منها الطليسية والقاهرة وتل الأسود.

وأوضح المرصد أن الحكومة استفادت من نشوب قتال بين جماعتين معارضتين في ريف إدلب شمالي محافظة حماة. وأضاف أن حركة أحرار الشام الإسلامية القوية وجماعة جند الأقصى، التي تقول الولايات المتحدة إنها على صلة بالقاعدة، تتبادلان إطلاق النار منذ صباح الجمعة.

وفي تقدم آخر للقوات الحكومية على المعارضة قرب دمشق سيطر المقاتلون المتحالفون معها على قطاع كبير من بلدة الهامة إلى الشمال الغربي من دمشق.

أما في الجنوب فقد شنّت وحدات من الجيش هجوما على مواقع ومرابض للمجموعات المسلحة في بلدتي أبطع وداعل في ريف درعا الشمالي، في عملية استباقية لأيّ تحرك للمعارضة في هذا الشطر.

وكانت انتقادات كبيرة قد طالت الفصائل في الجنوب لعدم تحركها لتشتيت جهود النظام وتخفيف الضغط عن حلب خاصة.

وتواجه مدينة حلب منذ أكثر من أسبوعين هجمة شرسة للنظام المدعوم بسلاح الجو الروسي، وقد نجح الأخير في تحقيق بعض التقدم.

وتدور معارك طاحنة بينه وبين الفصائل المعارضة في وسط مدينة حلب. وقال مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبدالرحمن "تتركز المعارك على ثلاثة محاور أساسية هي حي بستان الباشا في وسط المدينة والذي كانت قوات النظام تقدمت فيه، وحي الشيخ سعيد في جنوبها، ومنطقة العويجة في ضواحيها الشمالية".

وأفاد المرصد عن "تقدم جديد لقوات النظام والمسلحين الموالين لها في المحور الشمالي بسيطرتهم السبت على ضاحية العويجة التي تتواجد فيها منازل مدنيين ومعامل"، مشيرا إلى أن ذلك "يتيح لها التقدّم أكثر في شمال المدينة".

ويرى محللون أن الضغوط الدولية المتزايدة على روسيا لن تحقق شيئا في ظل إصرار الكرملين على جعل نفسه الممسك بخيوط اللعبة في سوريا مهما كلف الأمر.

ويقول مراقبون إنه حتى الخطط العسكرية الأميركية التي كثر الحديث عنها في الفترة الأخيرة، لن يكون تنفيذها على أرض الواقع أمرا سهلا، خاصة بعد أن عززت موسكو حضورها العسكري في سوريا.

وأظهر تحليل أجرته رويترز لبيانات معلنة أن روسيا عززت قواتها في سوريا منذ انهيار وقف إطلاق النار في سبتمبر حيث أرسلت قوات وطائرات وأنظمة متطورة.

وتشير البيانات إلى تضاعف حجم الإمدادات عن طريق الجو والبحر مقارنة مع فترة قاربت الأسبوعين قبل الهدنة. وهذا أكبر نشر عسكري روسي في سوريا على ما يبدو منذ أن قال الرئيس فلاديمير بوتين في مارس الماضي إنه سيسحب بعضا من قوات بلاده من هناك.

وقال محللون عسكريون إن القوة البشرية الإضافية ربما تشمل متخصصين لتشغيل نظام إس300- لصواريخ أرض جو الذي نشر في الآونة الأخيرة.

وأضافوا أن ذلك النظام سيحسّن قدرة روسيا على السيطرة على المجال الجوي في سوريا وقد يكون الهدف منه ردع أيّ تحرك أميركي أكثر صرامة.

وأوضح جاستين برونك الباحث في المعهد الملكي لدراسات الدفاع في لندن أن "النظام إس300- يمنح روسيا بالأساس القدرة على إعلان منطقة حظر طيران فوق سوريا. كما يجعل أيّ محاولة أميركية لفعل ذلك مستحيلة.

ويمكن لروسيا أن تقول فحسب سنواصل الطيران وأيّ شيء يحاول تهديد طائراتنا سيعتبر معاديا وسيدمّر".

وكانت روسيا قد أرسلت قوة عسكرية كبرى إلى سوريا في العام الماضي، بعد التراجع الكبير للقوات السورية وفقدانها السيطرة على معظم المناطق سواء لجهة المعارضة أو تنظيم الدولة الإسلامية.

الحشد الشعبي لتركيا: لن نفرق بين قواتكم وداعش

□ **بغداد** – يستمر التراشق الإعلامي بين العراق وتركيا، على خلفية الوجود العسكري التركي في شمال العراق وتحديدا في جنوب الموصل، التي تستعد الحكومة العراقية لإطلاق صافرة تحريرها من داعش.

ويلاحظ تصدّر الحشد الشعبي، وهو عبارة عن تحالف لميليشيات شيعية مدعومة من إيران، قائمة المطالبين أنقرة بسحب قواتها.

وبلغ الأمر بقيادات الحشد حدّ التلويح لتركيا بأن قواتها ستكون في مرمى أهدافهم شأنها شأن تنظيم الدولة الإسلامية في الموصل.

وقال القيادي في الحشد الشعبي جواد الطليباوي السبت، في تصريحات صحافية إن "القوات التركية الموجودة جنوبي الموصل ستكون هدفا مشروعا للقوات الأمنية العراقية المشتركة". لافتا إلى أنها ستعامل معاملة داعش.

وشدد الطليباوي على "أن قوات الحشد الشعبي ستشترك في عمليات تحرير الموصل المرتقبة، حيث سيكون دورها أساسيا فيها، رغم أنف المعترضين".

تصريحات القيادي الشيعي جاءت ردا على الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الذي دعا إلى تحييد الحشد الشعبي وعدم إشراكه في عملية تحرير المدينة التي تعدّ مركز محافظة نينوى.

وارتكب الحشد الشعبي خلال المعارك التي شارك فيها ضد داعش في العديد من المناطق العراقية انتهاكات فظيعة، وفق المنظمات الدولية التي دعت هي الأخرى إلى عدم مشاركته في معركة الموصل.

ويرى مراقبون أن الانتهاكات ليست الدافع لأردوغان للتحذير من مشاركة الحشد، كما هو الشأن بالنسبة إلى الرواية التي سوّقها لتبرير وجود قوات لبلاده في شمال العراق ألا وهو حماية التركمان، وإلا لكان تحرك حين هوجموا من قبل داعش خلال اجتياحه لمناطق واسعة في هذا البلد.

ويقول المراقبون إن السبب الرئيسي في تمسك أنقرة بإبقاء قواتها على الأراضي العراقية، ورفض مشاركة الحشد الشعبي في الموصل يندرج في سياق الصراع على النفوذ بينها وبين إيران على الأراضي العراقية.

ويستبعد هؤلاء أن تجد التحذيرات والنداءات صداها في منع ميليشيات الحشد الشعبي من المشاركة في معركة الموصل التي تقول جميع المؤشرات على أنها باتت وشيكة. فإيران من المؤكد لن تقبل بذلك بالنظر لأهمية مدينة الموصل ومحافظة نينوى المجاورة لسوريا.

وقال قائد عصائب أهل الحق قيس الخزعلي، الجمعة، إن قوات الحشد الشعبي ستشارك في العملية العسكرية لتحرير مدينة الموصل.

هل الموصل ما يقرر مصير العراق

أسعد البصري
كاتب عراقي

❑ لقد وصلنا في العراق إلى مفترق طرق، مصير الموصل سيقرر نهاية العراق أو استمراره كبلد. الموصل حدث فيها تهجير للمسيحيين ونهب لممتلكاتهم من بيوت وذهب وبساتين وأثاث، وحدث فيها ذبح للإيزيديين وبيع لبناتهم واسترقاق لأطفالهم، وشهدت مظالم على يد داعش لعامين لا يعلم بها إلا الله.

حين تأتي تركيا وتقول لا نسمح بدخول الميليشيات وحدوث عمليات انتقام، وتضع ثقلها كله خلف حماية السكان والمدنيين ماذا نقول مثلا؟ كلاّ للعثمانيين وأطماعهم أدخلوا يا ميليشيات وبيعوا بنات الموصل المسلمات والعربيات، أحرقوا وانهبوا كما يحلو لكم؟ هل نسمح بدخول قوات مسلحة من الإيزيديين للانتقام من بناتنا العربيات؟ هل نسمح لقاسم سليماني أن يقرر مصير مدينة سنية كبيرة بحجم الموصل؟

نحن في حيرة من أمرنا صراحة. فنحن بين مشاعرنا الوطنية الرافضة للتدخل الأجنبي وبين خوفنا من الميليشيات. الظاهر على الأقل أن تركيا تريد حماية السكان الأصليين ومنع التهجير والمذابح والتغيير الديموغرافي، ربما هي ورقة للتفاوض فقط، وربما أردوغان يقف خلف داعش أساسا ويريد تحويل الموصل إلى خراب مشابه لحلب وحمص. هذا كله ممكن، ولكن ظاهر الأمر أنه يلقي بثقل تركيا لحماية المدينة من مجزرة عظيمة وأعمال انتقام.

بعد تجربة الفلوجة نخاف من جندي يحمل سلاحا ويقول جهاد وحسين وعباس والله، نريد جنديا منضبطا يقول "أنا موظف بالجيش، الضابط يأمرني وأنفذ" العراق ليس فيه جيش ويعتمد على الميليشيات في تحرير الموصل.

قائد الميليشيات أبو مهدي المهندس يقول إذا قامت تركيا بالتدخل في الموصل فهذا احتلال وسنتعامل معهم كمحتلين، ونتمنى ألاّ نتصادم معهم. هل أخذ المهندس رأي أهل الموصل؟ مليون ونصف مليون إنسان بالمدينة يخافون من الحشد، ويفضلون الجيش الأميركي والسعودي والتركي. الناس يخافون من المجاهدين الشيعة والسنة، وهذا أيضا بسبب تصرفات سابقة بالفلوجة وجرف الصخر وصلاح الدين وغيرها.

قدمت الحكومة العراقية شكوى في مجلس الأمن ضد التواجد العسكري التركي. وقال رئيس الوزراء حيدر العبادي "إن تركيا تجازف بإشعال حرب إقليمية". وتركيا من جانبها على لسان رئيس الوزراء بن علي يلدريم ردت بأن هدف مرابطة القوات في العراق هو منع حدوث "تغيرات في التركيبة الديموغرافية، وألا تتكرر مأساة إنسانية أخرى وألا تراق المزيد من الدماء".

من ناحية وطنية سنّة العراق في موقف محرج جدا. فلو دخل الضباط الأتراك إلى الموصل وأمّنوا الناس بعد خوف، وخرجت الفتيات الموصليات يلقين الياسمين على الجندي التركي، والأمهات يقدمن له الطعام، فهذا إحراج لنا كعراقيين. وهل الأفضل أن يدخل الجنرال قاسم سليماني إلى المدينة ويقتل الأبناء الواحد بعد الآخر أمام آبائهم، ثم يفقأ عيونهم ويأخذهم مقيدين بالسلاسل كما حدث في مجزرة قبيلة

> وهج التعاطف المذهبي بدأ يخفت. السنّي العراقي خارج الموصل يتلفّت يمينا وشمالا خوفا مما هو قادم، فلا فسحة لديه كي يمنح تعاطفا حقيقيا لغيره

العمل لحساب الآخر

المحامدة في الفلوجة حيث تم قتل 300 من المدنيين في مقبرة جماعية؟ بل شيوخ القبائل الذين يسألون عن المحتجزين يتم طلب مبالغ كبيرة منهم واستدعاؤهم إلى بغداد ليتم العثور على جثثهم في مناطق مهجورة.

متابع عراقي يقول لي إن ما يجري في الموصل غير ما يجري خارجها. السنة خارج المدينة غير مهتمين باشتراك الجيش التركي من عدمه، كما أنهم غير متحمسين لرفض اشتراك إيران عبر بوابة مليشيات الحشد الشعبي، وهج التعاطف المذهبي بدأ يخفت. السنّي العراقي خارج الموصل يتلفت يمينا وشمالا خوفا مما هو قادم، فلا فسحة لديه كي يمنح تعاطفا حقيقيا لغيره. ربما يكون كل العالم معنيا بما يجري في الموصل أكثر من سنّة العراق.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

الحريري.. من أزمة المال إلى عرش السلطة

إهمال الدوائر الدولية والإقليمية للاستحقاق الرئاسي فرصة لإنتاج رئيس محلي

تطرح تحركات زعيم تيار المستقبل سعد الحريري التي توحي بأنه ماض في مبادرة انتخاب رئيس تكتل التغيير والإصلاح العماد ميشال عون رئيسا للبنان، تساؤلات عديدة حول هذه الخطوات غير التقليدية التي يسير على نهجها الحريري، وكيف يمكن أن يفيد هذا الحراك، الذي لا يوافق كافة الأطراف الداخلية ولا يزعج تلك الخارجية، زعيم المستقبل ويفيد البلد.

لن أتخلى عن جلباب أبي

❑ **بيروت** – يلفت مراقبون في العاصمة اللبنانية أن تحرك الرئيس سعد الحريري الأخير والذي يوحي بأنه ذاهب إلى الموافقة على انتخاب ميشال عون رئيسا للجمهورية، يحمل في ثناياه بعدا جديدا وغير مسبوق في تاريخ الحريرية السياسية منذ ظهورها على يد المؤسس الراحل رفيق الحريري.

ويعتبر المراقبون أن حركة الحريري الابن تنطلق من ديناميات ذاتية لا تستند إلا على مقوّمات محلية خاصة باللعبة السياسية اللبنانية دون التسلّح بأيّ غطاء إقليمي أو دولي. وهذا التطوّر لم يعرفه اللبنانيون منذ الاستقلال عام 1943، والذين تعودوا أن يأتيهم وحي الخارج حاملا لهم التسوية الرئاسية على طاولة مداولات خارج الحدود بين القوى الإقليمية وتلك الدولية.

وفيما يستعر الخلاف السعودي الإيراني وذلك الأميركي الروسي حول شؤون المنطقة، يبدو حراك الحريري لا منطقيا بالمعايير التقليدية لإنتاج رئيس لبناني. ومع ذلك فإن المراقبين يعتبرون هذه المفارقة فرصة سانحة التقطها الحريري لإنتاج صفقة داخلية قد لا ترضي كافة الأطراف الداخلية، لكنها قد لا تزعج ولا تربك الحسابات الخارجية.

والواضح أن اتصالات الحريري بالراعي السعودي وتواصله مع عواصم القرار الدولي، لا سيما زيارته الأخيرة لموسكو ولقاءه مع وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف، أعطت الحريري انطباعا بعدم اهتمام العواصم بالاستحقاق الرئاسي اللبناني، كما بعدم ممانعتها إنتاج رئيس بصناعة محلية صرفة.

ويرى دبلوماسيون غربيون في بيروت أنه من الخطأ تصوّر أن الحريري يتحرّك وفق ديناميات داخلية فقط دون تلك الخارجية. وترى هذه الأوساط أن عدم وجود "فيتو" إقليمي دولي على مبدأ انتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية هو بحدّ ذاته موقف إيجابي إذا ما تمّ قطفه وحسن توظيفه من الفرقاء المحليين.

> حركة الحريري الابن تنطلق من ديناميات ذاتية لا تستند إلا على مقومات محلية خاصة باللعبة السياسية اللبنانية دون التسلح بأي غطاء إقليمي أو دولي. وهذا التطور لم يعرفه اللبنانيون منذ الاستقلال عام 1943، والذين تعودوا أن يأتيهم وحي الخارج حاملا لهم التسوية الرئاسية

وتلاحظ هذه الأوساط أن توجّه المنسقة الخاصة للأمم المتحدة في لبنان سيغريد كاغ قبل أيام إلى طهران، على ما قيل إنه حثّ للقيادة الإيرانية على تسهيل انتخاب رئيس لبنان، يمثّل إشارة أممية على الجهوزية للدفع باتجاه إنجاح هذا الاستحقاق إذا ما شعر المجتمع الدولي بأن هناك عزما لبنانيا جديًا لإشغال قصر بعبدا بساكن جديد.

على أن مراقبين لشؤون تيار المستقبل يلفتون إلى جانب مستجد في حركة سعد الحريري الرئاسية. وتعترف هذه الأوساط بأن زعيم التيار الأزرق يعاني من أزمة مالية قاسية لا تخفيها أنباء المداولات حول أمر شركة "سعودي أوجيه" في السعودية والتي يمتلكها سعد الحريري، ولا تواريها حالة التوقف عن دفع رواتب العاملين في مؤسسات تيار المستقبل، ناهيك عن برامج التسريح وخطط إقفال أنشطة ومنشآت تابعة للتيار.

وتعترف هذه الأوساط أيضا، أن فقدان "المستقبل" للوعاء المالي الذي لطالما تمتع به وكان أساس ديناميته ليس عرضيا مؤقتا، بل بات يجب التأسيس عليه بصفته الوضع الدائم الذي يجب على التيار الأزرق القبول بقواعده. وعليه تستنج تلك المراجع المقربة من "المستقبل" بأن التيار بات حزبا يعمل بعدّة مالية بيتية، قد يكون شأنه في ذلك شأن بقية الأحزاب التي لا تحظى بالرعاية المالية الإيرانية.

ورغم وجود ارتباك داخل تيار المستقبل من ذهاب زعيمه نحو خيار الجنرال عون رئيسا للبنان، ورغم صعوبة نسيان ما كاله جنرال الرابية للتيار من اتهامات وصلت إلى وصفه بالحزب الداعشي، ورغم موقفه المعادي للبيئة السنّية الحاضنة للتيار، إلا أن تلك الأصوات المستاءة من هذا الخيار تعتبر، مع ذلك، أن الأمر قد يوقف الشلل الذي تعاني منه المؤسسات اللبنانية، ويعيد "المستقبل" للعب دوره كاملا داخل منظومة الحكم في لبنان بصفته ضرورة وشريكا كاملا، بما يعني فشل حزب الله، وإيران من ورائه، في تدجين البلد وتقويض ثوابته.

لكنّ مقربين من الرئيس سعد الحريري يجدون أن مناورة زعيم المستقبل تعيد تعويمه رقما صعبا على رأس الحكومة اللبنانية، وهو أمر يعود حزب الله والتيار الوطني الحرّ للإقرار به، بعد سنوات على الانقلاب الذي جمعهما ضد حكومة الحريري في ديسمبر 2011 والذي أدّى في ما بعد إلى خروجه من البلد لمدة خمس سنوات.

وترى هذه الأوساط أن اللافت في الأمر أيضا أن التسليم بالحريري وزعامته من قبل الخصوم يأتي هذه المرة ممنوحا له على الرغم من أنه لا يحظى بخيمة سعودية حاسمة واضحة، ولا يحظى برعاية دولية جلية، وفوق ذلك كله، لا يمتلك القاعدة المالية الوفيرة التي لطالما كان وهجها يواكبه كما واكب والده في أيّ مبادرة أو تحرك قاما به أو أيّ منصب تولياه.

ورغم نفي المستقبليين لأيّ رابط يصل جهد الحريري لانتخاب رئيس للجمهورية بطموحات مفترضة لعودته إلى رئاسة الحكومة، ورغم تكرارهم أن الحريري يترأس أكبر كتلة نيابية برلمانية تمنحه وحلفاءه حق رئاسة الحكومة دون أيّ جميل أو منّة من أحد، إلا أن أمر العودة إلى رئاسة الحكومة بات ضرورة لشخص الحريري للإطلالة على شؤون الحكم في لبنان من الباب السياسي المتخلص من دور الثروة المالية ووفرتها في ذلك، والمتخلص أيضا، ربما، من أيّ حسابات سعودية كانت يومية ومباشرة داخل لبنان.

وتذهب مصادر سعودية غير رسمية إلى تأييد حركة الحريري الراهنة. وتعتبر أنها بمثابة إعادة اكتشاف لمواهب الرجل السياسية، ذلك أن الموقف السعودي الرسمي تشوبه خيبة من أداء "ابن رفيق الحريري" المالي من جهة، في ما آلت إليه أحوال شركة "سعودي أوجيه" التي أسسها ورفع من شأنها الوالد الراحل، كما من الأداء السياسي لـ "ابننا" في لبنان، في ما آلت إليه أحوال المملكة في شأن هذا البلد، والتي تمثلت في ما يشبه استقالة الرياض وانسحابها من رعاية شؤون لبنان. وترى هذه المصادر أن تراجع الأولوية اللبنانية على الأجندة السعودية، بما في ذلك اعتماد وكيل لبناني حصري يتمثل منذ اتفاق الطائف بالحريرية السياسية، يحرر سعد الحريري نفسه ويمنحه هامشا واسعا للتحرّك والمناورة، وربما تجاوز محرّمات كان عاجزا عن المغامرة بها بسبب التصاقه بحسابات الرياض ومواقفها الإقليمية والدولية.

بالمحصلة يكاد المحللون يجمعون على أن سعد الحريري يتحرى تجاوز الأزمة المالية من خلال تعويض سياسي يعيد تعويمه داخليا، على ما يخفف من تصاعد ظواهر الاعتراض داخل المحسوبين على معسكره، وخصوصا الوزير أشرف ريفي الذي سبق وأن استشرف "انتهاء الحريري".

وترى هذه الأوساط أن هذا التعويم يعيد الاعتبار إليه كاملا، بصفته رئيسا للحكومة اللبنانية (وهذه المرة دون أيّ مساعدة من الرياض) لدى المملكة العربية السعودية، على ما قد يعيده العنوان الوحيد للسياسة السعودية في لبنان، بعد أن ظهر أن الرياض لم تمانع، وفق أسلوب الحكم في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز، الانفتاح على خصوم الأمس داخل الطائفة السنية، ما أفقد الحريرية السياسة الوكالة الحصرية لتمثيل النفوذ السعودي في لبنان. ثم أن عودة الحريري رئيسا للحكومة يعيد تعويم الرجل دوليا بحيث يتناسب حضوره مع المزاج الدولي الذي يربكه التعامل مع البلد بين ما يمثله حزب الله من نفوذ داخل النظام السياسي اللبناني وما يمثله ميشال عون من ضبابية وتذبذب لا يمكن للمراجع الدولية اعتماده مرجعا ثابتا واضح الخطط للتعامل معه.

وفي النهاية لن يسير الحريري في مغامرته وحيدا. فإلى جانب تياره الذي يعمل على معالجة مواطن الاعتراض داخله، يلتقي الرجل مع سمير جعجع الذي سبقه في ترشيح عون، وقد يسوق معه وليد جنبلاط الذي سبق أن دعا لانتخاب رئيس، حتى لو كان عون، ونبيه بري رئيس المجلس النواب النيابي الذي من الممكن أن يؤجل تمرير "سلّته" إلى ما بعد تطويب عون رئيسا. وإذا ما تم ذلك فإن المزاج السياسي العام لن يعارض طباع الكبار المتبدلة.

وترصد المنابر المتابعة إعادة تموضع لكافة مواقع الاعتراض التي كانت متوقعة، خصوصا داخل تيار المستقبل، باتجاه احتضان حراك الحريري، رغم خروج أصوات نيابية أعلنت أنها لن تصوّت لعون، ذلك أن المستقبليين يدركون أن حزبهم السياسي ما زال يعيش على تراث الحريري الأب، وأن ديمومة الحزب مرتبطة بتخلص الحريري الابن من مأزقه المالي من خلال مدخل سياسي شرعي يعيده رئيسا للحكومة اللبنانية، حتى لو كان شاغل بعبدا اسمه ميشال عون.

احتياطات أمنية من عمليات انتقامية في ذكرى أحداث ماسبيرو

سفارات غربية في مصر تحذر رعاياها من التواجد في الأماكن العامة

انتقدت مصر تحذيرا أصدرته سفارات غربية إلى رعاياها لتجنب المسارح والمراكز التجارية في القاهرة في نهاية الأسبوع بسبب تهديدات غير محددة. ووصفت القاهرة هذه التحذيرات بأنها "غير مبررة" كما قالت إن ذلك قد يضر باقتصاد البلاد.

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – أصدرت السفارة الأميركية بالقاهرة، الجمعة، بيانا نصحت فيه رعاياها بتجنب التجمعات الكبيرة والأماكن العامة ودور السينما والمتاحف ومراكز التسوق والملاعب الرياضية خلال اليوم الأحد بسبب ما وصفته بـ"المخاوف الأمنية المحتملة".

وقالت السفارة الأميركية في رسالة إلى رعاياها "ينبغي أن يكون المواطنون على علم بمحيطهم وممارسة احتياطات أمنية جيدة في جميع الأوقات".

في الوقت نفسه قالت السفارة الكندية في القاهرة على موقعها على شبكة الإنترنت إنه من الضروري أخذ تحذير السفارة الأميركية لرعاياها بعدم التواجد في الأماكن العامة يوم 9 أكتوبر في محيط القاهرة بشكل جديّ.

وقالت السفارة الكندية إن الموقف في مصر غير متوقع وأوردت بعضا من التواريخ حذرت مواطنيها من التواجد في الأماكن العامة خلالها، من ضمنها ثورة 25 يناير.

فيما أعربت الخارجية المصرية عن انزعاجها من تحذيرات السفارة الأميركية رعاياها، وطالبت السفارات الأجنبية بتوخي الحذر في إطلاق مثل تلك التحذيرات التي اعتبرتها "غير مبررة".

وقال أحمد أبو زيد، المتحدث باسم الخارجية المصرية في بيان، إن السفارة الأميركية أبلغت الخارجية أنه لا توجد تهديدات أمنية محددة متوقعة في 9 أكتوبر الجاري، وأن تلك التحذيرات جاءت في سياق روتيني احترازي تقوم به السفارة.

وكانت السفارة البريطانية، انضمت السبت إلى الولايات المتحدة وكندا، وقامت بتوجيه تحذير لرعاياها على المنوال نفسه.

وتأتي تلك التحذيرات بالتزامن مع الذكرى الخامسة للأحداث المعروفة باسم "أحداث ماسبيرو" التي وقعت أمام مقر التلفزيون الحكومي الرسمي في 9 أكتوبر عام 2011 وراح ضحيتها العشرات من القتلى من شباب الأقباط.

وعادة تطلق السفارات والهيئات الأجنبية العاملة في مصر تحذيرات مماثلة لرعاياها في أوقات مرتبطة بأحداث واشتباكات الثورة المصرية في 25 يناير عام 2011.

قال اللواء رفعت عبدالحميد، الخبير الأمني المصري لـ"العرب"، إن الهدف من التحذيرات الأمنية يختلف من دولة إلى أخرى على حسب طبيعة الأوضاع داخلها، مرجّحا أن تشهد مصر أحداثا أمنية في اليوم الذي حددته السفارات الثلاث، بالرغم من عدم ارتباطه بأيّ حدث سياسي أو أمني كبير، إلا أنه قد يكون متعلقا بوجود غضب شعبي ومظاهرات تجاه قرار قد تتجه الحكومة لاتخاذه فيما يتعلق ببعض السياسات الاقتصادية.

وخلّفت بيانات كل من سفارات الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا، مخاوف في مصر، واختلفت التفسيرات حول المقصود منها، إذ أن البعض ارتكن إلى إمكانية حدوث عمليات إرهابية للرد على مقتل القياديين بجماعة الإخوان المسلمين وهما محمد كمال وياسر شحاتة قبل أيام.

وذهب البعض للتأكيد على أن تلك التحذيرات قد تكون ناتجة عن معلومات بشأن وقوع أحداث إرهابية، من قبل الجماعات الإسلامية المتشددة لضرب السياحة مرة أخرى، بعد أن بدأ عدد من الدول بفك الحظر عن رحلاتها الجوية إلى مدينة شرم الشيخ.

وذهب مراقبون إلى أنها تأتي استباقا للتظاهرات التي دعت لها قوى سياسية مطلع الشهر المقبل للاحتجاج على زيادة الأسعار وصعوبة الأوضاع المعيشية، نتيجة لانخفاض قيمة الجنية أمام الدولار.

وأوضح سعيد صادق، أستاذ علم الاجتماع السياسي بالجامعة الأميركية في القاهرة لـ"العرب، أن صدور تحذيرات بهذه الدقة يشير إلى وجود معلومات بشأن احتمال وقوع أحداث بعينها.

وأضاف أن العلاقات المصرية الأميركية تسمح في الوقت الحالي بوجود اتصالات استخباراتية للإبلاغ عن أحداث بعينها، وهو ما يعني أن هناك تعاونا أمنيا بين البلدين، لكن بالتأكيد هناك بعض المعلومات التي قد لا تعلن عنها أجهزة الاستخبارات الأميركية للجانب المصري، وهي التي ترتبط بمصادر تلك المعلومات، بالتالي فإن التحذير هدفه زيادة الاستنفار.

وشدد سياسيون على أن رد الفعل المصري السريع على تلك البيانات والذي جاء شديد اللهجة، أمر غير معتاد على الحكومة المصرية، بما يدل على أن هذه التحذيرات تحمل طابعا أمنيا وسياسيا أيضا.

وفي خضم الجدل الذي أثارته هذه التحذيرات، أعلنت جماعة متشددة جديدة تسمي نفسها حركة سواعد مصر (حسم) مسؤوليتها عن مقتل أمين شرطة في محافظة البحيرة بدلتا النيل.

وقالت مصادر أمنية إن مسلحين يستقلان دراجة نارية أطلقا النار على جمال الديب أمام منزله في مدينة المحمودية في الساعات الأولى من صباح السبت.

الاحتياط واجب

أوباما شاهد زور في سوريا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ ما هو الموضوع السوري الأساسي الذي ترفض الإدارة الأميركية التعاطي معه؟

الموضوع بكل بساطة هو تفتيت سوريا أكثر ممّا هي مفتتة. إلى الآن، تلعب إدارة باراك أوباما دور الشريك في عملية التفتيت هذه لا أكثر. سيكون كافيا التصعيد الروسي بالأفعال والكلام في الوقت ذاته، حتّى تبقى إدارة أوباما في موقف المتفرّج على مأساة مدينة عريقة مثل حلب، تحديدا، التي تعتبر أكبر مآسي القرن الواحد والعشرين.

تبقى مأساة حلب جزءا من مأساة سوريا الدولة المهددة بالزوال بسبب إدارة أميركية لا تمتلك سوى سياسة واحدة تقوم على القيام تماما بعكس ما قامت به إدارة جورج بوش الابن. ارتكبت إدارة بوش الابن بين 2000 و2008 كلّ الأخطاء التي يمكن ارتكابها في الشرق الأوسط وذلك عندما انتقمت من صدّام حسين وياسر عرفات ردّا على "غزوتي نيويورك وواشنطن" أي ما يعرف بأحداث الحادي عشر من أيلول - سبتمبر 2001.

أنهت ياسر عرفات على يد أرييل شارون، علما أن لا علاقة له من قريب أو بعيد بـ"الغزوتين" وقررت الردّ على "القاعدة" وأسامة بن لادن في أفغانستان والعراق، علما أن في الإمكان اتهام صدّام حسين بكلّ شيء باستثناء أحداث الحادي عشر من أيلول - سبتمبر.

> جورج بوش الابن لم يكن يعرف شيئا عن الشرق الأوسط. ذهب بعيدا في تورطه في عملية إعادة تشكيل المنطقة. يبدو أن باراك أوباما سيذهب إلى أبعد ما ذهب إليه سلفه في عملية الإخلال بالتوازن وذلك بإعطاء روسيا وإيران دورا حاسما في تحديد مستقبل سوريا بعدما أعطى بوش الابن إيران دورا مفصليا في الانتهاء من العراق

كان احتلال العراق وتسليمه على صحن من فضّة إلى إيران بداية زلزال ما زالت ارتجاجاته تتردّد في كلّ أنحاء الشرق الأوسط. كانت الكارثة الكبرى في إسقاط صدّام حسين ونظامه من دون التفكير بالبديل في منطقة كان العراق يشكّل فيها عامل توازن مع إيران.

لم تكن الحدود بين العراق وإيران حدودا بين بلدين، بل كانت "حدودا بين حضارتين كبيرتين"، وهي تتحكّم بالتوازن الإقليمي، على حدّ تعبير الرئيس فرنسوا ميتران مطلع ثمانينات القرن الماضي. وقتذاك، أعطى الرئيس الفرنسي الراحل هذا التفسير لأسباب تدخل فرنسا إلى جانب العراق في حربه مع إيران عندما بدأت الكفة تميل عسكريا لمصلحة الأخيرة.

لم يكن جورج بوش الابن يعرف شيئا عن الشرق الأوسط. ذهب بعيدا في تورّطه في عملية إعادة تشكيل المنطقة. يبدو أن باراك أوباما سيذهب إلى أبعد ما ذهب إليه سلفه في عملية الإخلال بالتوازن وذلك بإعطاء روسيا وإيران دورا حاسما في تحديد مستقبل سوريا بعدما أعطى بوش الابن إيران دورا مفصليا في الانتهاء من العراق.

من الواضح أن كلّ الكلام عن رد أميركي على ما ترتكبه روسيا وإيران في حلب سيظلّ كلاما بكلام. المهمّ ما يجري على الأرض وليس في أروقة الأمم المتحدة. هناك سياسة أمر واقع تفرضها روسيا وإيران تشبه إلى حد كبير الأسلوب الإسرائيلي في وضع المنطقة والعالم أمام حقائق جديدة على الأرض تسمّى الاحتلال.

تمارس إسرائيل سياسة تقوم على التظاهر بالتفاوض من جهة ومتابعة الاستيطان من جهة أخرى. شيئا فشيئا تبتلع إسرائيل الضفّة الغربية كي لا يبقى للفلسطينيين مكان يقيمون فيه دولة مستقلّة "قابلة للحياة" في يوم من الأيام. لعلّ أخطر ما في المواقف الأخيرة الصادرة عن موسكو تحذير واشنطن من مغبّة أيّ تدخل في سوريا ردّا على المجازر التي ترتكب في حلب. صارت روسيا تهدد الطرف الذي هزمها في الحرب الباردة. كلّ ما يريده فلاديمير بوتين من باراك أوباما هو أن يكون شاهد زور على المجازر وعلى عمليات التدمير التي ترتكب في سوريا. الهدف يبدو واضحا كلّ الوضوح ويتمثل في تغيير طبيعة المجتمع السوري عن طريق تهجير أكبر عدد من السكان من المدن الكبرى والإتيان بآخرين يحلّون مكانهم.

لا مجال لأدنى شكّ في أن موسكو وطهران تمتلكان، على الصعيد السوري، خطّة محددة المعالم، فيما إدارة أوباما في حال ضياع واستسلام لما تقرّره روسيا وإيران. لا يمتلك باراك أوباما حدّا أدنى من

«11 سبتمبر» على الطريقة الروسية الإيرانية

الشعور الإنساني ليسأل فلاديمير بوتين أو علي خامنئي كم عدد السوريين الذين يجب أن يموتوا أو أن يُهجّروا من أرضهم وبيوتهم كي تصبح سوريا منطقة نفوذ روسية - إيرانية بغطاء تركي وإسرائيلي؟

ليس سرّا أن التنسيق الروسي - الإسرائيلي على قدم وساق، فيما تبدو تركيا وكأنها نسيت شيئا اسمه مدينة حلب. في الأمس القريب كانت حلب خطا أحمر بالنسبة إلى تركيا. اليوم لم يعد رجب طيب أردوغان ينظر إلى سوريا إلّا من خلال الورقة الكردية التي يمكن أن تلعبها أميركا وروسيا وإيران ضدّه. كان كافيا استرضاء أردوغان وتحييده بإظهار هذه الورقة حتى يتحول، بدوره، إلى دور المتفرّج تجاه عملية تدمير حلب.

يبقى أنّ أغرب ما في المشهد السوري حاليا أن روسيا قرّرت أن يكون لها وجود عسكري دائم في سوريا. هل يحق لنظام لا يمتلك أيّ شرعية من أيّ نوع كان الإتيان باستعمارين لحمايته؟

بوجود إدارة مثل إدارة باراك أوباما، أصبح كلّ شيء ممكنا، بما في ذلك تجميع أكبر عدد من المهجّرين السوريين في إدلب من أجل تنفيذ عملية إبادة شاملة لهؤلاء في مرحلة لاحقة. لا يمكن فهم تهجير أهل داريا إلى إدلب ودعوة بشار الأسد سكان حلب إلى مغادرة مدينتهم والانتقال إلى مكان آخر، سوى بالإعداد للمجزرة الكبرى في إدلب..

نشهد حاليا الفصول الأخيرة من كارثة اسمها جورج بوش الابن الذي تدخل في العراق.. وصولا إلى كارثة أكبر اسمها باراك أوباما الذي يرفض التدخل في سوريا. ليس مطلوبا إرسال قوات أميركية إلى هذا البلد. المطلوب أكثر من أيّ وقت إفهام روسيا أن كلّ كلام عن التمييز بين "النصرة" وبقية المقاتلين "المعتدلين" لا معنى له، إلا إذا كان الهدف إيجاد مبرّر للمجازر التي ترتكب.

ما مغزى التركيز على مجموعات إرهابية مثل "النصرة" وتجاهل المجموعات الإرهابية، من نوع الميليشيات الشيعية العراقية واللبنانية، التي تدعم النظام السوري؟ هل إرهاب "النصرة"، الذي لا يمكن الدفاع عنه في أيّ شكل، إرهاب مدان، فيما إرهاب الميليشيات الشيعية والقصف الروسي والبراميل المتفجرة التي يلجأ إليها النظام إرهاب من النوع المستحبّ والمتمدّن؟

انتهت الإدارة الأميركية الحالية إلى أن تكون مجرّد فرصة كي تنفذ روسيا وإيران مشروعهما في سوريا. إنّه مشروع استعماري قائم على عملية تطهير سوريا من السنّة العرب الذين يشكّلون نسبة تفوق ثلاثة أرباع السكان. سيظل السؤال المطروح في المستقبل المنظور هل تمكن إعادة تشكيل سوريا من دون السوريين، أم كلّ ما في الأمر أن المطلوب الانتهاء من سوريا التي عرفناها؟ هذا ما يحصل تدريجيا في الوقت الذي يستعدّ فيه باراك أوباما لمغادرة البيت الأبيض.

لن تجد الإدارة الجديدة أكانت برئاسة هيلاري كلينتون أو دونالد ترامب سوى أمر واقع جديد. في أساس هذا الأمر الواقع تفريغ سوريا من السوريين وتدمير المدن الكبيرة مثل حلب وحمص وحماة وتطويق دمشق بأحزمة ذات طبيعة مذهبية من أجل تحويلها إلى مجرّد جزيرة صغيرة يقيم فيها بشار الأسد الذي سيقتصر دوره على توفير "شرعية" للاستعمارين الروسي والإيراني.

كيف لنظام لا يمتلك شرعية من أيّ نوع توفير شرعية لقوّتين أجنبيتين تلعبان دور المستعمر؟ تلك هي ثمرة سياسة باراك أوباما في الشرق الأوسط!

الحكومة العراقية ليست هي العراق

ابراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ من الصيغ المستخدمة في الأوساط الدبلوماسية وأجهزة الإعلام الدولية نسبة أيّ نشاط أو تصريح لرئيس جمهورية أو رئيس وزراء أو رئيس برلمان إلى الدولة التي ينتمي إليها، فيقال، (أميركا تقرر)، و(بريطانيا تعلن)، و(فرنسا تدعو) حين يقرر الرئيس أو يعلن الوزير أو يدعو السفير، وذلك في الدول التي تحترم نفسها، والتي يصحّ أن يُعتبر كبار المسؤولين فيها ممثلين حقيقيين لحكوماتها وشعوبها.

والسبب بسيط لمثل هذا التصرف وهو أن رؤساء هذه الدول ووزراءها وسفراءها لم يتبوّأوا مراكزهم بالمحاصصة، ولم يشتروها بالمال المختلس من خزينة الدولة، أو لم يكتسبوها بقوة سلاح ميليشياتهم، أو بجيوش دولة أجنبية غازية سهّلوا لها احتلالها لبلادهم، أو بأموال مخابرات أجنبية اشترت ضمائرهم ليكونوا لها جواسيس ووكلاء مؤتمنين على مخططاتها.

على هذا يصبح من غير المنطقي ولا من العدل ولا الإنصاف أن نقول إن (العراق يعلن)، و(العراق يقبل)، و(العراق يرفض)، حين يكون رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو رئيس البرلمان أو الوزير أو النائب هو الذي يعلن، وهو الذي يقبل، وهو الذي يرفض، وليس العراق. والقاصي والداني يعرفان كيف جلس الرئيس على كرسي الرئاسة، ومن سلّط الوزير والنائب على البلاد والعباد، بغير الإرادة الحرة والحقيقية لعشرات الملايين من المواطنين المستضعفين أو المضللين أو المخدرين.

وإذا نظرنا إلى ما أعلنته المفوضية العامة العراقية للانتخابات، قبل أيام، بخصوص الذين سجلوا أسماءهم للتصويت في الانتخابات المقبلة فسوف نجد أنهم ثمانية ملايين فقط، من اثنين وثلاثين مليونا، أي ربع سكان العراق.

وإذا سارت الانتخابات المقبلة كسابقتها، ولا شك في أنها ستسير كما سارت من قبل، فلن يتمكن ثلث هذه الملايين الثمانية من الوصول إلى صناديق الاقتراع، بفعل حواجز مصطنعة ومتفجرات ومفخخات، وبأيّ عوائق أخرى اعتاد عليها العراقيون أيام التصويت.

وبهذا لن يتجاوز عدد الواصلين إلى الصناديق أكثر من خمسة ملايين ومئة ألف. ولنقل إن نصف هؤلاء سيكونون مسوقين بفتوى رجل دين، أو قرار شيخ، أو رئيس، أو وزير، أو نائب، يمسك عليهم رزقهم، أو يقدر على أذاهم وأذى عوائلهم، سيكون عدد المقترعين النهائي مليونين وستمئة ألف، فقط لا غير. بعبارة أوضح. مليونان وستمئة ألف ناخب أغلبهم لا يعون ولا يعقلون يصنعون مصير شعب بأكمله لا حول له ولا قوة.

والعراقيون يحفظون الآلاف من القصص والحكايات المضحكة المبكية عن حالات قتل وخطف وقطع طرق وترغيب بأموال أو بقطع أرض وهمية فضائية وزعها (س) و (ص) على الناخبين، أو بتزوير.

ولو عدنا إلى عدد الأصوات التي دخل بها هذا النائب أو ذاك إلى قبة البرلمان لوجدنا العجائب. فنحن نعرف أكثر من نائب يصرخ على شاشات التلفزيون مناديا بالإصلاح ومحاربة الفساد لم يحصل في الانتخابات السابقة إلا على ألف أو ألفي صوت فقط من أصوات اثنين وثلاثين مليونا من العراقيين، فمد له (عمه) أو (صهره) أو شريكه في الاختلاس يد العون، وأهداه ما يحتاجه من أصوات تدخله قبة البرلمان لينوب عن العراقيين، كلهم، في تجليس رئيس جمهورية، وتتويج رئيس وزراء، ووزراء وسفراء وقادة أمن واقتصاد وثقافة وزراعة وماء وكهرباء، وليصبح، في سنة أو سنتين، من أصحاب الملايين القادرين على شراء مقعده في البرلمان في أيّ انتخابات مقبلة.

ولا يقف المسلسل عند هذا وحسب، بل صار من حق حكومة من هذا النوع، وهيئة برلمانية على هذه الشاكلة، أن تدعو جيوش دولة أجنبية لتحتلّ وطنها وشعبها، باسم الأخوّة والصداقة والسيادة، حتى حين تعلن تلك الدولة، دون خوف ولا حياء، أن الوطن العراقي عاد إلى ممتلكاتها (المغتصبة)، وأصبحت، هي وحدها، الحاكمة التي تأمر فيه وتطاع، ولها وحدها أن تعيّن رؤساءه ووزراءه وسفراءه، وأن تقرر، هي وحدها أيضا، مَن عدوّ حكومته (الوطنية)، ومَن عدوّها، وتغضب وتثور وتأمر وكلاءها وعبيدها بأن يهبّوا غاضبين مهددين ولاطمين خدودهم على السيادة فقط لأن دولة أخرى، معتدية وغازية، تجرأت وأقامت لها قاعدة عسكرية صغيرة في مدينة واحدة من هذا الوطن المباح.

والسجال الدائر حاليا بين إيران خامنئي وفريقها العراقي من جهة، وبين تركيا أردوغان وفريقها العراقي العربي الكردي، حول السيادة (المغشوشة) يذكرنا بسلسلة الحروب التاريخية المدمرة المتعاقبة بينهما على أرضنا، وفي شوارع مدننا وقرانا، وحول مدارسنا ومستشفياتنا، والتي يدفع كبارنا وصغارنا أثمانها الباهظة.

وفي كل مرة كان الصفويون يتمكنون من بسط هيمنتهم على بلادنا كان العثمانيون يسارعون فيحتلّونها، ويطردونهم منها، ويلاحقونهم، ويقاتلونهم في بلادهم ذاتها. والظاهر أن التاريخ اليوم يعيد نفسه، في حلقة جديدة من تلك الحروب الخاسرة الغبية التي لم تعد، ولن تعود علينا وعليهم، في النهاية، سوى بالدمار والخراب.

> في كل مرة كان الصفويون يتمكنون من بسط هيمنتهم على بلادنا كان العثمانيون يسارعون فيحتلونها، ويطردونهم منها، ويلاحقونهم، ويقاتلونهم في بلادهم ذاتها. والظاهر أن التاريخ اليوم يعيد نفسه، في حلقة جديدة من تلك الحروب الخاسرة الغبية التي لم تعد، ولن تعود علينا وعليهم، في النهاية، سوى بالدمار والخراب

وماذا بشأن التدخل الإيراني!

وحكومة حزب الدعوة وشركائه أعضاء الائتلاف (الوطني) تقول إن القوات الإيرانية موجودة بطلب من الحكومة. ورئاسة إقليم كردستان العراق تقول إن القوات التركية موجودة بموافقة حكومية أيضا. وفي الحالين لا يمكن اعتبار هذه وتلك إلا خيانة وعمالة وسمسرة على حساب الوطن والمواطنين.

فهل يحق لأحد بعد ذلك أن يقول إن (العراق يرفض) و(العراق يطلب) حين يكون رئيس جمهورية أو رئيس وزراء هو الذي يرفض ويطلب، برغم أنف الاثنين والثلاثين من الملايين العراقية البائسة المغلوبة على أمرها؟ أليست هذه حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة وعلي بابا والأربعين حرامي؟

خلاصات من انتخابات المغرب

إدريس الكنبوري
كاتب مغربي

❏ شكلت انتخابات السابع من أكتوبر بالمغرب محطة سياسية مهمة جدا لقياس مدى التقدم الذي حصل في العملية الديمقراطية بالبلاد، واختبار دستور 2011، وشعار "الإصلاح في ظل الاستقرار" الذي رفعه المغرب عقب أحداث الربيع العربي قبل خمس سنوات. وتبين اليوم أن مختلف الفرقاء السياسيين استطاعوا التكيف معه، وإن حصل ذلك في ظل حالة من المشاحنات السياسية خلال ولاية الحكومة السابقة.

ولعل هذه الانتخابات، التي جرت في أجواء هادئة، على عكس التوقعات التي رشحت أثناء الحملة الانتخابية، تعد تجربة فريدة يمكن الخروج منها بخلاصات أو دروس. أولى تلك الخلاصات أن العملية السياسية تجري ضمن إطار محدد يشكل حاجزا أمام التوترات التي من شأنها أن تمس بالاستقرار السياسي أو تهدد ما يسميه المغاربة "التوابث"، وهي المؤسسة الملكية والإسلام والوحدة الترابية للبلاد. ذلك أن هذه العملية السياسية لا تتعلق بالنظام الملكي الذي يحقق حوله الإجماع بين مختلف التوجهات، الأمر الذي يشكل ضمانة للاستقرار والاستمرار في ذات الوقت. فالتباري السياسي يقع في إطار التدبير للشأن العام بعيدا عن المؤسسة الملكية التي تظل مناط الشرعية الكبرى في الدولة، ويعد هذا عنصرا أساسيا في منع سقوط المغرب في المزالق التي حصلت في بلدان أخرى.

> الانتخابات أجريت في مناخ مشحون طبعته ردود الفعل المتبادلة بين الإسلاميين وخصومهم، خاصة حزب الأصالة والمعاصرة الذي كان ينافس على المرتبة الأولى، وهو ما أدى إلى هبوط في الخطاب السياسي لدى الطبقة السياسية بوجه عام، تمثل في المواجهات اللفظية والانزلاق بالأسلوب السياسي إلى التخوين والعمالة، واختلاق معارك ذات طابع سوسيو - ثقافي

الخلاصة الثانية ترتبط بثقافة التوافق التي نجح المغرب في تجريبها خلال أكثر من عقد من الزمن، أي منذ انتخابات عام 2002، والتي بمقتضاها أصبحت الجولات الانتخابية تحظى بنوع من الإجماع حولها من لدن مختلف الفاعلين السياسيين، بعيدا عن الاتهامات التي كانت توجّه إلى الدولة أو وزارة الداخلية بالتزوير وتحريف النتائج لخدمة حزب معين.

ويعود ذلك من ناحية إلى الوعي المتحصل لدى الدولة والطبقة السياسية معا بأهمية الانتخابات في عكس الإرادة العامة للمواطنين، ومن ناحية ثانية إلى رغبة العاهل المغربي الملك محمد السادس في تمكين البلاد من انتقال ديمقراطي حقيقي يتم في ظروف مرنة وتطور تراكمي.

الخلاصة الثالثة أن هذه الانتخابات أجريت في مناخ مشحون طبعته ردود الفعل المتبادلة بين الإسلاميين وخصومهم، خاصة حزب الأصالة والمعاصرة الذي كان ينافس على المرتبة الأولى، وهو ما أدّى إلى هبوط في الخطاب السياسي لدى الطبقة السياسية بوجه عام، تمثل في المواجهات اللفظية والانزلاق بالأسلوب السياسي إلى التخوين والعمالة، واختلاق معارك ذات طابع سوسيو - ثقافي مارسه بالخصوص حزب الأصالة والمعاصرة الذي صاغ خطابه السياسي ضد الإسلاميين بعيدا عن محاسبة البرامج وسياسة التدبير اليومي لمعاش الناس. وحاول اصطناع معارك فكرية لا لزوم لها في سياق استحقاق انتخابي يرتكز أساسا على الأرقام والمعطيات والبرامج، ما جعله خطابه الانتخابي خارج السياق.

تتمثل الخلاصة الرابعة في الإمكانية التي أتيحت لحزب العدالة والتنمية الإسلامي بسبب ضعف الإقبال على صناديق الاقتراع. فالحزب يتوفر على كتلة ناخبة شبه مستقرة، سواء في المدن أو الأرياف، تضمن له فوزا مريحا في كل استحقاق انتخابي، بحيث يمكن القول إن العزوف عن التصويت شكل جزءا من الروافد الانتخابية التي استند عليها الحزب في الحفاظ على موقعه؛ ويساهم توظيفه للخطاب الديني وتوظيفه لنزعة المظلومية السياسية أمام خصومه في دفع الناس إلى التعاطف معه، وهو ما استثمره بعناية طيلة ولايته الحكومية السابقة، واستطاع التركيز عليه خلال حملته الانتخابية.

يقابل هذه الصورة ضعف الأحزاب السياسية، خاصة منها التقليدية، في تأطير المواطنين والحضور المستمر وسط الناخبين؛ وقد أدّى ذلك خلال العقدين الماضيين إلى خسارة تلك الأحزاب للمعين الانتخابي الذي كانت تعتمد عليه، وهو ما وظفه حزب العدالة والتنمية لصالحه. بل إن هذا الأخير استطاع استقطاب جزء من الطبقة الوسطى التي كانت في الماضي رافدا انتخابيا بيد اليسار والاتجاه الليبرالي، على الرغم من الحصيلة الحكومية السلبية التي تضررت منها خلال السنوات الخمس الأخيرة.

عملية سياسية محكمة

الخلاصة الخامسة أن هذه الانتخابات كرست بشكل شبه نهائي هندسة سياسية جديدة في البلاد يهيمن عليها كل من حزب العدالة والتنمية من جهة والأصالة والمعاصرة من جهة ثانية، واللذين حصلا على المرتبتين الأولى والثانية على التوالي، وأنهت خمسة عقود من احتكار حزب الاستقلال وحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية للمشهد السياسي بالمغرب. فقد احتل الأول المرتبة الثالثة بفارق كبير جدا عن الحزب الذي احتل الرتبة الثانية، بـ31 مقعدا، بينما احتل الاتحاد الاشتراكي المرتبة السابعة بـ14 مقعدا فقط، ويعد هذا الأخير أكبر الخاسرين في هذه الانتخابات.

الخلاصة السادسة والأخيرة تتعلق بوضعية الانقسام التي بدأت تحصل داخل المجتمع نتيجة حالة التقاطب التي حصلت بين توجّهين رئيسيين في البلاد، التوجه الإسلامي أو المحافظ الذي يعبّر عنه حزب العدالة والتنمية، والتوجه الليبرالي الحداثي الذي يعكسه حزب الأصالة والمعاصرة. وهي وضعية دفعت ثلاثة أحزاب يسارية - كانت في السابق ترفض المشاركة في الانتخابات - إلى الاندماج في تنظيم موحد هو "فيدرالية اليسار الديمقراطي" وخوض الانتخابات تحت شعار الخط الثالث، لخلق نوع من التوازن، بيد أن ضعف تمثيلية هذه الأحزاب الثلاثة في المجتمع يجعل قدرتها على لعب دور التوازن شبه منعدمة.

وأعتقد بأن الطبقة السياسية ستخرج من هذه المحطة الانتخابية أكثر وعيا بضرورة وضع تشخيص للمرحلة السياسية وتجديد بناها وهياكلها وتطوير خطابها، ذلك أن الحديث عن الأزمة التي تتخبط فيها هذه الأحزاب لم يعد أسير الصالونات المغلقة بقدر ما أصبح خطابا منتشرا لدى عموم المواطنين والمراقبين والمثقفين.

مراقبو الانتخابات: المغرب يكسب الرهان

□ الرباط – نجح الاستحقاق الانتخابي، الذي عاش على وقعه المغرب، خلال الأيام الماضية، في أن يبرهن صحة المسار الإصلاحي الذي تسير على دربه البلاد.

ويشهد بذلك المراقبون الدوليون الذين قاموا بمتابعة أجواء الانتخابات البرلمانية منذ اليوم الأول لحملاتها.

من هذه الشهادات تصريحات لإيان ليدل غرانجي رئيس بعثة الجمعية البرلمانية لمجلس أوروبا المكلفة بملاحظة الانتخابات التشريعية، أكد فيها أن "أعضاء بعثتي لم يشاهدوا ولم يلاحظوا أيّ مخالفات"، خلال هذه الاستحقاقات، مبرزا أنه "كانت هناك تقارير بمخالفات، لكننا لم نلاحظ أيّ مخالفات خطيرة".

ورحب غرانجي بالتعديلات التشريعية التي أجراها المغرب، خاصة ما يتعلق بفتح المجال أمام المزيد من مشاركة النساء والشباب، مسجلا أن نظام التسجيل يمكن أن تجرى عليه تحسينات.

واقترح رئيس بعثة الملاحظة إحداث لجنة مركزية عليا للانتخابات تكون مستقلة لا علاقة لها بالسلطة العمومية، معتبرا أن من شأنها أن تساعد الأحزاب وليس فقط الإدارة المركزية. ورصد أيضا تأخر الأحزاب في تقديم برامجها، مما أثر على نسبة المشاركة، مشيرا إلى مطالبة مغاربة العالم بإيجاد طرق بديلة عوض التصويت بالتفويض.

وقال إن العملية الانتخابية "تتغير وتتطور باستمرار حتى في البلدان التي تعرف ديمقراطيات عريقة، وهذا ما شاهدناه في المغرب"، مبرزا أن البعثة رصدت بعض الجوانب القابلة للتحسين، في شهادة يدعمها تصريح رئيس الشبكة العربية للمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان، موسى بريزات، الذي قال بدوره إن إجراءات التنظيم والإشراف على الانتخابات التشريعية "مميزة".

ونقلت وكالة المغرب العربي للأنباء، عن بريزات، الذي سبق أن شارك في مراقبة الانتخابات الجماعية خلال السنة الماضية، "لاحظت تقدما واضحا في إجراءات التنظيم والإشراف" مقارنة مع الانتخابات السابقة"، مشيرا بالخصوص إلى تسهيل عملية الاقتراع على المواطن والشفافية في غرفة صندوق الاقتراع.

وأوضح أنه توفرت في عملية الاقتراع والفرز مقتضيات النزاهة والشفافية بالحد المطلوب ولم يلحظ المراقبون ما من شأنه أن يؤثر على نزاهة عملية الاقتراع والفرز أو يؤثر في نتيجة الاقتراع أو يمس بإرادة الناخبين أو يوحي بعدم حيادية لجان الاقتراع والفرز.

في المقابل، لفت رئيس الشبكة العربية للمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان إلى أن الفريق لامس بعض "الادعاءات المحدودة" حول عملية الاقتراع، مؤكدا أنها كانت "حوادث فردية لم نتثبت منها ولم تكن لتؤثر على نتيجة الاقتراع".

استهداف «سويفت».. قرصنة بحرية لا يجب أن تمر

سالم الكتبي
كاتب إماراتي

❏ لا شك أن استهداف سفينة المساعدات المدنية "سويفت" من جانب ميليشيات الحوثي والرئيس اليمني السابق علي عبدالله، مؤخرا، يمثل حالة انتهاك صارخة للقوانين والأعراف الدولية وبرهان جديد على ما تمثله هذه الميليشيات والتنظيمات المارقة من تحد وتهديد للأمن والاستقرار الإقليمي والدولي.

السفينة "سويفت" إحدى السفن التي تسهم في نقل المساعدات الإنسانية والجرحى اليمنيين لتلقي العلاج. وهي سفينة مدنية لا تعمل تحت غطاء أو حماية عسكرية من أيّ نوع كونها تعمل في إطار غير عسكري. وتستخدم الممر المائي الدولي في باب المندب شأنها شأن جميع سفن الشحن والإغاثة المدنية المماثلة، وكونها تابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة أو ترفع علمها لا يفترض أن يعني بالتبعية تعرضها للاستهداف العسكري من جانب ميليشيات متمردة، لا سيما أن السفينة تعمل في نطاق إنساني إغاثي بحت.

عندما تتعرض سفينة شحن تجارية للاعتداء الآثم أثناء مرورها في ممر بحري دولي يخضع للقوانين والقواعد الدولية المنظمة للعبور في الممرات والمياه الدولية، نصبح في مواجهة حالة انتهاك صارخة للقانون الدولي. ويصبح الحديث عن الأمن البحري وحرية الملاحة في الممرات والمعابر الدولية بحاجة إلى وقفة متأنية من جانب المجتمع الدولي والقوى الدولية المعنية بأمن واستقرار هذه المعابر والممرات.

هذه الحادثة خطيرة ولها العديد من الدلالات والأبعاد التي تتعلق بالأمن والاستقرار في منطقة ذات حساسية بالغة بالنسبة إلى حرية الملاحة، حيث تعكس الحادثة تورط ميليشيات الحوثي في جريمة قرصنة بحرية بقيامها بالاعتداء على سفينة مدنية مخصصة لنقل الجرحى والمساعدات الإنسانية.

لم يكن الاعتداء الآثم على هذه السفينة سوى محاولة لانتزاع انتصار إعلامي وهمي، حيث سعت ميليشيات الحوثي إلى الادعاء بإغراق "بارجة بحرية إماراتية"! لكن غباء القائمين على هذه الميليشيات أعماهم عن إمكانية كشف الحقائق في ساعات معدودات، فالسفينة معروفة ولديها سجل سابق في العمل على المستوى الإغاثي المدني. وقامت على مدار الأشهر الماضية بنقل مئات الأطنان من المساعدات الإنسانية والمئات من الجرحى اليمنيين لتلقي العلاج اللازم، كما تكشفت الحقائق التي تؤكد أن السفينة يديرها طاقم متعدد الجنسيات يتكون من هنود وأوكرانيين ومصريين وليتواني وفلبيني وأردني، حيث تعرض أفراد الطاقم إلى اعتداء آثم ويتلقون العلاج الآن في دولة الإمارات العربية المتحدة.

من يستهدف أمن بلاده لن يتوانى عن استهداف قوافل إغاثة أبناء بلاده

إن الصمت الدولي على مثل هذه الممارسات إنما يسمح بتصعيد خطير في المياه الدولية في تلك المنطقة الحساسة، وبما يمثل تهديدا خطيرا للأمن الملاحي فيها. والمعروف أن العالم لا يزال يعاني ويدفع فاتورة باهظة التكلفة على التردد في مواجهة عصابات القرصنة البحرية في منطقة باب المندب وأمام سواحل الصومال وغيرها.

ولا شك أن الصمت على خطط الحوثي- صالح لتحويل المياه الدولية أمام سواحل اليمن إلى مصدر تهديد بحري جديد للسفن المدنية يمثل نقطة تحوّل نوعية بالغة الخطورة لا يجب الصمت حيالها، لا سيما أن الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح يدرك خطورة اللعب بهذه الورقة الحيوية وكيف أنها تمثل مصدر ضغط على القوى الإقليمية والمجتمع الدولي. ويصب السماح بمثل هذه الممارسات التي يقوم بها الحوثيون أمام سواحل اليمن مباشرة في خانة تمدد التهديد القائم للقرصنة البحرية في تلك المنطقة الحيوية.

والجريمة البحرية التي شهدتها سواحل المخا باستهداف سفينة الإغاثة "سويفت" هي اعتداء مباشر على القوانين والمواثيق الدولية الخاصة بحرية الملاحة في الممرات البحرية الدولية، كما يمثل اعتداء على المئات من الجرحى اليمنيين الذين ينتظرون نقلهم للحصول على العلاج.

لقد عانى المجتمع الدولي العديد من التجارب المريرة جراء الصمت على جرائم الاعتداء على القوانين والمواثيق الدولية، لذا فإن الصمت على جريمة الاعتداء على سفينة الإغاثة الإماراتية يعطي ضوءا أخضر لتكرار مثل هذه الجرائم.

وزير التربية الأردني معلّم رصين في مدرسة مشاغبين

محمد الذنيبات
بيروقراطي يجابه الليبراليين والإسلاميين

محمد قبيلات

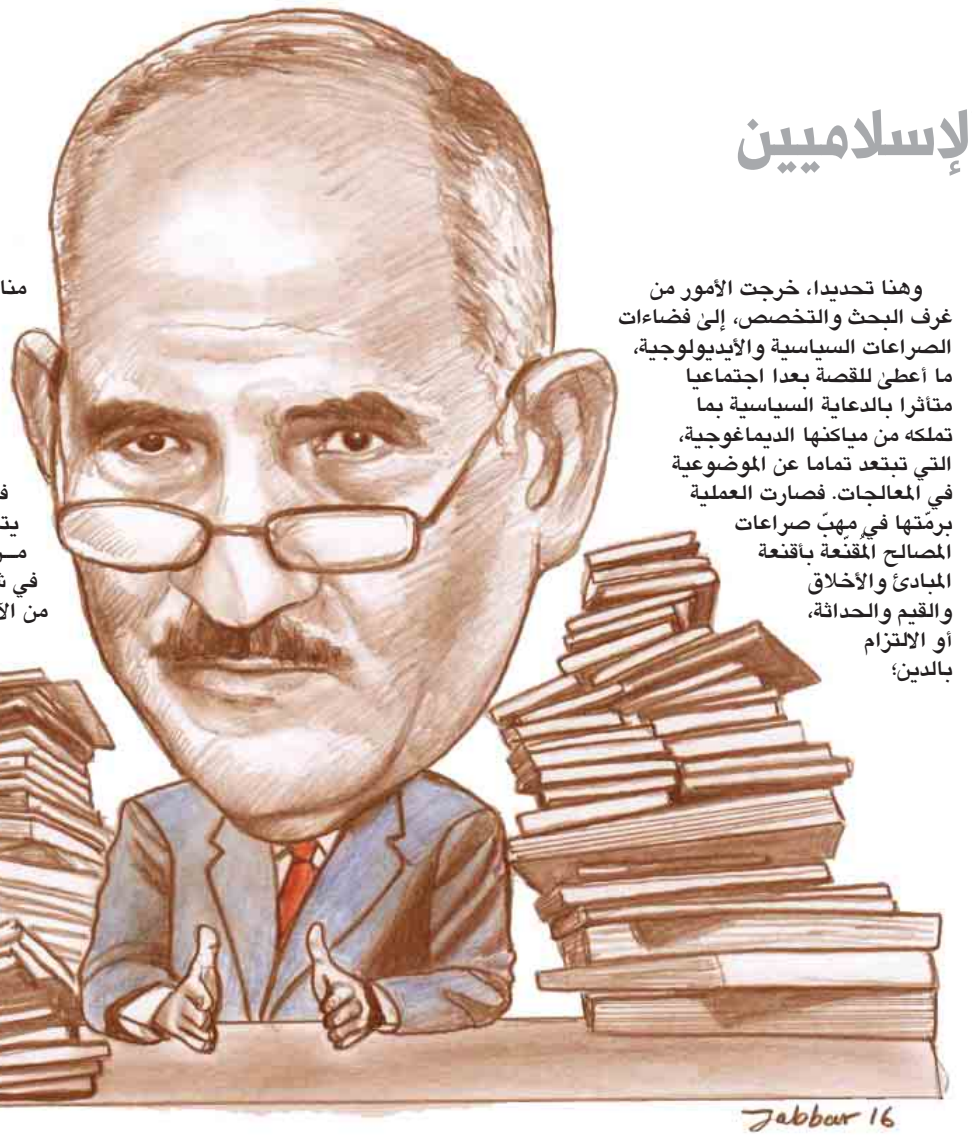

❑ **عمّان** – اشتغل المدرس الجامعي المعتَّق محمد الذنيبات ست سنوات في إصلاح القطاع العام. إذ عُيّن منذ عام 2001 وزير دولة لشؤون التنمية الإدارية، ولاحقا عُيّن وزيرا للتربية والتعليم، وبرتبة أعلى. تبوأ مركزا متقدما في الحكومة، وحافظ منذ سنوات، وحتى اليوم، على موقع نائب رئيس الوزراء إضافة إلى منصب وزير التربية والتعليم.

أستثني مما يثار من لغط شعبي حول الوزراء العابرين للحكومات، وسَلَمَ الجميع بأحقيته، عن جدارة، في حجز المقعد القيادي في التربية على مدى السنوات السابقة، وفي حكومات متعاقبة، لما أبداه من حزم في معالجة العملية التربويّة وضبطها، فقد بدأ بمعالجات حازمة للانفلات في امتحانات الثانوية العامة التي عرفت فوضى عارمة وعمليات "غش جماعي"، خلال السنوات السابقة لعهده، نتج عنها وصول طلاب أميين، بالمعنى الحرفي للكلمة، إلى مقاعد جامعية وتخصصات مهمة.

عودة البيروقراطية

الذنيبات دخل قطاع التربية والتعليم بخلفيته البيروقراطية؛ حاملا شعار ضبط الانفلات وإعادة الهيبة للمدرسة والمعلم، وكان تكليفه بهذا الملف بمثابة التجاوز الواضح على كل النظريات التي جرّبت في هذا القطاع. ولقد أبلى بلاء حسنا، فأصبح أنموذجا للنجاح، استحوذ على المديح من مستويات الدولة كافة، نتيجة عمله الحثيث والدؤوب، ما جعل الانطباع العام لدى مطابخ القرار يستقر على أن الحل في القطاعات المنفلتة هو استحضار الرموز البيروقراطية، بأدواتها القديمة التي كان، ما يسميه الشارع "السيستم"، قد استغنى عنها ووضعها على الرفوف، وليس أكثر دلالة على هذه الفرضية من استحضار وزير آخر أيضا، من المدرسة ذاتها، وتسليمه حقيبة الداخلية.

لكن جولة التصفيق انتهت الآن، واستفاق الجميع على سلبيات هذه التجربة، فالامتحانات جزء من العملية التعليمية، وليست كلها، فلقد بات ملموسا الآن أن هذا التشدد في أدوات القياس والتقويم كدّس جيشا جرارا من المعطّلين من العمل، لا يمتلكون أدنى المهارات، ما دعا المؤسسة التربوية إلى الانتقال لمستويات أخرى من الإصلاح والمعالجة، فبدأت بمحاولات، خلال السنوات الماضية، تمثلت بهيكلة التخصصات بعد الصف العاشر، واستحداث جديد، ثم إلغاء بعضها، برغم أنه تم إنشاؤها وسط حملة واسعة من التحفيز والترويج للتنظيرات الداعية لربط المخرجات التعليمية باقتصاد المعرفة وحاجات السوق، لكن من دون جدوى، فكل هذه المشروعات فقدت بريقها وهي في أوج جِدّتها.

كما تم الحَديث عن إعادة تأهيل المعلمين، لكن هذه عملية جبارة تحتاج إلى الكثير من الإمكانات غير الموجودة أصلا، وهذا يعيدنا إلى معهد التأهيل التربوي، الذي كان قد ألغي في وقت سابق، وهو معهد تابع لوزارة التربية تم تأسيسه لرفع كفاية المعلمين، وحقق الكثير في هذا المجال وعلى مدى سنوات طوال.

تطوير المناهج

أما تطوير المناهج، فهي معركة بكلّ ما تحمل الكلمة من معنى، وهي التي فتحت الباب واسعا لنقاشات لها بداية، لكن لم تتضح معالم نهايتها بعد. نتج عن تلك النقاشات المفتوحة تغييرات انتقائية متعجلة في المناهج، لم تراع الحساسيات، بل زادت جنوحا تجاه تخفيف الخطاب القومي الموجه ضد إسرائيل، وغيره من الأخطاء التي تسببت بتغيير المنهاج المقرر لأحد الفصول الابتدائية مرتين في عام واحد.

لكن التطور الأخطر هو أخذ ملف التطوير إلى نقاشات حادة بين التيارات الليبرالية والمؤسسات الدينية، وبدأت التراشقات بصليات أيديولوجية بين هذه التيارات، ولم تقف الأمور عند هذا الحد، بل دخلت أيضا مستويات وفعاليات اجتماعية أخرى على خط الأزمة، أوصلت الأمر إلى حالة تجييش وتحشيد في الأطراف والمحافظات، وصلت حد تظاهر العشائر ضد التعديلات، وحرق الكتب في ساحات المدارس.

الذنيبات خريج الجامعات الأميركية المرموقة، يحاول أن يمسك العصا من الوسط. فهو إداري تنفيذي، يبدع في سَلسَلة الإجراءات وضبطها بما يُنتج المستهدف من عملية التعليم الكلية، شريطة ألا يصطدم بأيّ تجاذبات للإجراءات من مراكز قرار مختلفة. فإن حدثت، وقد حدثت بالفعل، وقع الارتباك، وهذا على وجه التحديد ما تسبّب، كمؤشر على الارتباك، بتغيير مناهج الصفوف الابتدائية الثلاثة الأولى في عام 2015 والتراجع عن هذا التغيير في العام الذي تلاه.

تعويم النقاشات

اليوم؛ هناك مراكز قيادية حساسة في الدولة، تدفع باتجاه تحديث المناهج وتخليصها من النكهة الدينية، وهذا ما أثار غضب التيارات الدينية والمراكز المحافظة في الدولة، وأدى إلى خلق جو عام من التوتر المتسارع، لم يعد معه بوسع المعلم البيروقراطي ضبط الأمور.

وهنا تحديدا، خرجت الأمور من غرف البحث والتخصص، إلى فضاءات الصراعات السياسية والأيديولوجية، ما أعطى للقصة بعدا اجتماعيا متأثرا بالدعاية السياسية بما تملكه من مياكنها الديماغوجية، التي تبتعد تماما عن الموضوعية في المعالجات. فصارت العملية برمّتها في مهبّ صراعات المصالح المُقنّعة بأقنعة المبادئ والأخلاق والقيم والحداثة، أو الالتزام بالدين؛ ليدفع جيل كامل الثمن باهظا لهذه التداعيات الناتجة عن صراع الإرادات المدفوعة بمطامعها الآنية أو الشكلية.

يدافع الذنيبات عن فلسفة التربية، وسط اتهامات موجهة من قبل أكثر من طرف، مفادها افتقار المؤسسة التعليمية لفلسفة واضحة المعالم والخطوط، فهي اليوم مشدودة بين طرفين إلى أبعد مدى؛ الأول يريد التحديث والتطوير، والثاني يريد الحفاظ على المناهج كما هي بادعاء التمسك بالموروثات والحفاظ على الهُوية.

مشكلة الطرف الأول أنه مخترق من قبل أجندات خارجية استطاعت أن ترمي عملية التطوير بدائها، وأوضح مثال على ذلك هو استبدال عبارة "سلسلة المجازر الإسرائيلية" بعبارة "سلسلة الممارسات الإسرائيلية" في أحد المناهج، ما أعطى الفرصة للمتربصين بوصم عملية تحديث المناهج بأقسى التّهم، وسهّل التحريض عليها واستثارة العواطف الشعبية ضدها، أما التيار المحافظ فمشكلته تكمن في كونه استسلم للنظرة السلفية، بل تورط في إضفاء هالة من القداسة على المناهج القديمة، فرفض التعديلات وراح يُصرّ على إدخال آيات من القرآن الحكيم حتى في دروس العلوم.

هذه الأجواء أظهرت غياب الرؤية، ما تسبب بكل هذا التناشز بين أطراف غير معنية بشكل مباشر بالعملية التعليمية، وصارت ساحة من ساحات الصراع غير المنتج، بل المعطِل لأكبر عملية إنتاجية في الدولة، فكل هذه النقاشات لا تنتج إلا توازنات تعطل بناء منهجية تربوية مستقرة، والتربية والتعليم عملية حساسة ودقيقة، لا تحتمل التجريب أو مراعاة التوازنات على طريقة المحاصصات السياسية.

أمة في خطر

أصبحت اليوم مهمة المدرسة بناء العقل القادر على التحليل والتفكير والإبداع، لا حشوه بالمعلومات، فلا بد من صياغة رؤية تُركز على إنتاج مخرجات تعليمية مناسبة للعصر الذي نعيش فيه، وبما يتوافق مع الهُوية ويحافظ على مصالح الأمة، فالأمة الآن في خطر، وهذه ليست صرخة أميركية فقط، بل نحن الآن أيضا أحوج ما نكون إلى مراجعة متخصصة لا تحكمها أهواء أو تكتيكات بعض السياسيين.

تقرير "أمّة في خطر" هو تقرير صدر في العام 1983، عن الإصلاح التعليمي في الولايات المتحدة الأميركية، صاغته لجنة من 18عضوا في قطاعات التعليم المختلفة، وكان المسبب الرئيسي لإصداره، هو الشعور الذي ساد لدى القيادات الأميركية بضعف القدرة التنافسية للطلاب الأميركيين بالمقارنة مع الطلاب في البلدان المتقدمة الأخرى، في وقت اشتد فيه التنافس أيضا مع الاتحاد السوفييتي الذي ظهر تفوّقه العلمي جليا، ليس فقط في مجال الأسلحة النووية والحديثة، وإنما أيضا في سبقه لارتياد الفضاء الخارجي.

فهل هناك ما هو أخطر على الأمّة من أن يطلق وزير التربية صرخة مفادها أن الأميّة تتفشى في المدارس وبنسب مرتفعة؟

تصفية الحسابات

يقول الذنيبات إن هناك جهات تحاول النيل منه بسبب تضرّرها من سياساته وما أنتجت على مدى السنوات الفائتة، حيث تضرر بعض الأشخاص المتنفذين في الوزارة، وفقدوا مناصبهم. كما أن قطاع المدارس الخاصة شهد نزوحا حادا معاكسا، وبدأت فعليا الهجرة العكسية إلى المدارس الحكومية. وكذلك تضرّرت الجامعات الخاصة؛ نتيجة تشدّد الوزارة في الامتحانات وانخفاض عدد خريجي الثانوية، فأصبحت الجامعات الرسمية، ولأول مرة ومنذ زمن بعيد، قادرة على استيعاب الخريجين كافة، معنى هذا الحديث أن الظروف تهيأت لتكوّن جماعات ضغط توحّدها الأهداف، برغم اختلاف الأسباب بالنسبة إلى كل واحدة منها، لكنها وقفت جميعها صفا واحدا مناكفة لأيّ خطوة تخطوها وزارة التربية والتعليم.

في المؤتمر الصحافي الذي عقد في مبنى رئاسة الوزراء، الأربعاء الماضي، ظهر نائب الرئيس وزير التربية والتعليم مدافعا عن المناهج في وجه التيار الإسلامي الذي يتهم الوزارة بتعشيب المناهج من أيّ مظاهر دينية، واستغرق في شروحات تثبت أن هناك الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي وشحت بها المناهج الدراسية جميعها، وللصفوف كافة، بما فيها الابتدائية. وهو بذلك قدم الإثبات، بالاعتراف الكامل، للجناح الليبرالي المطالب بتصفية المناهج من المظاهر الدينية، فلم يعبأ بمرافعات كثيرة قدّمها ودافع عنها أعلام وأسماء تربوية وإعلامية مرموقة، مثل حسني عايش وذوقان عبيدات ودلال سلامة، ولقد صرف الوزير جل اهتمامه للرد على الإسلاميين، فظهر، برغم كل التعديلات التي أجريت على المناهج، إسلاميا يواجه الإسلاميين بالحجة والموعظة الحسنة، ويفرد الإثباتات التي تؤيد الادعاء بأنه من المدرسة ذاتها، ولقد تراوحت ردوده بين المزايدة على الإسلاميين، بأنه يعتبر عمله وفريقه كله في وزارة التربية تقربا إلى الله تعالى، والاعتذارات المشفوعة بفضيلة الاعتراف بالخطأ، إن وجد، والاستعداد لتصحيحه.

> الذنيبات يعرف عنه الحزم في إصلاح العملية التربوية وضبطها، فقد بدأ بمعالجات جذرية للانفلات في امتحانات الثانوية العامة التي عرفت فوضى عارمة وعمليات «غش جماعي»، قبله، نتج عنها وصول طلاب أميين، بالمعنى الحرفي للكلمة، إلى مقاعد جامعية وتخصصات مهمة

من جانب آخر، لم يُعر الذنيبات اهتماما لعمل اللجنة المشكلة من كبار المختصين، وعلى رأسها خالد الكركي، التي عُهد إليها بتقويم الملاحظات الواردة على المناهج، فلم ينتظر نتائج مداولاتها وما ستتمخض عنه من توصيات، واعتبر أن الحملة المضادة حملة ظالمة، ودمغ كل من يعارض المناهج الجديدة بالانخراط في التحشيد ضد وزارة التربية، متغاضيا عن أن الحملة المناهضة للتعديلات كانت السبب في تشكيل هذه اللجنة التي اعتدّ بعملها وبكفاءة أعضائها.

أيضا هناك الملحوظات المهمة التي أوردتها الملكة رانيا العبدالله في حضور العاهل الأردني عبدالله الثاني، وذلك في كلمتها التي ألقتها خلال حفل إطلاق "استراتيجية تطوير الموارد البشرية" الشهر الماضي، في عمان، حيث اتهمت الملكة المناهج التعليمية بالإخفاق الذي تترجمه الأرقام. وقالت، في أكثر من مناسبة "إن هناك مدارس كثيرة لا ينجح فيها أحد من الطلاب، كما أن الأرقام تشير إلى أن النجاح يحالف واحدا من كل أربعة طلاب يتقدمون لامتحان الثانوية العامة"، داعيةً إلى تنظيف المناهج من محفّزات التطرف.

● ملف المناهج يتسبب في اندلاع جدل حاد بين التيارات الليبرالية والمؤسسات الدينية، وخلق حالة من التجييش وصلت حد تظاهر العشائر وحرق الكتب في ساحات المدارس.

أبرز المستقبليين الفرنسيين يتوقع المزيد من الحروب

جاك أتالي:
العالم قد لا ينجو من الكارثة

علي سفر

❑ **إسطنبول** – إذا أردنا القيام بمحاكاة لجملة ماركس الشهيرة "ظلت الفلسفة تفسّر العالم بطرق مختلفة. ولكن المهم تغييره"، من خلال مطالعة سريعة لجوهر الدراسات المستقبلية، فهل يمكننا القول "ظلت هذه الأبحاث تتوقع تفاصيل المستقبل بطرق مختلفة، ولكن المهم تغييره".

الجهد الذي يبذله الباحثون في المستقبليات يبدو لمتابعي هذا النوع من الدراسات ثرياً وبالغ الأهمية، ولا سيما من جهة محاولته قراءة الواقع الراهن في كافة مستوياته، والغوص في تفاصيله، وديناميات تحولاته، وهو الأمر الذي يستدعي الإلمام بعلوم شتّى، مع الإبقاء على نوافذ العقل مفتوحة لرياح فعاليات الأفراد والجماعات، التي تضعها آليات الإنتاج الراهنة وبسرعة هائلة في مدار الاستهلاك رغبة بالاستفادة منها. ولكن هل يستطيع هؤلاء الباحثون أن يساهموا في تغيير المستقبل؟

> جاك أتالي يرى أنه وبالرغم من القناعة السائدة القائلة بأن اقتصاد السوق والديمقراطية قد اتحدا لتشكيل آلة جبارة تساند وتطور التقدم الإنساني، فإن هاتين القيمتين «عاجزتان عن ضمان بقاء أي حضارة إنسانية، إنهما حافلتان بالتناقضات ونقاط الضعف»

تبدو المسألة معقدة فعلاً، إذ أن مجالات التنبّؤ لا تبنى هنا على الحيثيات التجهيلية الشائعة بين عوام البشر، بل إنها تقوم أساساً على استثمار طاقة العلوم، مع تفعيل الأدوات المنهجية التي تمكّن الباحث من القيام بعملية ربط بين عتبات شتى يقف الواقع الراهن في مقدمتها، مع انعطافة مهمة لأنماط التحولات السابقة التي يمكن القياس وفقها، وضمن هذه الجدلية، لا يبدو أن أحداً يستطيع أن يقدم للبشر صورة واضحة عن مستقبلهم، ولكن لا بأس بتملّكهم لمفاتيح أولية تمكنهم من القيام بقراءة تحولات الواقع، والخلوص إلى ما يمكن أن تفضي إليه.

التفكير بالمستقبل ليس أمراً مستجداً في تاريخ الفكر الإنساني، بل إنه يعود ربما إلى بداياته، ولكن تبعاً لسيرورة الزمن التي تعني أن المستقبل هو مصير إجباري، ربما يكتشف المرء أن قراءة محطات هذا التفكير ستقود إلى مفارقات عالية التأثير في الراهن وفي المستقبل أيضاً، وعلى سبيل المثال يمكن التوقف عند رؤية أفلاطون الذي رأى "أن الاتجاه الذي يبدأ مع التعلم سوف يكون من شأنه أن يحدد حياة المرء في المستقبل"، والتي تجوهرت حول فكرته عن المجتمع المثالي في "الجمهورية"، وسميت لاحقاً باليوتوبيا، ثم يمكن القفز فوق كل الأفكار التي عالجت ذات الثيمة، لنصل إلى مقولة صادمة يطلقها زميل آخر لأفلاطون في حقل الدراسات المستقبلية هو المفكر الفرنسي جاك أتالي حيث يقول "بيّن التاريخ الحديث أنّ اليوتوبيا هي أمّ كل الدكتاتوريّات".

أتالي بروفسور في الاقتصاد وكاتب ومسؤول فرنسي رفيع المستوى. ولد لعائلة يهودية في مدينة الجزائر في العام 1943 وهو عضو مجلس الدولة الفرنسية، عمل مستشاراً خاصاً للرئيس فرانسوا ميتران. وأسس وترأس أول بنك أوروبي لإعادة الإعمار والتنمية في لندن. وكان قد أدار في العام 2008 لجنة تحرير النمو الفرنسية، ويدير حالياً مجموعة "الكوكب الإيجابي" وهي مؤسسة دولية غير ربحية تُعنى بتوفير خدمات التمويل الصغير في كافة أرجاء العالم، له أكثر من 65 عملا بين بحث وكتاب وسير ذاتية وروايات ومسرحيات.

الشروط الإنسانية

إن تأملاً بسيطاً في حال الأفكار الأيديولوجية التي أنتجت حكومات تسلطية قادت حروباً مدمرة في تاريخ البشرية، يضعنا ضمن السياق الذي ينطلق منه أتالي. فالإنسانية ظلت بحسب ما يقول أتالي "عبر كل الأزمان، تتأرجح بين رؤى سلبية للعالم والتاريخ، يختصر خلالها المشروع الإنساني في تنظيم وتحصين الدفاع لصدّ خطر، حقيقي أو متخيل؛ ورؤى إيجابية تقوم على اليوتوبيات التي يتعين تجسيدها في مشاريع. وينتهي المطاف دائما بالأيديولوجيات السلبية إلى اتخاذ الأخطار ذريعة للتنكيل بالحريات. وفي بعض الأحايين تتحول الرؤى الإيجابية إلى سلبية لما يهدّد الخصوم وجودها".

وبالاستناد إلى هذه المفارقة التي يعيش البشر في الوقت الراهن حيثياتها يمكن لنا أن نقرأ زاوية التفكير بالمستقبل بالاستناد إلى أفلاطون وإلى أتالي، ليس من خلال التناظر بينهما، بل من خلال الاستناد على اتجاه المقدمات التي تتم من خلالها حالياً قراءة المستقبل بحسب الشرط الأفلاطوني، وتبيان مدى صلاحية فكرة اليوتوبيا ذاتها، التي يفككها أتالي كقارئ وعالم في المستقبليات، بعد أن أوغل العالم برمته، ولا سيما دوله المتقدمة في الابتعاد عن الالتزام بالشروط الإنسانية التي تجعل من عملية التطور فعلاً يخدم جميع سكان الكوكب، فهذه الدول لم تقم بالإساءة لتطور الشعوب الأخرى فقط، بل إنها تنحدر شيئاً فشيئاً نحو التفكك والتحطم، رغم أنها تستدعي في صياغة وجودها شعارين أساسيين هما الحرية التي تسند نشاط اقتصاد السوق، والديمقراطية بوصفها مجال الفعل السياسي.

يقول أتالي "بالرغم من القناعة السائدة القائلة بأن اقتصاد السوق والديمقراطية قد اتحدا لتشكيل آلة جبارة تساند وتطوّر التقدم الإنساني، فإن هاتين القيمتين عاجزتان عن ضمان بقاء أيّ حضارة إنسانية. إنهما حافلتان بالتناقضات ونقاط الضعف. وإذا لم يسارع الغرب، ثم الولايات المتحدة بوصفها قائدة الغرب المعيّنة بقرار ذاتي، إلى الاعتراف بنقائص وأزمات اقتصاد السوق والديمقراطية، فإن الحضارة الغربية سوف تأخذ في الانحلال التدريجي، ولسوف تدمّر نفسها بنفسها".

ولكن من أين يستدعي أتالي قراءته السوداء هذه لمصير الحضارة الغربية، وهل يمكن أن تكون رؤيته متعجلة، وغير دقيقة رغم استناد صاحبها إلى إرث معرفي كبير، وفلسفة جدلية محكمة، وتجربة سياسية طويلة؟

لقد سبق لأتالي أن أطلق سلسلة طويلة من التنبؤات، كانت تقرأ الوقائع اليومية وكذلك الرؤى الاستراتيجية للقوى الفاعلة على مستوى العالم، ولكن هذه التنبؤات لم تكن لتلفت انتباه عموم الناس بالمقدار ذاته الذي كان يطلق إشارات خطر تصل إلى أصحاب القرار في العالم.

الحكومة العالمية

تحليل معادلة القراءة المستقبلية وأثرها في تغيير الواقع، يمكن أن يكون حاضراً في تجربة أتالي، فما يبنى على العلم، لا بد له من أن يجد آليات تحققه، طالما أن مصائر اقتصادية واجتماعية يومية ترتبط به، فقد سبق له أن حذر من التناقضات التي تعصف بالحضارة الغربية، وعلى هذه الأرضية بحث أتالي في غير مؤلف من مؤلفاته العديدة عن السبل الأفضل لمعالجة مشاكل عالمية، كالأزمات المالية المتلاحقة، وأزمة الهجرة، وأزمة البيئة، ومخاطر الأوبئة، وسوء توزيع الثروة، وغياب التنمية.

في ظل حالة العجز التي تتحكّم بواقع الدول الكبرى التي تقود العالم في الوقت الراهن رأى أتالي أن القرن الحادي والعشرين لا بد أن يحمل قيام هذه القوى الكبرى بالتوجه نحو إنشاء حكومة عالمية تشترك بها الدول الديمقراطية مع دول الجنوب التي تنحو في تطورها نحو الديمقراطية أيضاً. فحكومة من هذا الوزن ستكون وحدها هي القادرة على مواجهة هذه الأخطار التي لم تعد تهدد دولاً بعينها بل بات خطرها يشمل كوكب الأرض كله.

التفكير بالمستقبل ضمن هذه العتبة، لا يمكن له أن يبنى على مجرد الالتفات إلى الظواهر السطحية. بل إنه يحتاج إلى الحفر العميق في القضايا التي تأزّمت وباتت متورّمة، وتحتاج إلى من يعالجها بعمليات جراحية قاسية. ولكن واقع المواجهة بين الأقطاب الكبرى على مستوى العالم كله، لا يبشر الحالمين بإمكانية التوجه صوب حلّ المسائل المستعصية المشار إليها أعلاه، بل إنه يعيد الإنسانية جمعاء إلى مستوى متدنٍّ من الفعل، يصل في بعض تجلياته إلى مستوى الصمت عن الجرائم التي ترتكب بحق الشعوب، تحت ستار الحرب على الإرهاب، وبدوره يحاول أتالي من زاوية رؤيته الاستشرافية المساهمة في معالجة الاستعصاءات التي تتكرّس يومياً بسبب هذه الوقائع أو غيرها، فيكتب في الصحافة تشريحاً لهذه الظواهر، محيلاً إياها إلى السياقات التي ارتبطت بها، التي يسميها بالأيديولوجيات السلبية، التي صارت في وقتنا الحالي تتماهى في حركيتها مع التوجهات المتطرفة ضد اللاجئين كمثال حاضر وراهن ومؤثر، في عموم البلدان الغربية المحكومة بقوى سياسية باتت تمالئ الأفكار الشمولية.

أتالي يقترح هنا في زاوية نشرها في مجلة الإكسبريس بداية هذا العام جواباً على الأسئلة التي يطرحها الوضع الراهن. يقول إن ذلك "يتمثل في بناء أيديولوجيا إيجابية جديدة أو أكثر. وبالنسبة إليّ، فالأمر واضح غاية الوضوح هو خدمة الأجيال المقبلة. إن هذا شرط لتحقيق سعادتنا. ويجب التفكير، في ظل هذا الإيثار العقلاني، بمشروع مجتمعي يستند على التعاطف والتعاون ومتعة خدمة الآخر. إن مثل هذه الأيديولوجيا الإيجابية توفر رداً على تهديدات البيئة والإرهاب أكثر جاذبية من الأيديولوجيات السلبية، فمن خلال العمل من أجل مصلحة الأجيال المقبلة سنجري التحولات الطاقية الضرورية دون الحاجة إلى نهج سياسة الحظر الشمولية. ومن خلال مدّ يد العون في بلدانهم لأولئك الذين يتدفقون علينا وسيتدفقون أكثر، وتخصيص استقبال يحترم كرامة أولئك الذين سيحلّون بيننا، سنتجنب الخيبات التي تخلق الإحساس بالإهانة لدى البعض، والانطباع بالتعرض للغزو لدى الآخرين. فهكذا يمكننا أن نوفر الشروط الكفيلة بظهور نمو متوازن ومستدام وديمقراطي للعالم. نموّ يحترم الحياة بكل أشكالها".

توقعات 2016

في نهاية العام الماضي، توقع أتالي في زاويته الأسبوعية وقوع العديد من الأحداث السيئة التي سيكون لها أثر على العالم كله، وستتسبب في إبطاء وتيرة النمو الاقتصادي العالمي، دافعة الإنسانية إلى مزيد من الحزن والغضب والشعبوية والحمائية. معتبراً أن هناك إمكانية لحدوث الأسوأ منها. فقد توقع هجمات إرهابية جديدة بحجم يتحدى كل الخيال، وذلك في كل البلدان، بما فيه فرنسا، بالإضافة إلى توقعه تفاقم النزاعات الجارية حاليا في كل من سوريا والعراق وليبيا واليمن وأوكرانيا. بالإضافة إلى تأكيده على أن بريطانيا ستخرج من الاتحاد الأوروبي. وأيضاً بناء الجدران على الحدود بين بلدان الاتحاد، كحماية مضللة من الهجرة غير المرغوب فيها، ما يدل على تراجع أوروبا، إذ ستصبح حياة اليورو في خطر بسبب الحذر والشكوك التي ستكرسها تلك الأسوار.

مقابل هذه التوقعات احتوت أجندته بضع وقائع لم تحدث من مثل اندلاع مواجهات في بحر الصين والهند وأفريقيا، والتي يمكن أن تنزلق إلى حرب عالمية دينية أو علمانية، أو تكون مرتبطة بحركة الطاقة. وكذلك انهيار دول أخرى، خاصة في أفريقيا، وفقا للنموذج الصومالي أو السوداني. إضافة إلى اندلاع أزمة مالية كبرى على الصعيد العالمي، شبيهة بتلك التي هزت العالم في 2008، وحدوث كوارث طبيعية بسبب التغيرات المناخية. وتفشي وباء جديد، انطلاقا من سلالة جديدة لفيروس متحول لا يوجد له لقاح أو علاج فعال، الأمر الذي سيتسبب في إغلاق الحدود في كل جهات العالم. وغير ذلك من التوقعات.

ومقابل كل ما سبق تحدث أتالي عن خبرين سارين، سيتجلى الأول إن حالفنا الحظ بحسب قوله "في عدم حدوث أيّ من الأنباء التي وردت أعلاه. وإذا حدث ذلك، وهذا لعمري من باب المعجزات، يمكننا القول إن العالم نجا من الكارثة". أما الثاني فسيتمثل "في حصولنا على الوسائل الكفيلة بتجنب كل هذه الكوارث المحتملة بشكل نهائي، وذلك من خلال الاشتغال بشكل منهجي على أسباب كل منها. وهذا يتطلب منا أن نعتبر أنفسنا، فرادى وجماعات، مسؤولين عن المستقبل. وإذا ما تم تبني هذا السلوك، سيتجنب العالم في 2016 السير على السبيل ذاته الذي اتبع في 1914 و1939، وسينخرط في عهد رائع من النماء والتعايش والسعادة".

يكتب أتالي زاوية أسبوعية في مجلة إكسبريس الفرنسية، وقد نال حتى اليوم العديد من شهادات الدكتوراه الفخرية من العديد من الجامعات الأجنبية، وهو عضو في الأكاديمية الدولية للثقافات. ترجمت أعماله إلى أكثر من ثلاثين لغة وبيع منها ثمانية ملايين نسخة في مختلف أرجاء العالم بما فيها المقالات التي تتناول مجموعة واسعة ومتنوعة من المواضيع. ويعتبر من أكبر المفكرين في فرنسا، وواحداً من أبرز الشخصيات المؤثرة في العالم.

● أتالي تعود أصوله إلى عائلة جزائرية يهودية. وقد اعتاد أن يطلق سلسلة طويلة من التنبؤات اعتبرت إشارات خطر موجهة إلى أصحاب القرار في العالم.

● الاقتصادي والمفكر ومؤسس ورئيس أول بنك أوروبي لإعادة التنمية في لندن مع النجمة السينمائية الفرنسية كارول بوكيه على السجادة الحمراء في مهرجان كان.

«أسطورة مصرية» تخشى الانهيار في مجتمع محافظ

محمد رمضان

شاب من العشوائيات متهم بنشر ثقافة البلطجة

أحمد حافظ

❑ **القاهرة** – ظاهرة الفتى الأول، أو "جان السينما"، أو البطل الذي يعتبر قدوة لأبناء جيله، يبدو أنها أصبحت مرتبطة بتغيرات المجتمع وثقافته وأطر حياته، حتى أن المظهر والمضمون والرسالة التي يقدمها اختلفت كثيرًا عن ذي قبل، ما أثر في تغير شخصية البطل السينمائي الذي يعبّر عن زمنه ومجتمعه وأجياله وتغيراته.

لم يعد الفنان المصري الكبير عادل إمام ذلك "الزعيم" الذي يفرض نفسه على صناعة الفن في مصر، حتى وإن كان رصيده من الأعمال السينمائية والدرامية يحفظ له هذه المكانة التي لم يصل إليها أحد.

كما لم يعد كل من الفنانين الراحلين عمر الشريف وعبدالحليم حافظ وفريد شوقي، القدوة والمثل لكثير من أبناء الجيل الحالي، مثلما كان ينظر لهم أبناء جيلهم، ربما لأن الفن يمثل حقبة من تاريخ مصر، ويتغير بتغير الزمن والمجتمع والأجيال نفسها.

كل من هؤلاء، ويضاف إليهم الكثيرون، مثل كمال الشناوي ورشدي أباظة وحسين فهمي، كانت له فترة سينمائية احتفظ فيها لنفسه بلقب "الجان"، الذي يجسد الواقع، ويتحدث الشباب بلغته ويرتدون ملابسه ويتخذونه قدوة لهم، حتى في الأزياء وقصة الشعر، بل وفي لغة التحدث وطريقة الكلام.

مع اختفاء شمس كل "جان" من هؤلاء، سواء غيّبه الموت أو لم تعد أعماله تواكب العصر، ظهرت "جانات" سينمائية، اعتمدت بالأساس على مخاطبة الشباب، الذي يمثل أكثر من نصف تعداد سكان مصر، بثقافتهم وحياتهم الحالية، وما طرأ عليها من متغيّرات اجتماعية واقتصادية.

البحث عن الذات

ظهور "جان جديد للسينما" لم يعد مرتبطًا بمعايير محددة، مثل التي كان يجري العمل بها في السينما وقت جيل العمالقة، فقديما كان يتم اختيار رجل وسيم، ذي صفات جذابة ونادرة ليكون قدوة للمجتمع، إلا أن الاختيارات الحالية تغيّرت ولم تعد الوسامة وحدها تكفي، لكن يمكن مع الجرأة والجسد الرشيق وبعض من الموهبة أن يتحول الممثل إلى نجم سينمائي.

في مقدمة هؤلاء، الفنان الشاب محمد رمضان، ورغم أنه لم يكمل عقده الثالث بعد (28 عامًا)، فإنه أصبح أحد أهم الفنانين حاليا، بل أكثرهم قدرة على فرض شخصيته وموهبته، ويحظي بأكثر نسب مشاهدة، لا سيما أنه يسعى من خلال أعماله، سواء في السينما أو الدراما التلفزيونية، إلى أن يصبح "جان العصر الحديث"، والقدوة لأبناء جيله.

رمضان صاحب البشرة السمراء والجسد النحيف، بات يُنظر إليه في صورة الفنان الشاب الذي يتعمد إفساد الذوق العام وتدمير النشء وهدم القيم الحميدة في المجتمع، وحمّله البعض من زملائه في العمل الفني ونقاد سينما مسؤولية انتشار العنف وبعض الظواهر السلبية في المجتمع، مثل التحرّش الجنسي والبلطجة وغيرها.

منذ ظهوره على الساحة، ولعبه دور البطل، حصر محمد رمضان نفسه في شكل الشاب العشوائي والشعبي، الذي لا يعترف بالقانون ولا الأعراف المجتمعية، ويسعى إلى فرض نفوذه وسطوته على من حوله. ودارت أغلب أعماله تقريبًا في فلك واحد، فلم يقدّم من خلالها إلا شخصيات الأشقياء الخارجين على القانون في غيبة الدولة.

يحاول رمضان جاهدًا أن يكون "الأسطورة"، كما كان عادل إمام هو "الزعيم"، لذلك اختار لآخر أعماله في الدراما التلفزيونية، التي عرضت في شهر رمضان الماضي، اسم "الأسطورة"، وبسببه تعرّض لهجوم ضار لقسوة المشاهد الإجرامية التي قام بها، وكانت تدور حول شاب يسكن في العشوائيات ويخشاه الجميع حتى تحوّل إلى أسطورة.

تعرّض للسخرية في صغره عندما عرض نفسه على أحد المخرجين للعمل في السينما، فرد المخرج عليه باستهزاء "يا بنيّ. السينما لها رجالها ولست رجلا لها"، من يومها ترسّخت بداخله عقدة النقص والبحث عن الذات، لدرجة أنه لم يُعرف عنه أن رفض عملا سينمائيًا أو دراميًا، حتى لو كان دورا هامشيا، "كومبارس سعيا للوصول إلى حلم الظهور على الشاشة، والرد على المخرج الذي سخر منه في الماضي.

> عائلة «السبكي»، التي تهيمن على سوق الإنتاج السينمائي في مصر، وجد فيها رمضان ضالته، فارتفع أجره من 6 آلاف دولار إلى 300 ألف دولار

هكذا يمكن تلخيص شخصية محمد رمضان، فهو الشاب الحالم الذي تطارده عقدة "زعامة" عادل إمام، و"شهرة" عمر الشريف العالمية، و"قوة" فريد شوقي، لدرجة أنه ذكر في حوارات منسوبة إليه إن "هؤلاء ليسوا أفضل مني حتى أكون مثلهم"، لكن الفارق بينه وبينهم، أنه عندما أراد الوصول سريعًا وضع نفسه في مواجهة مع مجتمع محافظ يرفض البلطجة والخروج على القانون، بينما هم وصلوا بعد مرحلة طويلة، وتجاوزوا فترات طويلة في حياتهم الفنية.

لم تكن عند "الأسطورة" رفاهية الوقت، ولا سياسة النفس الطويل، كي يكون نجمًا سينمائيًا يتهافت عليه المخرجون ويتنازلون أمام شروطه المادية للقيام بدور البطل، فاختار الطريق السهل بأن استهدف فئة الشباب لمخاطبتهم، لا سيما وأنهم يمثلون القاعدة الأكبر من المجتمع، وبسبب غياب دولة القانون، في الفترة التي تلت ثورة 25 يناير 2011، وسيطرة ثقافة غياب القانون على الكثير من الشباب، وجدوا في رمضان من يمثلهم ويعبر عنهم، فأصبح قدوتهم.

بعكس فناني الماضي، وسعيهم لتقديم رسالة سامية نسبيًا من العمل الفني، حتى يكونوا قدوة إيجابية في التعبير عن قضايا الوطن، يوصف محمد رمضان بأنه قدوة غير إيجابية لشباب الجيل الجديد، لدرجة أن بعضهم رسم لحيته بنفس الصورة التي ظهر بها في مسلسل الأسطورة، والبعض الآخر ارتدى نفس الـ"تي شيرت" الذي ارتداه في فيلم "عبده موتة"، وقلّدوا طريقة حديثه، التي توحي بالنفوذ والبلطجة، فباتت تلك اللغة هي الدارجة بين الشباب.

مع أول بطولة درامية مطلقة خاضها، عندما تمرّد على الأدوار التي أجاد تقديمها سينمائيًا، وهي شخصيات البلطجي أو الشخص الخارج على القانون، قدّم شخصية "حبيشة"، في مسلسل "ابن حلال"، فخسر تعاطف المشاهدين، فـ"حبيشة" ذلك الشاب الفقير، الذي يمتهن حرفة بسيطة للإنفاق على أمه وشقيقته، تم اتهامه زورًا بقتل ابنة فنانة شهيرة، وحكم عليه بالإعدام، لكنه نجح في الهروب من السجن، ليتحوّل إلى شخص منتقم، يأخذ حقه بنفسه، ويقتل كل من اتهموه في القضية.

في جلباب أحمد زكي

رمضان لا يجيد الدفاع عن نفسه بجدارة، وكثيرًا ما يسوق مبررات غير مقنعة لتفسير وضع نفسه في صورة الشخص البلطجي الذي يعشق النفوذ والسيطرة على كل المحيطين به، ودائما ما يردد أن مبرره الوحيد "أنه يعبّر عن المرحلة"، وينقل صورة واقعية لما يحدث في المجتمع من انفلات أمني وأخلاقي، وسيطرة لغة النفوذ والقوة وغياب القانون، ما وضعه في مواجهة مع المؤسسات الأمنية في الدولة، لدرجة أنه تردد بقوة أن وزارة الداخلية تدخلت لتغيير نهاية مسلسل "الأسطورة"، حتى لا ينتصر البلطجي دون عقاب، لذلك كانت نهايته داخل السجن.

وبلغ حد تأثير رمضان على فئتي المراهقين والشباب، أن مشهد انتقام "الأسطورة" من صاحب متجر للهواتف المحمولة نشر صورة زوجته على "فيسبوك" بعدما باعت له هاتفها وعليه صور خاصة لها، (بأن أجبره على ارتداء قميص نوم نسائي)، تكرّر فيما بعد في أكثر من منطقة مصرية، وهي نفس صورة العقاب التي استخدمها رمضان للانتقام من خصومه في حلقات المسلسل.

عُرف عن رمضان أنه يسعى لأن يكون خليفة الفنان الراحل أحمد زكي في السينما المصرية، وأن يحظى بنفس الشهرة والصيت الواسعين في الداخل والخارج، ويصبح "جان السينما الأسمر"، لا سيما أن التقارب في البنيان الجسدي والملامح الشخصية بينهما كبير، خاصة في البشرة السمراء والجسد النحيف، لكن رمضان كثيرًا ما ينفي عن نفسه ذلك، ويعتبر أن "طموحه أن يصل إلى ما بعد ذلك"، رغم أن هناك واقعة شهيرة له مع أحمد زكي أبلغه رمضان خلالها "أنه مثله الأعلى".

ففي نهاية عام 2004، عرف محمد رمضان أن أحمد زكي موجود للتصوير في مدرسته، السعيدية الثانوية بالجيزة المجاورة لجامعة القاهرة، حيث كان يصوّر المشاهد الأولى من فيلمه الأخير "العندليب"، ونجح في التسلل إلى المكان الذي يجلس فيه الفنان الراحل، وأخبره بحبه للتمثيل وأنه مثله الأعلى، وقلده في مشهد من فيلم "أيام السادات"، فأعجب به زكي.

إصراره على دخول الفن كان بلا حدود، فبعد هذه الواقعة بأيام توجه إلى مكان عرض مسرحية "قاعدين ليه" للفنان الراحل سعيد صالح، وقابله بعد أن غافل عامل الأمن في المسرح ودخل إلى غرفته، وطلب منه أن يختبره، ومثل مشهدا أمامه، وكانت المفاجأة أن سعيد صالح أتاح له فرصة التمثيل أمامه في اليوم نفسه على خشبة المسرح، وقال له "سأترك الحكم للجمهور"، وقدم فقرة ارتجالية لمدة 20 دقيقة، نالت إعجاب المشاهدين، وأصبحت الفقرة أساسية في المسرحية.

خليفة عمر الشريف

دفعه إصراره وعناده المعروفان عنه، ومحاولة التخلص من عقدة "أنه لا يصلح فنانًا"، إلى أن يوافق على أن تكون بداية ظهوره في السينما في دور هامشي "كومبارس" في فيلم "حمادة يلعب" عام 2005 ، أمام أحمد رزق وغادة عادل، غير أن ملامحه السمراء الشبيهة بأحمد زكي أوصلته للشهرة كما تمنّى، حيث قدّم شخصية زكي في مسلسل "السندريلا"، أمام الفنانة الشابة منى زكي، والذي كانت تدور أحداثه عن قصة حياة سعاد حسني، التي ارتبطت في مرحلة من حياتها بأحمد زكي فنيا.

فجأة التقطته المخرجة إيناس بكر، التي نجحت في تقديم النجم العالمي عمر الشريف للمرة الأولى في الدراما التلفزيونية بمسلسل "حنان وحنين"، وأسندت إليه دور ابن بواب العمارة التي يسكن فيها عمر الشريف، وفي أول يوم تصوير فوجئ بإحضارهم "تي شيرت" لا يتناسب مع شخصية ابن البواب الفقير، فخلع "التي شيرت" وقام بتنظيف زجاج سيارة أمام العمارة.

وقتها وقف عمر الشريف مذهولًا من فعلة محمد رمضان وقال له بعدما انتهى من تنظيف زجاج السيارة "أنت شاب مجنون"، فشرح له رمضان مبرره في ذلك بأن "التي شيرت" الخاص بابن الفقير لا بد أن يكون متسخا، وبعد انتهاء تصوير المشهد، أشاد به الشريف وقرر تبنّيه، وقدمه للصحافة على أنه خليفته، وقال "لا يوجد غير رمضان يأخذ مكاني بعد رحيلي. فهو وليّ العهد الذي اخترته"، وبسبب هذه العبارة تهافتت عليه الأعمال السينمائية ببطولات مطلقة، وتخلّص من عقدة الشاب الذي لا يصلح للفن.

من يدقق في شخصية محمد رمضان، يجده شابا "لا ينسى من أساء إليه، أو وقف في طريقه"، حتى لو كان سلطة حاكمة، فنظام حسني مبارك بأجهزته الأمنية والرقابية وقفت حائلًا أمام أن يكون بطلًا لفيلمين مهمين في حياته، هما "اليوم العاشر"، الذي رفضته أجهزة الأمن، و"الخروج من القاهرة"، الذي طاردته الأجهزة خوفًا من إثارة فتنة طائفية، لتناوله علاقة بين قبطية ومسلم، فغاب رمضان عن السينما إلى حين حلول العام 2011.

بطريقة المنتقم من النظام، غامر وخرج ليتحدى السلطة التي وقفت أمام صعود نجمه، وانضم للحشود التي ملأت ميدان التحرير للمطالبة برحيل نظام مبارك، واستقبل الميدان صعود رمضان على منصة التحرير بحفاوة، واضعًا علم مصر على كتفه الأيسر، قائلا في جزء من خطبته، التي بدا فيها عقلانيًا غير منفعل "لعن الله قوما ضاع الحق بينهم، يا شباب مصر كلنا هنا ندافع عن حق 80 مليون مواطن مصري".

عقب تنحي مبارك، بدأ المنتجون يبحثون عن "تيمات" جديدة، ونجوم جدد، ليجذبوا الشباب من السياسة والميادين إلى دور السينما، وكادت الصناعة أن تتوقف، وبدا أن شيئًا يتغير. وانقسم الفنانون بين من تغيّب خوفًا من مواجهة الجمهور لوقوفهم إلى جوار مبارك، أو من حضروا وزادت شراهتهم للحصول على حقهم في النجاح والشهرة.

القفزة الأخطر في السينما

وجد رمضان ضالته مع عائلة "السبكي" التي سيطرت على سوق الإنتاج السينمائي، وصعد كنجم شباك عبر فيلم "الألماني" في العام 2012، حيث حصد إيرادات قياسية ورفع أجره من 60 ألف جنيه (6 آلاف دولار) إلى 3 ملايين جنيه (300 ألف دولار)، وتحول إلى قدوة للشباب الذي أحب "تيمة" بطل العشوائيات البلطجي، المسجل خطر، وصار له جمهور من المراهقين والشباب الذين اعتاد أن يخاطبهم في أعماله.

ووصل الحال به إلى أنه قام بنشر صورة على حسابه الشخصي بموقع التواصل "فيسبوك"، وهو يقف بين سيارتين يصل سعرهما نحو 6 ملايين جنيه (600 ألف دولار)، وكتب أعلى الصورة "أردت مشاركة جمهوري فرحتي بشراء السيارتين المقرّبتين إلى قلبي"، ولم تمرّ أيام حتى اشترى سيارتين أخريين وكتب يقول "الآن امتلكت أسطولا من السيارات".

لم يكن الموقف مألوفًا، حتى عند بعض الفنانين زملاء جيله، ما عرّضه لهجوم شديد منهم، على شاكلة محمد هنيدي أو أحمد حلمي، لكنه رد بعناد كعادته، ونشر صورة للفيلا الجديدة التي يمتلكها بمدينة 6 أكتوبر، وما تحويه من تحف فنية وأثاث راق وثمين، على سبيل التفاخر بحياته التي وصل إليها بعد سنوات قليلة من انخراطه في العمل الفني، لكنه كثيرًا ما يهرب من النقد ويلجأ إلى حجة "مشاركة الجمهور فرحته".

> إصراره على التخلص من عقدة أنه «لا يصلح فنانا» يدفعه إلى أن يوافق على أن يكون ظهوره في السينما في أدوار هامشية أو حتى مجرد «كومبارس»

ما يحسب له فنيًا، أنه شخص جريئ يسعى لتقديم المشهد بمصداقية دون تزييف، لدرجة أنه أصرّ على أداء قفزة خطيرة من أعلى كوبري أكتوبر ليسقط أعلى سيارة هربًا من رجال الشرطة، دون الاستعانة بممثل بديل، ضمن تصوير أحد مشاهد الحركة "الأكشن" في فيلمه "قلب الأسد"، رغم صعوبتها وخطورتها، حتى صنّفت هذه القفزة من أكثر المشاهد خطورة في تاريخ السينما المصرية، وفسّر ذلك بأنه يحب المغامرة، ولا يستعين بدوبلير حتى تكون هناك واقعية أكثر لدى الجمهور.

أمام النجاح الكبير والشهرة الواسعة التي حققها، أصبح يتخوّف أكثر مما يتفاءل بالمزيد، فهو الذي صرّح في لقاء تلفزيوني بأنه "مرعوب من الشهرة والنجاح السريع، ويخشى أن يخطئ في حق جمهوره أو يقدّم عملًا فنيًا هابطًا يجعله يخسر الذين قلدوه في ارتداء الملابس وقصة الشعر ورسم الذقن"، لكنه أقر بالبحث عن جمهور جديد يضاف إلى الشباب والمراهقين، فإذا خسر ذلك، وجد هؤلاء، فهو ينظر للمستقبل أكثر من الماضي والحاضر.

● النجم الملقب بـ"الأسطورة" لا يمتلك رفاهية الوقت ولا النفس الطويل لذلك اختار الطريق السهل بأن استهدف فئة الشباب والمراهقين لمخاطبتهم.

المسافر الأقل خبرة في التفاؤل

محمد عمر خليل
رسام المدينة الذي اخترع مدينته

فاروق يوسف

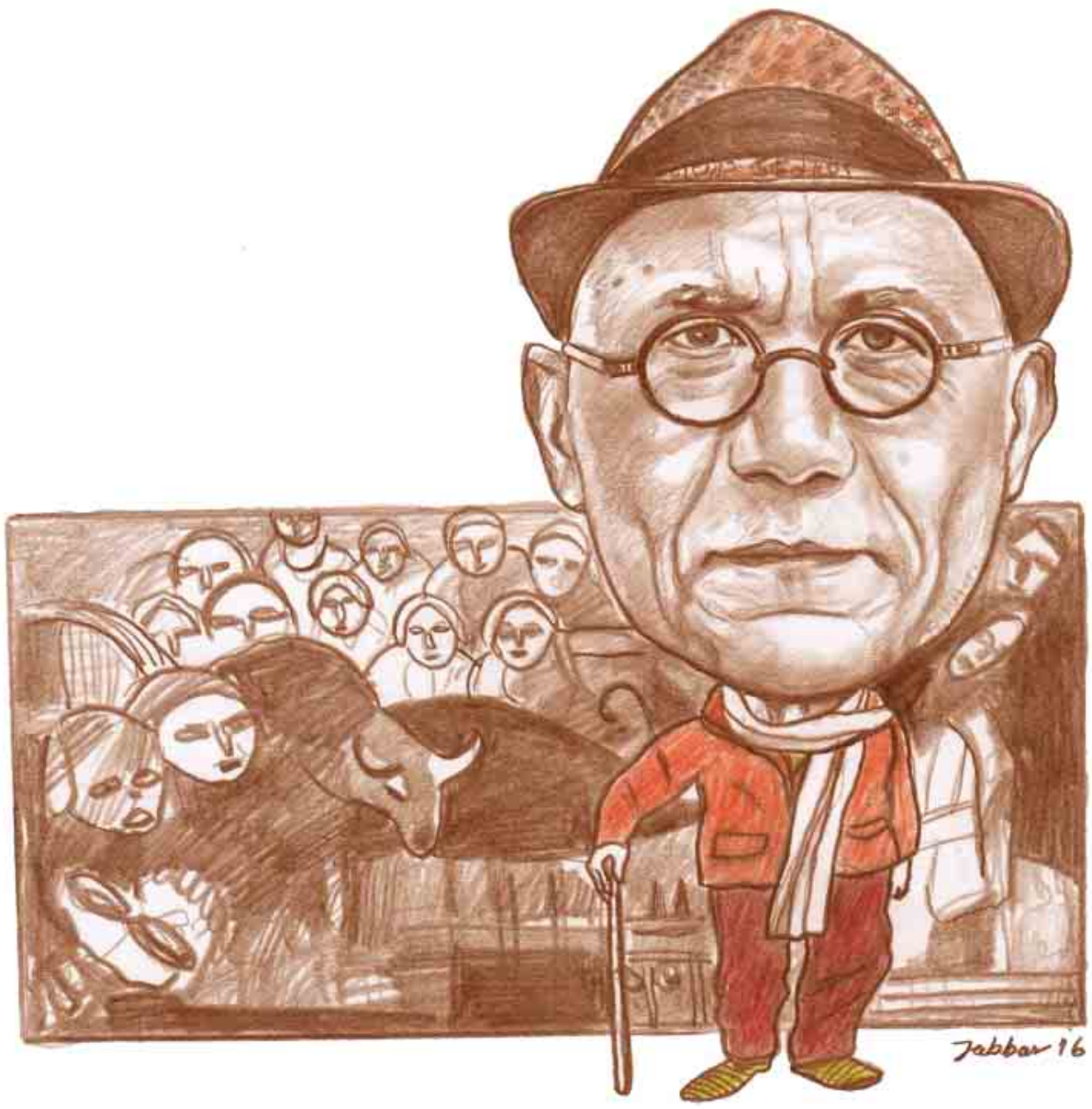

❑ **لندن** – بعد رائدي الفن التشكيلي في السودان إبراهيم الصلحي وأحمد شبرين لا أحد ينافس محمد عمر خليل على موقعه رائدا للحداثة الفنية الثانية في ذلك البلد الذي كان يوما ما يسعى إلى أن يكون جزءا من العالم.

سوداني وتفكيكي معا

خليل هو شاهد التحولات العبثية التي عاشتها بلاده، غير أنه كان في الوقت نفسه بمثابة البوصلة التي لم تضع طريقها في اتجاه العالمية، لا من خلال نقل التأثيرات العالمية فحسب، بل وأيضا من خلال الانفتاح على جوهر الروح السودانية، وهو جوهر غني بالتفاعلات بين ما هو أفريقي وما هو عربي. وهنا بالضبط تكمن قيمة مساعيه الحداثوية.

"خمسون سنة من الحفر" وهو عنوان معرضه الاستعادي الذي أقامه في البحرين (قاعة البارح 2014) يكاد يكون خلاصة رحلة طويلة من الكدح والبحث المضني والاستبسال البطولي من أجل صنع تاريخ جمالي مغاير.

> نيويورك هي وحدها المدينة التي صنعت منه فنانا مدينيا. لقد اكتشف محمد عمر خليل من خلالها عالم المدينة المعاصرة. فحلت صور الحياة اليومية، السريعة والزائلة والغنية بالحركة إلى جانب الصور المتخيلة المستعارة من الحكايات والطقوس الشعبية التي تسكن ذاكرته

رسوم خليل لا تكفّ عن التذكير بسودانيته، بالرغم من أنه أقام الجزء الأكبر من حياته مغتربا خارج بلاده. لا يحتاج الأمر إلى معجزة. فالسودان بالنسبة إلى هذا الرسام ليس صورته كما يصنعها السياسيون، بل هو عمقه الثقافي. جماله الذي يقيم في الخيال الجمعي، حيث الأشعار والحكايات والصناعات اليدوية التي لا يحكمها قانون مسبق.

ما إن ترى رسومه حتى تهتدي إلى سودانيته. وهو ما منحه هوية واضحة على المستوى العالمي، حيث يعيش ويعمل ويعرض أعماله. غير أن تلك الهوية وقد صارت طريقة في النظر لم تمنع الرسام من التماهي مع مفردات حياته اليومية.

خليل رسّام مديني. وهذا وجه آخر من وجوهه الساحرة. لا يقلقه أن تكون له أقنعة كثيرة وهو ابن بيئة سحرية. فهو سوداني عتيق وأميركي متجدّد وهو أيضا مغربي. منذ سنة 1978، حين تأسس موسم أصيلة الثقافي وسكان المدينة الأطلسية يرونه وهو يمشي في دروب مدينتهم الضيقة، قادما من بيته أو عائدا إليه. ورشة الحفر الطباعي التي أقامها في تلك السنة ولا يزال يشرف عليها بحنوّ المعلم لم تكن سوى ذريعة لحياة جديدة.

جسر بين عالمين

لا يُرى العالم بالنسبة إلى محمد عمر خليل إلا من خلال قناع. تلك فلسفته وهي طريقته في تفكيك المرئيات. أظن أنه أول رسام تفكيكي في العالم العربي. لم تأسره وحدة اللوحة. لا شيء إلا لأنه لم يعش تلك الوحدة في حياته.

ولد محمد عمر خليل في بور سودان عام 1936. أنهى دراسته الفنية في كلية الفنون الجميلة والتطبيقية بالخرطوم في العام 1959. بين عامي 1963 و1966 درس الفن في فلورنسا ورافينا الإيطاليتين.

قبل ذهابه إلى إيطاليا قام بتدريس الفن في عدد من المعاهد والجامعات السودانية. عام 1971 قرر الإقامة والعمل في نيويورك وهو ما لم يقف عائقا بينه وبين الاستمرار في تدريس الفن في وطنه الأصلي. مع بدء موسم أصيلة الثقافي عام 1978 استطاع خليل أن يؤسس ورشة الحفر الطباعي التي صار يشرف عليها كل سنة وهو يقيم جزءا من كل سنة في المدينة المغربية الصغيرة، حيث بيته في المدينة القديمة.

غير أن نيويورك هي وحدها المدينة التي صنعت منه فنانا مدينيا. لقد اكتشف من خلالها عالم المدينة المعاصرة. لقد حلّت صور الحياة اليومية، السريعة والزائلة والغنية بالحركة إلى جانب الصور المتخيلة المستعارة من الحكايات والطقوس الشعبية التي تسكن ذاكرته ليمتزجا بقوى تأثيرهما البصري وليصنعا عالما مأهولا بالسحر الذي لا يكف عن التدفق مثل الغناء.

"جسر بين عالمين" هو عنوان معرضه الذي أقامه في البحرين عام 2012. كانت تجربته الفنية التي عاشها بعمق انتمائه الأصيل وقوة رغبته في أن يكون معاصرا هي ذلك الجسر الذي عبره الفنان، جيئة وذهابا مرات عديدة في حياته لكي يتمكن من إحصاء خطواته. خطوات واثقة هي بمثابة درس متقن في معنى إنسانية الفن.

كانت نيويورك كريمة معه حين وهبته فرصة العرض في أعظم متاحفها. متحف متروبوليتان ومتحف بروكلين. كما أن الفنان كان حريصا على أن يعرض رسومه بين حين وآخر في عدد من المدن العربية. قاعتا أجيال ببيروت (2006) والبارح بالبحرين احتضنتا أهم معارضه. كما أقيم له معرض كبير في معهد العالم العربي بباريس.

ريش مخدته المتخيلة

"المسافر" يمكن أن يكون لقبه. تعلم من نيويورك الكثير، غير أن أهمّ ما تعلّمه أن يظل مسافرا. إنها محطته الأخيرة وهي ليست كذلك دائما. كل مدينة مرّ بها حمل منها شيئا، صار مع الوقت بمثابة لقية شخصية. الرسام الذي لم ينزلق إلى التجريد كان يلج العالم مستعينا بالصور. وهي صور يستعيرها من الواقع. غير أنها ما إن تنتقل إلى سطح لوحته حتى تبدو كما لو أنها تعيش حياة خيالية باذخة. عالم عمر خليل لا يشكل من الصور المستعارة وحدها، بل هناك الشطحات اللونية العبثية بتمردها التي يفرضها الرسم، لتشكل قاسما مشتركا بين تلك الصور المكتظة بالصخب. تنظم تلك الشطحات التي تنبعث من داخل السطح التصويري العلاقة بين الأصوات المتضادة لترتقي بها سلّم موسيقى متناغما.

يمر الرسام بفاس المغربية ليأخذ منها سكينتها وسلامها وجلال مقامها، أما حين يمر بمراكش فيؤخذ بسحر حواتها وتنهال عليه المرويات بكل ما تنطوي عليه من تداخل ممتع بين الوهم والحقيقة فينتج صورا هي خلاصة ذلك المزيج بين صور مدينتين تعيشان على حافات الكلام. كانت لوحاته بمثابة يومياته التي تضعه وهو المسافر العابر في مواجهة مصادر إلهامه البصري. وهو ما يعني أن محمد عمر خليل يعيش بعمق كل لحظة من لحظات سفره. فهو لا يسافر جغرافيا، بقدر ما تحمله الموسيقى التي تنبعث من الصور التي يلتقطها إلى أعماق اللحظة التي يكون فيها خالقا لحياة كان قد عاشها من غير أن يكون ساكنها الوحيد. لوحاته لا تصف محطات الطريق وإن كانت تحمل إشارات منها. يمكنه بجرأة أن يقول "إنها حياتي" تلك الصور التي تتجاور ويمتزج بعضها بالبعض الآخر هي في النهاية مواد أحلامه الشخصية التي تندس بسلام بين ريش مخدته المتخيلة.

سالو

أحيانا يبدو محمد عمر خليل كما لو أنه ينزلق إلى التوضيح. وهو أمر لا يستهجنه الرسام، وهو الذي يصر على أن يكون واقعيا نقديا، بالمعنى التاريخي الذي يهبه الحق في أن يعبّر عن مشاعره مباشرة في مواجهة التحولات الكبرى التي تتعرض لها المجتمعات. خليل في النهاية هو فنان اجتماعي. في معرض أقامه في القاهرة وكان بعنوان "النيل نهرا للتواصل الإبداعي" وهو عنوان صحافي عابر حاول خليل أن يسترجع أيام مملكة مصر والسودان، ليذهب من خلالها إلى استقلال السودان الذي بات اليوم دولتين.

"سالو" هو عنوان المجموعة التي تتعلق بما آل إليه مصير السودان بعد انفصاله عن تلك المملكة. و"سالو" مفردة تصف بالسودانية فرع الشجرة العتيقة عندما يذبل ويسقط على الأرض تاركا الشجرة الأم.

في رسومه الكثير من الحنين. غير أنه حنين يائس.

في أعمال الحفر الطباعي ينافس محمد عمر خليل معلّم هذا الفن، العراقي رافع الناصري، غير أن الناصري يتفوق من جهة تمسّكه بذروة الأمل التي تمثلها الكتل الملونة التي تحيي الذاكرة البصرية لدى المتلقي. كان اللون الأسود فاتحة أعمال الفنان السوداني وهو المنتهى. المسافر كان الأقل خبرة في التفاؤل.

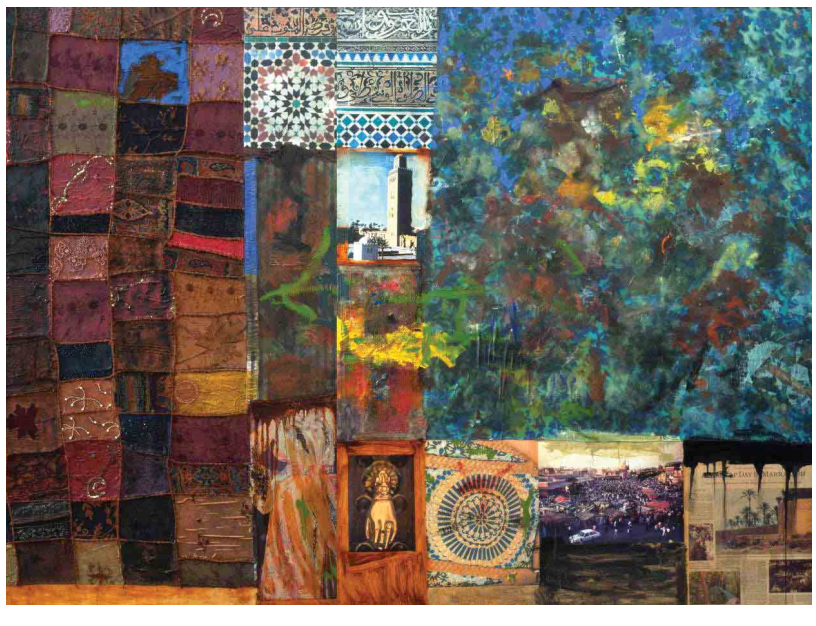

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

حدث ما حدث كأنه لم يحدث

عن المراوحة الفكرية والمراجعات النقدية المرجأة

نوري الجراح
شاعر من سوريا مقيم في لندن

❑ تهيمن على هذا العدد من "الجديد" المقالات النقدية؛ الفكرية والأدبية. وتشغل مسألة الفلسفة وغيابها وانفلات الفكر التديني ومخياله من كلّ عقال، في تفاعل عنفي، مع ما يرافق ذلك من ظواهر مستجدة في الممارسات الثقافية اليومية في ظلال الحطام والدم المتدفق والمهراق في شوارع الحريق العربي وعلى طول رقعة الجغرافيا المنتفضة وعرضها.

ولسوف نلحظ في الآونة الأخيرة في خطابات مفكرين ومثقفين عرب معتبرين ولهم إرث وتاريخ مؤسس في نقد ثقافة المجتمع، ما هو أكثر من ذلك. وهو ما ينسحب أيضاً على التفاعل النقدي مع هذه الخطابات. إنه قلق فكري متجدد، قراءات قلقة في الوقائع. بحث في اللغة وبحث في الظواهر عن تلك الكوى التي يمكن للضوء أن ينفذ منها إلى عتمة الحاضر. وهو ما دأبت "الجديد" على الدعوة إليه انطلاقا من الحاجة الماسة إلى الانتقال المجتمعي من ثقافة الصوت الواحد إلى ثقافة الأصوات المتعددة، ومن ثقافة الفكرة المهيمنة إلى ثقافة الاختلاف المتطلّعة إلى هدم جدران التقوقع والانغلاق والتحيز والخوف من الآخر، وهي السِمات التي ميزت التفكير العام في ظلّ دولة الاستبداد، وشغلت وما تزال حلقات النقاش الفكري في أوساط النخب الفكرية المطالبة بالتغيير.

***

أتمّ العالم العربي خمس سنوات أليمة من التمرّد الدامي والمتخبّط على سائد احتلته أشباح الماضي ونخرت جسده أمراض حملتها له الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتفاقمة، وعصفت به أوهام الأيديولوجيات القومية والدينية، فتناهبت مصائره الجماعية قوّتان لم تتوقفا أبداً عن محاولات إخضاعه، هما منظومة التدين في طبعات شتى ومنظومة الاستبداد التي أسرت العرب على مدار قرن كامل في حظائر "الخطاب القومي" مفتتحة في "الأمة" المتخيلة عهد المتاهة في شعاب خبل أيديولوجي لم يتوقّف عن وضع الفرد والجماعة في تناقض يومي مع حقائق العصر والإنسان، تحت سماء عربية حبلى بغيوم كاذبة لم تمطر يوماً إلا في كتب الحاكم المستبد وخطاباته المراوغة الموجهة إلى "القطيع".

إما أن الوقت كان مبكراً أو أنه متأخر كثيراً. وفي كلتا الحالتين نحن في "فوات تاريخي". هل هذا ما وقع للعرب الحالمين بالحرية والكرامة لهم ولنسلهم؛ العرب المنتفضين على ظلام الماضي وخفافيشه، لأجل أن يتخلص نسلهم الجديد ممّا لم يتمكّنوا هم بأنفسهم أن يتخلّصوا منه على مدار قرن من الخطابات الزائفة. في ظل أنماط حكم بوليسية بائدة حوّلت الفرد إلى خروف والأمة إلى مجتمع من الأضاحي.

***

المثقفون حائرون، وحيرتهم هذه المرة أكثر حقيقية من أيّ وقت مضى، فالحريق يتّسع ورياح العالم تهب به من بيت إلى بيت وصولا إلى العواصم المنيعة، بل وإلى أسرة الآباء المؤسسين وقبور أجدادهم. العواصم التي ظنّت نفسها آمنة من شرور الصّراع وآفات التاريخ ها هي محاطة اليوم بالأعداء، والقلاع العربية لم تعد حصينة. لا في الواقع ولا في المجاز فهي مهددة في الأرض ومهددة في اللغة.

ولكن هل تطرح الثقافات المأزومة الأسئلة، في اللحظات المصيرية من حياة الأمم، لتعفي نفسها من الأجوبة؟ أم أن فكرة الأجوبة هي في ذاتها، وفي أصل كل خطاب ثقافي، ضرب من خرافات الفكر والتفكير، عندما لا يمكن لغير الوقائع في الواقع أن تفعل فيه وتفعل في الأفكار، وما أسئلة المثقفين إذ ذاك، أكانت انفعالاً لحظيا بالوقائع، أو ثمرة تأمل، سوى ترف فكري يعبر عن حيرة لا شفاء منها؟!

يجعلنا هذا نعيد طرح السؤال عن دور المثقّف في المجتمع والتاريخ، عن الطاقة والإمكانات والحدود، وعن علاقة المثقّف بذاته وبالنّاس، وعلاقته باللغة التي ينتج فيها خطاباته أو يستهلك فيها خطابات تتبنّاها ثقافته، وصولا إلى الخلاصة التي يمكن أن يرى فيها ذاته المجتمعية وارتباط تلك الذات بواجباتها المختلفة وما تنتجه هذه العلائق مجتمعة من أسئلة، هي في ذاتها مادّة لمراجعة لم تنجز نفسها، ما دمنا لم نصدم حتى الآن بحالات أو حتى حالة واحدة من المراجعة العميقة للعلاقة بين أهل الفكر والأفكار التي اعتنقوها، وبينهم وبين الطرائق التي اعتمدوها للتعبير عن هذه الأفكار والمعتقدات، وبينهم وبين السّلط التي داروا في فلكها أو تواجهوا معها، سلطة الثقافة، وسلطة السياسة، وسلطة الدين، ولا بينهم وبين الناس.

نعم، للأسف لم نصدم أبداً بشيء من هذا القبيل. لم تتحقق ولا مرة حالة واحدة من حالات الصدمة المؤثرة التي يمكن للمفكر وفكره أن يحدثاها في المجتمع والتاريخ، على شاكلة ما حصل في أوروبا العصور الوسطى، وأوروبا النهضة، وأوروبا الأنوار، وحتى أوروبا عصر الاستعمار الحديث. وأعني بها خطابات أفراد مثقفين من قبل الدفاع عن الذات أو الفكرة أو المجتمع أو الثقافة، أو دفاع عن حقوق الأفراد.

***

عرفت أوروبا خطابات حقوقية وأخرى ثقافية وغيرها سياسية. والأمثلة في الأذهان كثيرة، ليس أقدمها رسالة دانتي في تقريع الحاكم الذي كان قد أصدر على الشاعر سنة 1302 حكما بالنفي عن فلورنسا يتضمن حكماً عليه بالموت لو هو عصى الحكم ورجع إلى وطنه، وها هو يعده الآن بالعفو عنه مقابل أن يتلقى اعتذارا من الشاعر عن موقفه السياسي بوصفه خطأ. لكن دانتي المتشبث بموقفه كتب تلك الرسالة التي ستدخل تاريخ المقاومة الثقافية بوصفها رسالة المبدع في ثباته على الرأي ودفاعه عن فكرة الحرية وعن كرامته الشخصية كفرد. والسؤال الآن هل كان لهذه الرسالة أن تؤثر في التاريخ الثقافي الأوروبي وتجعل السلطة التي نفت الشاعر تندم على فعلتها، كما حدث لاحقاً، لولا الإقرار الاجتماعي للفرد بكيانه وحقّه ودوره ومكانته في المجتمع كفرد أولاً له حقوق يكفلها له جوهر التعاقد بين الأفراد والمجتمع وبين مجتمع الأفراد والسلطة؟

مثال دانتي كفرد ثقافي مقاوم في مجتمع متسلط لا آتي به للدلالة على وجود أو عدم وجود نموذج مماثل له في الثقافة العربية، ولكن على تأثير هذا النموذج الأوروبي في التيار العام، مقابل هزالة وربما انعدام تأثير نموذج مماثل في مجتمعات الثقافة العربية.

***

الخلاصة، وحديثنا هنا يقتصر على القرن الأخير عربياً، فإنه باستثناء محاولات نادرة لم تحصل مراجعات نقدية مثمرة داخل الثقافة العربية يمكن لها أن تفعل فعلها في التيار العام.

رأينا الحريق يزحف ويأتي على الخارطة، الطائرات تدمّر المدن والقرى والمزارع، والدمار يجرف البيوت وساكنتها، وجغرافيات الإقليم والعالم تتلقى موجات الهاربين من الموت.

حدث ما حدث ويحدث ولا أثر عميقاً له في المجتمع بعد أثره في الفكر، مادامت المراجعات النقدية الفردية منها والجماعية متلعثمة ومترددة، مادام مجتمع الثقافة العربية لم يعط وزناً لأصوات العقل النقدي.

ولربما يجد القارئ في بعض ما احتواه هذا العدد من مشاركات فكرية إشارات دالة على قلق الفكر العربي اليوم حيال ما يحدث.

علي عبدالرازق، طه حسين، عبد الله القصيمي، عبدالرحمن بدوي، جمال حمدان، ياسين الحافظ، صادق جلال العظم، علي الوردي، الصادق النيهوم، محمد عابد الجابري، عبدالله العروي، نصر حامد أبو زيد، سيد القمني.

هذه أصوات علامات ظلت تتردد في فراغ اللحظة العربية المعلقة.

حدث ما حدث كأنه لم يحدث. يا لتلك الخفة الدموية!

* تخطيط: ساي سرحان

الكاتب باعتباره سلعة

سعيد خطيبي
كاتب من الجزائر

❑ في مزاد علني غير مسبوق، بيعت، قبل أيّام قليلة، في لوس أنجلس، حفنة من رفات الكاتب الأميركي ترومان كابوتي (1924–1984)، في علبة خشبية، مقابل 43 ألف دولار.

الخبر تداولته صحف ومواقع أميركية وبريطانية، ومرّ، بشكل سلس، من دون أن يثير ردود فعل حقيقية، فهل يُعقل أن يتحوّل كاتب إلى سلعة، في حياته، ويُباع ويُشترى أيضاً بعد مماته؟

بعض المتابعين علّقوا على الأمر بسخرية، بأن الأمر ليس سوى تعبير عن حياة كابوتي السّوداوية، التي خاض فيها في كلّ الممنوعات، فقد كان صعلوكاً، غاضباً من العالم الذي عاش فيه، قلقاً، رافضاً للقوانين الإنسانية، سكّيراً، ومدمناً على الكوكايين، فبعد صدور روايته "بدم بارد" (1965)، دخل حالة متقدّمة من الإحباط، استمرت معه حوالي عشرين عاما، حتى آخر أيّام حياته، ليموت متأثراً بخثار وريدي، وبأعراض سرطان الكبد.

هل هذه الكآبة التي عاش فيها ترومان كابوتي، كانت لتبرّر التّفكير في بيع رفاته؟ هذه ليست المرّة الأولى التي تحصل فيها وقائع مماثلة، ففي السّبعينات من القرن الماضي باعت صالة مزادات في باريس ما كانت تعتقد أنه "شيء" يتصل بفحولة نابليون بونابرت، وبيع في مزاد آخر، مطلع السّنة الجارية، حصى استئصل من كلية الكاتب والممثل الكندي ويليام شاتنار، مقابل 25 ألف دولار!

تعوّدنا، في العقود الماضية، على متابعة مزادات تُعرض فيها أغراض حميمة لكتّاب متوفين مثل مارسيل بروست، فيكتور هيغو، تولستوي، جيمس جويس، وغيرهم، كلهم كتّاب تحوّلت مقتنياتهم الشخصية بعد وفاتهم إلى سلع تذهب عائداتها إلى جمعيات أدبية أو خيرية أو إلى ورثتهم. لكن الشيء الذي لم نتعوّد عليه، هو أن تتحوّل جثّة كاتب ورفاته إلى بضاعة كما في حالة ترومان كابوتي، فقد عاش الرّجل حياة متواضعة، حدّ الفقر أحياناً. لم تكن له مقتنيات كثيرة مهمّة، هذا ربما ما دفع ورثته للبحث عن «مادة» منه، تحقّق بعض المال، ووجدوها في علبة خشبية كانت تحتوي حفنة من رفاته، وكانت بحوزة زوجته الأخيرة جوان كارسو (التي توفيت العام الماضي).

فكرة تحويل كاتب ما أو مقتنياته الحميمة إلى سلع تُباع، ويتداولها النّاس وأشخاص مجهولون -ليست لهم بالضرورة علاقة بالأدب- في المزادات وفي مواقع تجارية على الإنترنت، تبدو غير متناسقة مع جوهر الأدب نفسه، فكثير من الكتّاب المعروفين لم تنجح كتب لهم في حياتهم، لكنهم صاروا نجوماً بعد وفاتهم. الشاعر الفرنسي بول فارلين (1844–1896) مثلاً، لم يكن يبيع في حياته أكثر من ثماني نسخ من ديوان شعر له، وبعد وفاته بسنوات صار يُعاد طبع دواوينه كلّها وتباع بالآلاف سنوياً، كما أن بعضا من مخطوطاته وكراريسه بيعت، وأمكنة عاش فيها صارت مزارات يدخل إليها النّاس مقابل رسوم مالية.

> فكرة تحويل كاتب ما أو مقتنياته الحميمة إلى سلع تباع، ويتداولها الناس وأشخاص مجهولون -ليست لهم بالضرورة علاقة بالأدب- في المزادات وفي مواقع تجارية على الإنترنت، تبدو غير متناسقة مع جوهر الأدب

كما أن العملية ذاتها تفتقد إلى معاني العدالة والمساواة، ففي لحظة المزادات، ترتفع قيمة مقتنيات كاتب ما وتنخفض بحسب المضاربين، وليس بحسب أهميته الأدبية، ونجد من معاينة ما بيع من أغراض بعض الكتّاب أن كتّابا عاديين بيعت مقتنيات لهم بأثمان مضاعفة مقارنة بأغراض كتّاب آخرين مهمين وأكثر تأثيراً في الأدب.

بالمقابل، هناك جانب مُضيء في العملية، وهو هذا الاهتمام الغربي بالكتّاب، سواء في حياتهم أو بعد مماتهم، على العكس تماماً مما هو عليه الوضع في العالم العربي. هل نتخيّل مزادا تُعرض فيها أغراض كاتب أو شاعر عربي؟ قد يحصل هذا، لكن الاهتمام به لن يخرج عن فئة بعض المتعلّمين وليس من الطّبقات الشّعبية في المجتمع. الكاتب العربي غير متصالح مع مجتمعه، وغير قادر على إقناع أبناء وطنه بما يكتب، وغير قادر على التّرويج لبضاعته في حياته، فكيف نفكر إذن أن نجعل منه سببا في عائدات مالية بعد رحيله؟ هنا إذن يكمن واحد من الفوارق الجوهرية بين المجتمعين الغربي والعربي في العلاقة مع الأدب ومع الكتّاب.

اختلال الثقافة ومفهوم المواطنة

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❑ بروز الحاجة الى تعزيز التعددية الثقافية التي صارت شعارا صاخبا للنسق الديمقراطي العالمي، تفككت المجتمعات شذرات ، وبدل ان نتجه الى حوار الثقافات الوطنية وتماسكها، سقطنا عمليا في صدام الثقافات المحلية وتنازعها ؛ فهناك لغة مخادعة ومفرغة من معانيها، يستخدمها الساسة كالمناداة بالتعددية وقبول المختلف الذي بشرت به الديمقراطية؛ فإذا بالخطاب المائع يكشف عن احتقانات مموهة تعني إقصاء مجمل الثقافات الوطنية والإبقاء على ثقافة فئة او طائفة واحدة تتسيد المشهد وتمارس قمعا للحريات وتحجيما للثقافة والفنون وأدى كل ذلك الإقصاء إلى تراجع في التعليم وارتباك في مفهوم الهوية الوطنية وتدميرا لمفهوم المواطنة مما أفسح المجال لصعود الهويات الثانوية من طائفية ودينية وعرقية ، وأفرز هذا التحول الدراماتيكي ترديا مريعا للأوضاع المجتمعية والقيمية والثقافية ، ويبدو ان ليس من أمل لتخطي هذا الإنحدار ؛ فالفئات الواعية المطالبة بإعلاء مفهوم المواطنة لاتملك الأدوات التي تسيطر بها القوى المهيمنة على المجتمع بل ان تلك القوى مستهدفة من قبل السلطة ومدعي الفضيلة .

منذ عقود جرى العمل الدؤوب على تجهيل المجتمعات العربية بتعاون مقصود أو عرضي بين الحكّام المستبدين المزمنين والقوى المتشددة ، وحصل نوع من المهادنة بإطلاق الحملات الايمانية تزلفاً للجماعات المتشددة والسلفية وكسبا لولائها، وطال التجهيل مناهج التربية والتعليم وتراجعت مستويات الجامعات ومتخرجيها، فضلاً عن اندراج مجموعات كبيرة من قادة الثقافة العربية والعراقية في المشروع السياسي الرسمي ومحاولتهم تجميل خطايا الانظمة الشمولية مقابل أموال تلقمهم حجر الصمت إزاء تردّي أوضاع المجتمعات وتهاوي البنى الاقتصادية والثقافية والتعليمية .

حشدٌ كبير من مثقفي المهرجانات المزمنين وأدباء المؤتمرات المؤبدين باتوا يموّهون الجذام الثقافي بأقنعة البيانات الرنانة، وهم في حقيقة مواقفهم يعملون على نخر بنية الثقافة بتواطؤاتهم مع الأنظمة المستبدة والتعاون مع رأس المال المشبوه بشروطه ومحدداته ليهيمن عبر سلطة المثقف ونجوميته على مقدرات الثقافة والمجتمع ويجعلها رهينة سياساته ونظرته المتشددة للحياة الإنسانية وتفاصيلها اليومية ، ويساند تحلل الهويات الوطنية وتشرذم المثقفين من خلال إدامة الخواء الثقافي واستحالة تبني هوية مركبة من انتماء رئيسي وانتماءات فرعية كامنة ترضي التشوقات الشخصية للحصول على مكانة معينة وسط فوضى العالم . إن امتلاك هوية مركبة يمثل السبيل الوحيد لمجابهة التشدد والتناحر المجتمعي ؛ فكون المرء مسيحيا او مسلما او مندائيا وينتمي لقومية معينة كأن يكون عربيا او كرديا او تركمانيا لن يكون إنتماء مؤذيا عندما تكون المواطنة هي العنصر اللاصق لجملة الانتماءات الثانوية ، كما هو الشأن في الولايات المتحدة وكندا ؛ فهناك لا يقال هذا ايرلندي او ألماني او فرنسي او عربي بل هو أمريكي بهوية فرعية ، و.يتطلب تعزيز الوعي بالهوية المركبة مناهج تعليمية متجددة واعلاماً حراً و جهد المثقفين وادارات التعليم والمؤسسات الثقافية المستقلة.

إنه لمحض تصور يوتوبي الحديث عن امكانات التمسك بالهوية الوطنية ومفهوم المواطنة إزاء عجز منتجي الثقافة المتنورين من الوصول الى المتلقين ؛ فوسائل الإعلام وكثير من وسائل النشر خاضعة للأنظمة الحاكمة او المتعاونين معها بينما يهيمن المتشددون والطائفيون على معظم الفضائيات والنوادي الثقافية والمؤسسات النشطة الممولة من الحكومات بأموال الشعب وهي التي تتيح للأصوات المتطرفة الوصول للمتلقين ونشر ثقافة الترهيب والتحريم وتكفير المختلف وحينها لن تنجح قصة او رواية او قصيدة او معرض فني او حفل موسيقى في إحداث تغيير منظور ؛ فهي وسائل ذات جمهور محدود مقارنة بالفضائيات المهيمنة على امزجة الجموع وتوجيهها الوجهة التي تريد.

هل يخطئ الناقد أحيانا

سجال مع حسونة المصباحي بصدد مقاله عن الشعراء الجدد

نشرت "العرب" في 3 أكتوبر الجاري مقالة للكاتب والناقد التونسي حسونة المصباحي تحت عنوان "أكاذيب الشعراء الجدد". حمل فيها على شعراء اليوم في العالم العربي، وقد أثارت المقالة نقاشا في أوساط الشعراء في تونس والعالم العربي. و"العرب" التي عهد عنها الموضوعية في استقبال الآراء ونشرها، تنشر اليوم مقالتين لشاعرين من العراق يسـاجلان فيهما المصباحي كل على طريقته في ما اعتبراه أخطاء في التفكير وتجنيا على الشعراء، لا سيما في ما يتعلق بثقافة الشعراء الجدد.

دفاعا عن الشعر والشعراء

علي حسن الفواز
شاعر وناقد من العراق

❑ يضعنا مقال الكاتب حسونة المصباحي "أكاذيب الشعراء الجدد" المنشور في ثقافية "العرب" (3 أكتوبر الحالي، العدد 10413) في مواجهة ساخنة مع توصيف افتراضي عمومي للشعراء الجدد، وكأنّ هذا التوصيف هو العلة التي ستصيب صاحبها بكل الأعراض التي تحدث عنها في مقاله.

لا يمكن لهؤلاء الشعراء أن يشبهوا "رامبو" بشيء، لا في لحظته التاريخية، ولا في نزقه، ولا في شعريته التي تختلط فيها الموهبة مع الإشاعة، مع المفارقة، مع الكثير من الأسرار التي اكتنفت حياته الغامضة، والتي حوّلته إلى تاجر سلاح، أو ربما تاجر للرقيق الأسود! وحتى (أكاذيب) رامبو كانت مجازية، ولها مرجعيات يعرفها من قرأ رامبو بعمق، فهو ضحية انهيار أحلامه الكومونية، وضحية شخصيته النزقة والمتمرّدة والباحثة عن معنى.

صفة العموم قد تجعل من الحكم قاسيا، وقصديا، لا سيما وأنّ عالم التقانات الحديثة وتكنولوجيات الاتصال قد وضعتنا أمام عوالم غير مُسيطر عليها للنشر والإشهار، إذ بات "الغث" من الكلام الشعري موجودا في قرية ماكلوهان الصغيرة، وأن تقليبه وقراءته شأنٌ شخصي، المهم أنّ فضاءات الإعلام تمارس لعبتها في البث القسري، مقابل أنّ هناك الكثير من "الشعر الجدد" العرب يمارسون "لعبة الشعر" خارج هذه "الشقشقة" وكأنها هاجسهم الوجودي، يبحثون ويحلمون ويغامرون، وضمن شروطهم التاريخية التي فقدت الكثير من الألفة، إذ صارت حيواتهم خاضعة لمنافسات متوحشة، ومهددَة، وفي فضاءات حروب تصبّ على الشعر قيراً أسود، وتخضُع حرياتهم إلى رهاب الرقابة والحسبة، وربما هم المطرودون، الملاحقون، والمغتربون، فكيف للقصيدة أنْ تمارس اطمئنانها الشخصي والجمالي وسط هذا الضيق، عند عتبات لذة لا تشبه لذّات أنسي الحاج ولا سماء غيره من الشعراء المجايلين.

زحمة الشعراء هي ظاهرة اجتماعية وليست ثقافية خالصة، مثلما هي لصيقة بكل الأجيال والجماعات الشعرية، فحين نتحدث عن الشعراء الروّاد، فإننا نُسقط من حسابنا الكثير من الأسماء الطارئة، والتي لم تَعْلَق بذاكرةِ أحد، وكذلك هو الحال مع التجارب الأخرى، إذ لم تبق في الذاكرة سوى أسماء محدودة، لها قدرة التأسيس والتجاوز، وحتى حديث الأكاذيب الشعرية يحتاج إلى فحص نقدي وثقافي، لأن مقابل هذه الأكاذيب يعني وجود مصاديق، وهو أمر ملتبس وغير واضح، فالشعر لا يعنى بالأكاذيب والمصاديق كثيرا.

المواهب الشعرية هي من نراهن عليها، وهي من تجعلنا نقرأها، ونتلمّس من خلالها أفقا للقصيدة ولوجودها ولجدّتها، وبغير هذا فإنّ الغثّ الشعري الذي يتساقط هنا أوهناك سيتقاطر كثيرا، لكنّه سيكون خارج السياق، وبعيدا عن أيّ مراجعة أو مقاربة نقدية.

الاتهام العمومي ليس دقيقا، وتسويق الكلام الواخز على ظاهرة جامعة يحتاج إلى ما يسنده نقديا، وهذا الأمر لا علاقة له بالمزاج الشعري، أو النقدي، لا سيما مع مثقّف كبير ومهم مثل حسونة المصباحي الذي تعلمتُ من كتاباته الكثير، إذ تبدو لي عبارات مثل (الخواء، الزيف، والبطلان) قاسية، وفيها الكثير من التسقيط الشعري، والغلوّ في النظر إلى تجارب غضّة تتسع وتضيق، ومن الصّعب جدا إخضاع هذه التجارب إلى معايرة نقدية وتاريخية صارمة مع تجارب أخرى لها ظروفها ومساراتها وأسئلتها وتحدياتها.

الأوهام الشعرية

قد تكون عبارة الأوهام أكثر دقة في توصيف العديد من الحمولات الشعرية لهؤلاء الشعراء الباحثين عن منابرَ لهم، وعن زهو يتّسق مع نرجسياتهم الغضّة، ومع أحلامهم التي يبدو أنّ تضخّمها ظاهرة طبيعة في التوصيف العيادي القرين بأيّ مراهقة شعرية، والتي ستجد نفسها الناضجة عبر صراع السيرورة والوجود والإشباع.

وحتى الحديث عن قدرات هؤلاء الشعراء الجدد بالكشف عن إمكانياتهم الخاصة، وبوعيهم الذاتي كما يقول الأستاذ المصباحي يحتاج إلى قراءة أخرى، لأنّ الرثاثة الشعرية لا تشفع لها أيّ عملية تقويم نقدية، وأنّ ما يسمى بـ"الكذب النقدي" لا يعدو أن يكون جزءا من مشكليات الصحافة الثقافية العربية، والتي لها دور في التّرويج للعموميات الشعرية.

استثناء الكاتب المصباحي لعدد قليل من الشعراء الجدد من سؤاله المحرج يبدو لي وكأنه محاولة للتخلص من عبء أخلاقي في النظر إلى المشهد الشعري العربي الجديد، والذي ينبغي النظر إليه بعيون أخرى، وليس بعيون مَنْ ترسّخت لديه قناعات شعرية جمالية وتعبيرية وحتى أسلوبية معيّنة، فهم جيل مناف داخلية وخارجية، وتشوّهات قومية وأخلاقية، وجيل وجد نفسه إزاء حروب محو كبيرة، حتى باتت منظومتهم المعرفية، ورؤيتهم للأشياء التي تحوطهم مسكونة بالمختلف والمغاير، وربّما فيها الكثير من السيولة الفاقدة للضبط وللتشكّل الواضح.

وبقدر ما حاول الكاتب المصباحي أن ينأى بمقاله عمّا سمّاه بـ"المعارك الدونكيشوتية البلهاء" بين جماعات كارهة أو مُريدة، فهو أثار أسئلة حادة الإيقاع بعض الشيء، لكنّها ضرورية أيضا، لا سيما أمام "المؤسسة النقدية العربية"، إذا جازت التسمية، فهذه المؤسسة انشغلت كثيرا بالمقاربات المنهجية والنظرية، وابتعدت كثيرا عن مسؤوليتها في قراءة التحولات الصادمة والفاجعة أحيانا في المشهد الشعري، والذي أباح لقصار المواهب من التسلل إليه، ومزاحمة المواهب الجادة التي تحتاج إلى قراءة وتقويم، وإلى تبشير أيضا.

الاطمئنانات المغشوشة

لا أظنّ أنّ ثقافتنا العربية تسمح بنشوء الاطمئنانات الثقافية، فالشعراء وغيرهم محاصرون بالكثير من الأوهام واللعنات، ولعل الشعراء الجدد هم الأكثر تضرّرا ممّا يجري، فثقافتنا العربية أبوية بامتياز، ولا تسمح للأولاد بإعادة استعمال السرير الزوجي بسهولة وبشرعية مباحة الصلاحيات، وهو ما يجعل "الكارزمات" الكبرى و"الأيقونات" الكبرى في مشهدنا الشعري تمارس سلطتها حتى وهي في شيخوختها، وهذا ما يجعل الحديث عن رعب ذوقي أو جمالي من الأولاد الشعراء أمرا مفارقا وغريبا، وأنّ حديث الديمقراطية والحداثية سيظل شبيها بـ"الثرد خارج الماعون" مع وجود تلك الأبويات والمهيمنات المركزية المرعبة بدءا من هيمنة السلطة والجنرال، وانتهاء بمهيمنة الفقيه الشاعر والناقد والواعظ.

هؤلاء الشعراء هم أولاد المستقبل، وهم أبطاله أو ضحاياه، وأنّ بحثهم أو مغامرتهم في البحث عن الحياة أو القصيدة قد تكون محفوفة بالمخاطر، لكنها أيضا مسكونة بالأحلام والأوهام أيضا، وهذا ما يجعل لعبة الشعر تبدو وكأنها رهان على صناعة ما يليق بها، أو ما يجعل بعضهم خارج السياق، وداخل اللغو والهذيان، وهو كثير في حياتنا الشعرية والسردية والإعلانية وحتى السياسية.

وهم الثورة الشعرية

لا أظنّ أنّ زمننا الشعري صالح لتداول مفهوم "الثورة التجديدية"، لأنّ الثوّار اليوم لهم أوهامهم الفائقة، ولهم مناطقهم الأكثر هشاشة، ولهم خطابهم الصانع للعقد اللاواعية طائفيا ودينيا وجماعاتيا، وحتى الثوار الشعراء فقدوا أهلية هذه اللعبة "النزقة"، ولم يعد من يقبل بمفهوم هذه الثورة الشاملة التي تقبل بالسطو على التاريخ والنص، لأن هناك من يصنع لهم وعيا ضديا له نصوصه، أو تاريخاته التي تخص الفرق الناجية، ولا تخصّ الشعريات الناجية.

أسماء كبيرة مثل السياب ونازك والبياتي وأدونيس أصبحوا الآن من حصة المتحف والذاكرة، ليس لأنهم جزء من تاريخ الرومانسيات الثورية، أو الضرورات الدافعة للتغيير، بل لأن المزاج الشعري الجديد بات أكثر حاجة إلى أساطير جديدة تشبه أساطير رولان بارت، وإلى سرديات وشعريات جديدة خارج لعبة السرير والمسطرة.. وإلى مضامين تُعنى باليومي والهامشي، ولا يخصّها الوجودي والكوني، والمضامين الفائقة، وحتى الحديث عن المعرفة الدقيقة بالتراث كما يقول المصباحي لم يعد عنوانا للبراءة، أو تبريرا لعجز الشعراء الجدد وخوائهم وعطالتهم.

الشعراء الجدد تجديد ومغامرة

باسم فرات
شاعر وناقد من العراق

❑ نشرت جريدة "العرب" مقالاً للكاتب حسونة المصباحي، تحت عنوان "الشعراء الجدد" وكان هجومًا كاسحًا على الجيل الشعري الجديد، بتهم شتى، قاسية إلى درجة الإلغاء والإقصاء لهؤلاء، والذين لا نعلم هل المقصود في مقاله شعراء تونس، وفيهم مواهب طيبة وثرية، أم شعراء اللغة العربية الجدد قاطبة، والذين يملك بعضهم مواهب خلاقة وثقافة تراثية جيدة ويجيد لغة أجنبية ليزيد ثقافته الشعرية.

حسنًا فعل المحرر الثقافي في العرب أن أبدى حيادية مشوبة بتعاطف مع "الشعراء الجدد" وجعل باب الردّ مفتوحًا، ولأني أستطيع الزعم بأنني من المتابعين للحركة الشعرية بشكل جيد، فقد لمست مواهب

> الكتابة حق مكفول في أي نوع من أنواعها، لا سيما الإبداع، شرط ألا تتسبب بخلق أوهام وأكاذيب وإساءات لحقائق التاريخ وعقائد الناس

تستحق الدفاع عنها، فكان ردّي في هذه السطور.

الكتابة في المجالات كافة متاحة للجميع، وهو حقّ من حقوق الإنسان، ما دام الذي يمارس هواية الكتابة، لا يلغي الآخرين، ولا يواصل الغرور والعنجهية والأوهام، واضعًا مرآة "نرسيس" التي تمنعه أن يرى سواه، وتُزَيّن له أوهامه بأنها حقيقة، وحماقاته بأنها تصدر عن موهبة فذّة يحاربها المجتمع، ويتذمّر من أعداء النجاح الموهومين إلاّ في مُخيلته المريضة.

الكتابة حقّ مكفول في أيّ نوع من أنواعها، لا سيما الإبداع، شرط ألاّ تتسبب بخلق أوهام وأكاذيب وإساءات لحقائق التاريخ وعقائد الناس وكرامة الإنسان وإلغاء الآخر عبر تمجيد الذات والطائفة والقومية والإثنية والمناطقية، متخذًا من الإبداع شعرًا أو سردًا أو فنونًا أخرى، مجالاً حيويًا له وتحت يافطتين، الأولى حرية التعبير والإبداع والثانية الدفاع عن حقوق مهضومة للفئة التي ينتمي لها الكاتب.

إيماننا بحريّة الرأي والتعبير يتكسّر ويتراجع، بل يتحوّل إلى مجرّد شعارات فارغة، حين نتحوّل إلى أوصياء على النّاس، فنطرد هذا من جنة الكتابة، ونتهم ذاك بأنه طفيلي على هذه الجنة وأهلها؛ الكتابات الهزيلة الردّ عليها يتجلى بتجاهلها لا أكثر، ووضع الكتابات الجيدة الرصينة في ميزان النقد لبيان قيمتها والإشارة إلى نقاط ضعفها، ما يلفت الأنظار إليها، ومنح فرصة لمبدعيها أن يتجاوزوا نقاط ضعفهم.

يُنظر إلى اللغة العربية بوصفها لغة شعر وإبداع، مثلما يُوصف الناطقون بها بأنهم من "أمّة شاعرة" هذه اللغة كثيرًا ما اقترنت بها جملة تتردّد على ألسنة النُخَب "يكاد يكون كل عربي قال أو كتب شعرًا في مرحلة من مراحل حياته، مرة على الأقل" لكن وجود هذا العدد الهائل ممن حاول كتابة الشعر، لفظ الزمن ما حاولوه وأبقى لنا التجارب الجديرة بالبقاء.

كان العرب قبل الإسلام وربما حتى العصر الأموي، يقولون الشعر سليقة، لكن التاريخ لم يذكر لنا سوى مئة وعشرين شاعرًا برزوا قبل الإسلام ولا أظنّ أن الذين برزوا على امتداد المئة الأولى من عمر الإسلام بأكثر من هذا العدد إن لم يكن أقلّ، لكن الذي علق في الذاكرة الجمعية أقلّ بكثير، حتى أن قرّاء التراث ممّن ليسوا ذوي تخصص يجدون صعوبة في الحديث عن خمسين شاعرًا.

كان العصر العباسي طويلاً ومعقدًا ممّا أسفر عن الآلاف من الشعراء، وأتذكر حين قلت لصديق متخصص بالتراث عن مجموعة سكانية مجاورة ومحايثة للعرب، (بأن عدد الشعراء والأدباء عندهم ممن ماتوا قبل الاحتلال الأميركي للعراق في 2003 دون المئتين كثير)، عَلّق بقوله "إن هذا العدد تجده في العصر العباسي كل عقد أو عدة عقود من السنين"، ذكرت ذلك للدلالة على ما خلّفه لنا العصر العباسي، لكنّنا لو تحدثنا فلن يبرز في حديثنا سوى قلة، ممن ولدوا ما بين نهاية المئة الهجرية الأولى وبداية المئة الهجرية السابعة.

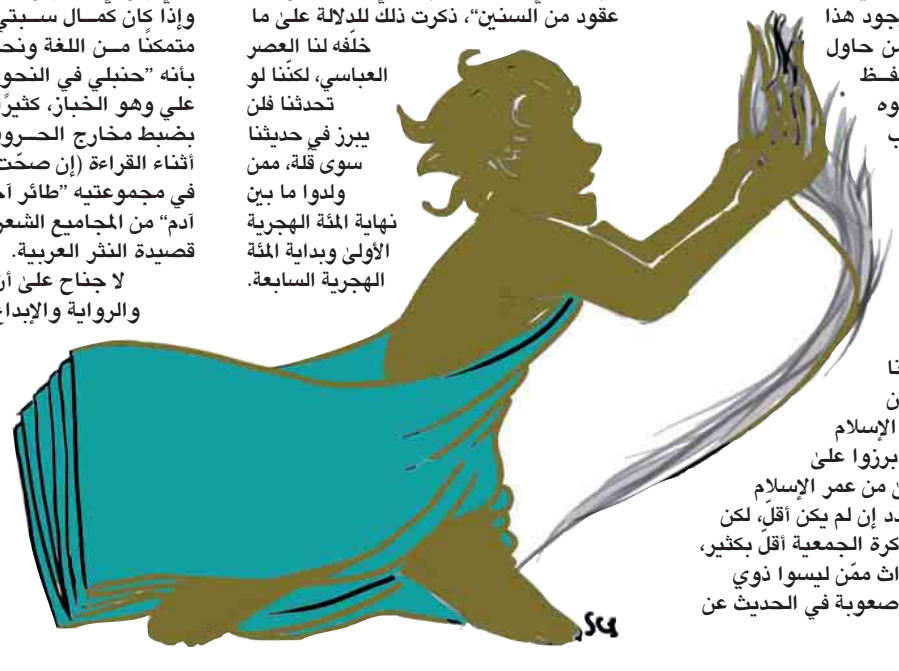

إذا كان الروّاد أجادوا لغة أخرى وترجموا منها أو قرأوا بها، فهذا كلام تعميميّ، لأن بعض الرواد لم يجد لغة أخرى تمكنه من القراءة فيها والترجمة عنها، وثمة أجيال جاءت بعد الرواد أبدعت لنا طرائق جديدة بالشعر وكانت ممن لا يجيد لغة أخرى بل ولم يحرز تعليمًا جيدًا، ومثال هؤلاء عقيل علي (توفي 2005) وكمال سبتي (توفي 2006) وإذا كان كمال سبتي متبحرًا بالتراث، متمكنًا من اللغة ونحوها حدّ أن قيل عنه بأنه "حنبلي في النحو"، فإن الشاعر عقيل علي وهو الخبّاز، كثيرًا ما أشيع عن جهله بضبط مخارج الحروف، ولحنه المتكرر في أثناء القراءة (إن صحّت الإشاعة). لكنّه يبقى في مجموعتيه "طائر آخر يتوارى" و"جنائن آدم" من المجاميع الشعرية المميزة في مسيرة قصيدة النثر العربية.

لا جناح على أن نقترف كتابة الشعر والرواية والإبداع بعامة، فالزمن كفيل بالغربلة، والمثقف الحقيقي قدرته على التمييز واضحة ولا شك فيها، لكن الخطورة تكمن في تحويل الكتابة إلى أدلجة يراد بها نشر الكراهية والعنف وتمجيد الهوية الضيقة.

الشعر والذاكرة: القصيدة اللانهائية

مقال غير منشور للشاعر سركون بولص

سركون بولص بعدسة صامويل شمعون

❏ "أنا هنا. تنطوي هاتان الكلمتان على كلّ ما يمكن قوله، فأنتَ تبدأ بهاتين الكلمتين وتعود إليهما. و'هنا' تعني على هذه الأرض، على هذه القارة، لا قارة أخرى، في هذه المدينة، لا مدينة أخرى، وأنا أدعو هذا العصر عصري أنا، بل وهذا القرن وهذه السنة. فلم أُمنح مكاناً غير هذا المكان، ولا زمناً غير هذا الزمن. وألمس طاولة مكتبي كي أدفع عن نفسي ذلك الشعور بأنّ جسدي مصيره الفناء. وهذا الأمر في حد ذاته جوهري، لكن بالرغم من ذلك، فإن علم الحياة يعتمد على الاكتشاف التدريجي للحقائق الأساسية".

تشيسواف ميوش

يتناول الشاعر الزمن وهو ينسلّ من بين أصابعه قطرة فقطرة، ثم يتبخّر حتى يصبح عدماً. في إحدى قصائده الغزلية، يقول غالب وهو من الشعراء المهمين الذين يكتبون بالأردية في القرن 19 واشتهر بشعر الغول "إن القطرة التي لا تصير نهراً تتشرّبها الرمال".

ومرة تلو المرة، عندما أكتب، أكتشف أنني لا أتذكّر الماضي ذاته، كما لا أتذكّر شخصاً أو مكاناً أو مشهداً أو صوتاً أو أغنية بعينها، إنما أتذكّر أولاً وقبل كل شيء، كلمات. الكلمات وصداها الذي يتردد في ذاكرتي. الكلمات التي تقبع في ذاكرة معينة، تحمل أصداء زمن ومكان محدّدين. لكن المشكلة بالنسبة إلى الشاعر، ليست في الأساس مشكلة مفردات، إنما كيف يستطيع الشاعر تناول المفردات القديمة وصوغها في سياقات جديدة، في تراكيب مُبتدعة تتحدّث عن حاضرنا وتلقي الضوء على ما يجري حالياً. لذلك فإن وظيفة الذاكرة ليست بسيطة: إذ لا يتعين على الشاعر أن يعرف الكلمات ومعانيها فحسب، إنما عليه أيضاً أن ينسى السياقات الكامنة فيها.

بمحض إرادتي أم رغماً عني، فأنا لا أتوقف عن الذهاب إلى الماضي والعودة منه. إن الشعر وسيلة عظيمة للتنقيب في المناطق المخفية عن الحياة التي عاشها الشاعر، وفي المناطق الظليلة التي تقبع فيها اكتشافات لا حصر لها بانتظارك، كل تلك الأشياء التي كوّنتك وجعلتك من أنت، والأماكن والأزمنة والظروف التي عشت فيها، جميع الأشياء التي شكّلتك. لذلك، فإن عملية العودة إلى الذاكرة أمر في غاية الأهمية بالنسبة إليّ، العودة إلى تلك التفاصيل التي لا تقبع في رأس أحد سواي. إذن، فإن الطفولة تشكّل مصدراً سحرياً يكمن بين الظل والضوء، يثوي عميقاً في الماضي، يمكن استدعاؤه دائماً وإلباسه ظلالاً جديدة قد لا تكون موجودة إلا في عالم الأحلام.

وسط الصحراء

ولدتُ في بلدة صغيرة تدعى "الحبانية" في وسط صحراء لم يكن يعيش فيها إلا البدو والماعز. لذلك كان للبحيرة الاصطناعية التي شيدت حولها البلدة تأثير كبير على حياة السكّان الذين جلّهم من الآشوريين الذين جلبهم البريطانيون إلى هذه المنطقة بعد أن دُبحت عائلاتهم وطردوا من ديارها، في البداية على يد الأتراك العثمانيين والأكراد في عام 1915، ثم على يد الجيش العراقي والأكراد من شمال العراق عام 1933. وأصبحت الحبانية قاعدة عسكرية جوية بريطانية، عمل فيها أبي، شأن معظم الآشوريين الآخرين الذين تم تجنيدهم في الجيش البريطاني بالإضافة إلى الهنود من طائفة السيخ الذين كنا مأخوذين بلحاهم وعمائمهم المفتولة.

ومن أولى الذكريات العزيزة التي لا تبارحني هي عندما أخذني أبي معه إلى مكان عمله في القاعدة التي لم يكن يوجد فيها إلا الإنكليز، وكانت محاطة بسياج ضخم. في تلك الزيارة رأيت لأول مرة نساء إنكليزيات يحتسين الشاي، وكنّ شبه عاريات يجلسن بين الأزهار والمروج الجميلة المعتنى بها، يكسو النمش وجوه بعضهن مثل البطيخ الأصفر أو الأفاعي. كنّ نوعاً مختلفاً كل الاختلاف عن نوع الأنثى الذي تنتمي إليه أمهاتنا وأخواتنا اللواتي كنّ يتلفعن بالسواد معظم الأحيان كأنهن عدن لتوهنّ من مأتم أو جنازة. كان ذلك أشبه بالانسلال عبر ثقب في جدار الجنة، لتجد نفسك في عالم آخر.

الوصول إلى كركوك

بعد فترة من الزمن غادرنا الحبانية وانتقلنا إلى كركوك، المدينة التي تقبع في شمال البلد والتي لم يكن يوجد فيها ماء تقريباً، سوى نهر صغير يظل جافاً طوال تسعة أشهر في السنة، ثمّ تفيض ضفتاه فجأة، ويُغرق ماؤه المواشي والخيول بالإضافة إلى عدد من الأهالي. وقد ظلت ذكرى هذه الظاهرة محفورة في ذاكرتي إلى حد أنني أعربت عنها بعد حوالي ثلاثين سنة في قصيدة بعنوان "شهود على الشاطئ" كتبتها في سان فرانسيسكو وهي موجودة في هذا الديوان. إذن كان الانتقال من الحدائق الوارفة التي تحتسي فيها السيدات الإنكليزيات الشاي إلى مدينة جافّة تكسوها تربة صخرية، لكنها تعبق برائحة البترول وألسنة اللهب التي تنطلق من حقول شركة نفط العراق ليل نهار. وكان الناس يسيرون بمحاذاة تلك الحقول يستنيرون بضوئه في منتصف الليل كأنهم يسيرون أثناء النهار. كان ذلك أشبه برحلات جوليفر بالنسبة إلى صبي صغير.

كان النفط ينتشر في كل مكان، وكان جميع السكان تقريباً يعملون في الشركة (التي يديرها بالطبع البريطانيون الأبديون). وكان جل السكان الذين يعيشون في هذه المدينة من التركمان الذين كان يعيش العديد منهم في قلعة قديمة يلفّها الغموض، كأنك تواجه التاريخ هناك كل يوم. إن التاريخ الآشوري والأرمني والتركماني والكردي والعربي متداخل وقد صُبَّ في قالب واحد مثل برج بابل هائل. لذلك، فإني عندما أكتب قصائدي باللغة العربية التي هي آشورية (آرامية وسريانية) بنسبة سبعين بالمئة، أشعر بأنني أردّد كل هذه الأصوات، لأنني أعتقد بأنّ أيّ لغة تحتوي على جميع مسارب ذاكرة المجتمعات التي ساهمت فيها. ولا يمكن أن يضيع أي شيء منها على الشاعر.

إن الكاتب شاهد على عصره، وعليه أن يكون واعياً، في خضم كل هذه الفوضى والجنون، والحروب والمذابح، وأن يكون مدركاً لتلك الأصوات الباهتة التي تحدّثنا عن الزمن الماضي، عن حيوات أخرى مدفونة في بطن الحوت الذي يُطلق عليه التاريخ. ويعيش الشعراء معظم حياتهم وهم ينتظرون شيئاً، حقيقة مخفية قد لا تتجلى، إلا عندما تنطلق فجأة حقيقة محددة أخرى وتسبب تفاعلاً ما. وقد يتمكن بعض الشعراء، المحظوظين والعظماء خاصة، من نقل قصّة كاملة أحياناً في سطر واحد، أو في صورة، أو في قصيدة. ولا يزال قول بول سيلان يفتنني ويحيرني كثيراً "إن حديثنا عن العدالة يظل خاوياً إلى أن ترتطم أضخم سفينة حربية بجبهة رجل يغرق". على نحو ما، فإن هذه العبارة تعبّر عن كل شيء: استحالة أن نكون من نحن، وإمكانية أن نصبح ما نستطيع أن نكون.

لكل كاتب بلدان

لقد أصابت جيرترود شتاين عندما قالت "يجب أن يكون لدى كاتب بلدان اثنان، بلد ينتمي إليه، وبلد يعيش فيه فعلاً. ويكون البلد الثاني رومانسياً، منفصلاً عنه، ليس حقيقياً، لكنّه موجود حقاً.. وبالطبع يكتشف الناس أحياناً بلدهم كأنه هو البلد الآخر. "لو كان هناك تعريف حقيقي للمنفى، فهذا هو. وأنا أقصد المنفى الأبدي، من دون عاطفة الحنين إلى العودة (لأنه لا توجد عودة في واقع الحال "لا يمكنك أن تخوض في النهر نفسه مرّتين")، فعندما تصبح مهاجراً، مهاجراً أبدياً، لا يمكن عندها استعادة 'الجنة' مطلقاً".

تروى حكاية تُنسب إلى الرومي، تقول "ذهب رجل إلى بيت الحبيب وقرع الباب، فتناهى إليه صوت من الداخل يسأله 'من بالباب؟'، فأجاب الرجل 'أنا'؛ فقال الصوت "لا أظن أن هذا البيت كبير بما يكفي ليسعنا نحن الاثنين"، وظل الباب مغلقاً. فعاد الرجل أدراجه والحيرة والاضطراب يملآن قلبه، وراح يفكر في تلك الكلمات، ويتأمّل في معانيها الخفية. وبعد سنة من العيش في خلوة، حرم فيها نفسه من أبسط متع الحياة، قرّر أخيراً أن يعود إلى بيت محبوبه وقرع الباب، فسأله نفس الصوت من الداخل 'من بالباب؟'، فأجاب الرجل 'أنتَ'، فُفتح له الباب". بالطبع، يتعيّن على الصوفي أن يمرّ في سلسلة كاملة من التمارين الروحية الصارمة حتى يُفتح له الباب ويدخل إلى بيت الحبيب الذي يدعوه الصوفيون الله.

مهمة الشاعر

مهما كان الأمر، فإن مهمّة الشاعر الذي لا تتجاوز أدواته الكلمات، مهمة مختلفة، إذ يظل الباب موصداً دونه حتى ينجح، بالتفاني التام، في اختراق لغز اللغة نفسها. وبما أن الفنّ طويل والحياة قصيرة، كما قال هوراس، فلم يتمكن أيّ شاعر بمفرده أن ينجز هذه المهمّة الهائلة بالكامل، حتى أعظم الشعراء. إن ما يحدث هو أن كلّ شاعر، على مرّ التاريخ، بوعي منه أم من دون وعي، يتابع العمل الذي حققه الشعراء الذين سبقوه، شيء أشبه بقصيدة لانهائية تمتدّ حتى الخلود، أو إلى الأبد.

الشعراء الجوالون

كتب تشيسواف ميوش قصيدة تعبّر عن هذا الأمر تماماً، وهي تتحدث عن الشعراء الجوّالين المدهشين على مرّ العصور، الذين يشكلون عادة فرقة من عدة أشخاص يختارون أسلوبهم، وينحون إلى قول الحقيقة، عادة ما يكون ذلك بأسلوب خيالي، وأحياناً بطريقة طفولية. ويتجنبهم المجتمع الذي يهاجمونه، وهم يقفون دائماً إلى جانب الضعفاء والمضطهدين، ويمتدحون زهرة أو براءة طفل أو جمال امرأة. ومع أن الشعراء قد يطعنون منافساً لهم في الظهر بدافع الغيرة والحسد، فقد كتب ميوش، أن أحدهم سيظل يترجم الآخر إلى لغته لأنهم يعرفون أنهم يفعلون ذلك جميعاً. وفي النهاية، فهم الذين اختاروا بين "كمال الحياة أو العمل"، كما ذكر ييتس في قصيدته "الاختيار". وبنفس الأسلوب، كرّر بورخيس في مقاله المعنون "وردة كوليردج" فكرة مشابهة بأن جميع الشعراء يسهبون في ذات الملحمة القديمة، التي تشكّل كل قصيدة جزءاً منها.

لقد أُعجبت كثيراً بقصيدة ميوش، ومن شدة إعجابي بها ترجمتها إلى اللغة العربية، ونُشرت في إحدى الصحف العربية في لندن، عندما كان من المزمع أن يقدم الحائز على جائزة نوبل قراءة في مهرجان لندن الدولي للشعر عام 1998. وقد أُعجب الشاعر العظيم بشكل الأحرف العربية عندما أريته القصيدة، وسألني بحماسة شديدة ما هي تلك القصيدة، فقلت إنها قصيدة "تقرير" التي كان من الواضح أنها موجّهة إلى الله، أو إلى كيان يدعى "العَلِيّ"، فابتسم ميوش، وقال "نعم، بالطبع". وأضاف "أتعرف، لقد بعثت إليه عدة تقارير على مدى السنوات، لكنّه لم يجبني قط". فلم أتمالك نفسي من القول للشاعر العظيم "من يعرف، لعلّه سيفعل ذات يوم". في ذلك الوقت، كان ميوش في السابعة والثمانين من العمر، وكان لا يزال قويّ البنية ويقظاً بالنسبة إلى عمره. كان من الرائع، وهذا أقل ما يمكن أن يقال، أن أقف في حضور هذا الشاعر العظيم. كان يوجد هنا شاهد حقيقي على العصر، رجل عاصر الحرب والجنون ورأى حضارة كاملة تُدَّمر، ومن خلال حبّه للشعر وشغفه به، عاش ليروي الحكاية.

سان فرانسيسكو، نيسان (أبريل) 2007

الترجمة عن الإنكليزية: خالد الجبيلي

* هذه المقالة نشرت في مجموعة سركون بولص الشعرية "شاحذ السكاكين" الشعرية الصادرة بالإنكليزية عن منشورات بانيبال. والترجمة العربية تنشر هنا بالتعاون مع مجلة كيكا للأدب العالمي.

ازدواجية المحكي والمكتوب

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ يتحرّج الكثير من الكتّاب العرب من استخدام الرموز والعبارات والأسماء الأجنبية في نصوصهم ويجهدون أنفسهم في البحث عن مرادفات عربية لها، حتّى أن بعض الحكومات العربية أنشأت مجمعات عتيدة للغة العربية، تحوّلت مع مرور الوقت إلى ما يشبه الكهنوت، وفي العراق على سبيل المثال، أصدرت الحكومة إبان السبعينات من القرن العشرين فرماناً منعت بموجبه الناس من تسمية أبنائهم بأسماء أجنبية، كما منعت أصحاب المحال التجارية من استخدام أسماء أجنبية لمحلاتهم، وكانوا في دوائر الأحوال المدنية يرفضون تسجيل المواليد الجدد بأسماء غير عربية، وهو واحد من أبسط حقوق الناس، أقصد حريّتهم في اختيار أسماء مواليدهم الجديد. إن مثل هذه التابوهات كان سببها ازدواجية اللغة وانفصالها عن الواقع الذي نعيشه، وما زالت مثل تلك الإشكالية قائمة في الحقيقة، وإن لم تتعلق بأسماء المواليد الجدد، لكن بالتربية التي نشأنا وفقها والمتعلّقة بتقديس اللغة العربية التي لا ينبغي أن يطولها الباطل لا من فوق ولا من تحت، حتّى احتار الناس كيف يسمّون جهاز الكومبيوتر الذي قلب حياتنا رأسا على عقب، أو جهاز الموبايل الذكيّ وغيره من الأجهزة والبرمجيات والتطبيقات المعاصرة.

إن ازدواجية اللغة العربية بالنسبة إلى متعاطيها بين المحكية والمكتوبة هي السبب الحقيقي لذلك الانفصال أو التغرّب الذي انعكس إلى ما يشبه ازدواجا من نوع ما في الشخصية العربية، فجميع الشعوب تكتب كما تحكي إلّا نحن، حين نكتب ننفصل عن الواقع، والسبب الحقيقي، من وجهة نظري المتواضعة، يعود إلى عدم تمكن اللغة العربية من المواكبة بسبب ربطها المحكم بالقرآن، متناسين أن اللغة ما هي إلّا أداة للتفاهم ومنظومة رموز وقواعد الغاية منها تسهيل حياة الناس وزيادة الترابط فيما بينهم، كما أننا لا نستطيع منع الناس من ابتكار أدوات التعبير المناسبة والسهلة والمباشرة بالنسبة إليهم، وعلى اللغة أن تواكب تلك المتطلبات وحسب.

لكن في حال ظلت اللغة حبيسة الكهنوت ستتحول إلى كائن حجري قد يصلح للمتاحف أكثر منه وسيلة حياة وتفاهم. إن هذه الإشكالية قد تحوّلت في العقود الأخيرة إلى عائق لنموّ مدركات الأطفال على سبيل المثال، فحسب أغلب خبراء التربية الحديثة فإن الطفل قادر على تعلم كمّ معين من الكلمات في اليوم الواحد عندما يرتاد المدرسة، وهي نسبة تكاد تكون ثابتة لدى كافة الشعوب، ولا يختلف شعب عن آخر بنسبة الذكاء والتفوق إلّا في الحالات الشاذة طبعاً، لكن الفارق هو أن الطفل العربي الذي يجهد نفسه ويتعلم هذا الكمّ من الكلمات سيركنها في جانب من ذاكرته حال عودته إلى المنزل لأن أسرته تتحدّث اللغة الدارجة التي تختلف كلياً عمّا تعلمه في المدرسة. إن هذه الإشكالية ستظل تلازمه طول حياته في الحقيقة.

بالتأكيد لا أقصد هنا التعرض لجمالية اللغة العربية وغناها، فهذا أمر آخر تماماً، لكن ما أقصده هو ذلك الانفصال عن الواقع وحسب، ومن وجهة نظري، لا أجد ضيراً في استخدام بعض المفردات العاميّة الدارجة في بلد عربي معيّن في النص، في حال كان ذلك الاستخدام يضفي بعض المصداقية والواقعية عليه، كما أنّني لا أجد ضيراً من تسمية الاختراعات والمصطلحات الحديثة بمسمّياتها التي اتفقت عليها كافة شعوب الأرض، بدل البحث عن مرادفات غريبة لها بالعربية، وكلما تواصل التهيّب والخوف من تلك الحقائق الصغيرة كلما ازداد انفصالنا عن الواقع وتحوّلت لغتنا العربية الجميلة إلى عائق ثقيل ومضن ومنفّر من القراءة، خصوصاً بالنسبة إلى الأجيال الجديدة التي تربت على تلك الوسائل الجديدة ونمط الحياة المعاصرة.

الأحسن لكم ألا تفعلوا هذا

«دير مزية» عرض موليير كوميدي يوصي الناخبين المغاربة

سينوغرافيا المسرحية عبرت عن الخواء الذي يعيشه أهل الحي

فيصل عبدالحسن
كاتب من العراق

❏ قدمت جمعية إسيل للمسرح والتنشيط الثقافي المغربية المسرحية الكوميدية "دير مزية" على مسرح محمد الخامس بالرباط مؤخرا، وهي من إخراج هشام الجباري، وتأليف عبدالكبير الشداتي. ومثل فيها كل من فضيلة بنموسى، بنعيسى الجيراري، سعيد آيت باجا، فتاح النكادي، فريد الركراكي، سندية بوتاج، أما السينوغرافيا فكانت لرشيد الخطابي، والموسيقى لفتاح النكادي.

وحققت المسرحية حضوراً لافتاً، لأنها نَقَدتْ المشهد السياسي المغربي، بتناولها "الانتخابات التشريعية" بالمغرب، وما يحدث فيها من اتباع البعض لوسائل غير نزيهة للحصول على أصوات الناخبين. وحظيت المسرحية بدعم من المبادرة الأميركية للشراكة الشرق أوسطية وشراكة مع وزارة الثقافة المغربية.

مواقف هزلية

النص الكوميدي الذي اعتمده مؤلفها الشداتي، ممّا يصادفه الناس عادة في الجو الانتخابي المغربي من مفارقات، وما يدور حولها من حوارات بين البسطاء، أبناء العشوائيات والفقراء الذين يحلمون بالتغيير في حياتهم، من خلال انتخاب ممثلين حقيقيين لهم يتبنّون قضاياهم، ويضعون القوانين التي تجعل حياتهم أفضل عيشاً.

تنوعت شخصيات المسرحية كما في المسرح الكوميدي المولييري بين شخصيات خيّرة وأخرى شريرة. وحرص المخرج والمؤلف والممثلون على خلق مواقف هزليّة من خلال حركات الممثلين، وتناقض المواقف، وترديد الأمثال الشعبية الساخرة

> اسم المسرحية «دير مزية» بالدارجة يعني «من الأحسن لكم ألا تفعلوا هذا» ولذلك بقي الجمهور يريد معرفة، ما هو هذا الشيء الذي من الأحسن عدم فعله؟

> المؤلف يخاطب من خلال نص مسرحي كوميدي مولييري روح المواطنة لدى كل مغربي بضرورة المشاركة الواسعة في الانتخابات لإحداث التغيير المطلوب، لأن التغيير منطلقه الأول هو المواطن

من الفاسدين. وعمد المخرج إلى تبني تقنية المسرح التقليدي، من خلال اتباعه، المقدمة والتصاعد الدرامي للأحداث للوصول إلى الذروة، ويلي ذلك انفراج تدريجي.

واعتمد رشيد الخطابي سينوغرافيا معبرة عن الخواء الذي يعيشه أهل الحي، فلا شيء يظهر غير بسطة الضرير لبيع الحلوى وهيكل بيانو قديم، وقد أظهر الديكور ثلاث دور متجاورة، إحداها للحاج المكّي، والأخرى للقابلة صفيّة، والثالثة للسي عبدالصبور الضرير.

الانتهازي

تحكي المسرحية قصة حب بين رقيّة ابنة الحاج المكي، وعلال العاطل عن العمل، الذي لم يكمل تعليمه، ولكن بالرغم من هذا فرقية تحبّه وتأمل بالاقتران به. وهو ابن جارتهم صفيّة الأرملة، التي تعمل قابلة. هذا الحب بينهما يصير محل تجاذبات الحاج المكي الأب وأمّ علال، فالحاج من مرشحي الانتخابات، الذين يفوزون بطرق ملتوية.

ويعتمد في هذا الفوز على مساعد له يدير دعايته، بطريقة عمل ولائم الطعام للناخبين، وحفلات ترفيه لسكان العشوائيات، ويتحمل التكاليف المالية لِاستحمام شباب الحي في الحمام الشعبي، ويشرف على حملات خِتان الأطفال، ويستخدم المتسولين ومدمني المخدرات للدعاية له في المقاهي والأسواق.

الحاج المكي يعمل بعقلية قديمة نجحت أساليبها بشراء ذمم الناخبين في انتخابات سابقة، بالعام 1997 و2002 و2007 وفاز بمقعد بالبرلمانات السابقة، كما جاء في حوارات المسرحية، لكنها صارت وسائل قديمة، ولن تنفع مع الناخب المغربي في العام 2016، وهذا ما تحاول المسرحية تأكيده من خلال شخصية الأعمى بائع الحلوى "سي عبدالصبور" الذي كان بالدورات الانتخابية السابقة يقاطع الانتخابات، لكونها بلا جدوى ولا تأتي بجديد.

وتأخذ الأحداث بالتصاعد ويزداد الوقع الكوميدي، حين تقرر القابلة صفيّة خطبة رقيّة ابنة الحاج المكي جارهم لابنها، لَكنها حالما تصطدم بشخصية الحاج الإنتهازي، وسعيه للحصول على أصوات الناخبين بكل الوسائل الممكنة، وسعيه لتوظيف خطوبة ابنته لصالح حملته الانتخابية، تقرر أن تترشح في الانتخابات كندٍ له، لخدمة حيّها ورفع معاناة أبنائه.

لا تفعلوا هذا

ويقع علال في حَيْصَ بَيْصَ، فلا يدري مع من يقف مع أمه التي قررت أن تتصدى للحاج في الانتخابات وتُفشل مساعيه للوصول إلى البرلمان، أم مع أب حبيبته الذي وعده بتزويجه بابنته؟ حالما يقف معه في حملته، ويساهم بالتشهير بأمه مستغلاً حادثة قديمة رواها علال لرقيّة وقعت لأمه.

ويرضخ علال تحت تأثير إغراءات مساعد الحاج لما يُطلب منه، وينغمس مع المدمنين في الترويج للحاج، بينما يعمد سي عبدالصبور بائع الحلوى في الحيّ إلى جعل رقيّة تقف إلى جانب صفية القابلة، لتدير حملتها الانتخابية ضد أبيها، لأنَّ صفيّة تمثل الخير والأمل للناخبين للوقوف بوجه الحاج المكي.

اسم المسرحية "دير مزية" بالدارجة يعني "من الأحسن لكم ألاّ تفعلوا هذا" ولذلك بقي الجمهور يريد معرفة، ما هو هذا الشيء الذي من الأحسن عدم فعله؟

وتنتهي المسرحية بمخاطبة الجمهور بشكل مباشر بضرورة المساهمة الفعالة بالانتخابات لأنّها الحل وليس الحل بترك البلد، والهجرة إلى خارجه أو كما قال سي عبدالصبور الضرير ومثل دوره فتاح النكادي وهو يخاطب علال، ومثل دوره سعيد آيت باجا في أثناء البحث عن حلول لمشاكلهما "هروب مول الدار ماشي حل" (هروب صاحب الدار ليس حلا). وهذا هو المعنى باسم المسرحية "والطلب بعدم فعله" أي عدم الهجرة وترك الوطن لمثل الحاج المكي.

وبذلك فقد خاطب المؤلف من خلال نص مسرحي كوميدي مولييري روح المواطنة لدى كل مغربي بضرورة المشاركة الواسعة في مختلف الانتخابات لإحداث التغيير المطلوب، لأنَّ التغيير منطلَقه الأول هو المواطن.

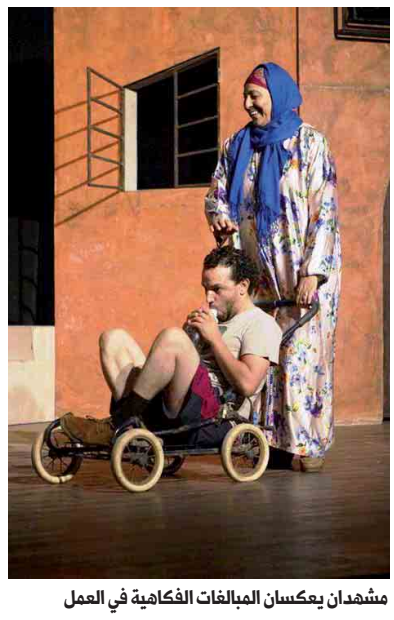

مشهدان يعكسان المبالغات الفكاهية في العمل

دون جوان عابر للأزمنة يتحول إلى مغن في التسعينات

العشيق الأسباني

دون جوان يخرب موازين الكون في باريس

عوالم دون جوان وغرامياته وابتذالاته أيضاً

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ تشهد خشبة مسرح الأوديون في باريس العرض المسرحي "دون جوان" تاليف الفرنسي موليير، والعرض الذي يجوب أنحاء فرنسا من إخراج جان فرانسوا سيفاديه، أما دون جوان فيؤدي دوره الممثل نيكولا بوشارد، وخلال ساعتين وربع الساعة يأخذنا العرض إلى عوالم دون جوان وغرامياته، إلى جانب تحديه المستمر لكل ما يقف بوجهه، فلا قوة تزحزحه عن موقفه الثابت، فحسب تعبيره "الحقيقة في الحبّ، هي التغيير"، وكل جميلة من النساء، تستحق أن نقع في حبها دون أيّ ضابط أخلاقي أو ديني أو اجتماعي، هنّ كخريطة لا بد من الترحال فيهنّ، وكل رحلة/امرأة هي اكتشاف لتضاريس جديدة.

ندخل قاعة العرض ونرى الفنيين يجهّزون الخشبة ويبدون ملاحظات للجمهور، حضورهم هذا وعملهم على تغيير الفضاء يستمر طوال العرض، فالخشبة والديكور في انهيار دائم وتغيّر مستمر يساهم الممثلون والفنيون في دفعه، فالكواكب التي نراها معلقة تتبدل أماكنها دوما، فدون جوان معلق بين الأرض والسماء، هذا اللاحسم في وضعيته ناشئ من تحدّيه المستمر للإله الذي لا يؤمن به ولا بقوانينه، ومن رفضه لقوانين الأرض وأعرافها، إذ وعد اثنتين بالزواج بذات الوقت، كما أنه يتوجه للجمهور مغازلاً الحاضرات مقدماً لهن الورود، وبالرغم من كل ما يهدّده، نراه ينجو من مطارديه ويقنع من حوله ببلاغته، هي الكلمات ما تجعله منتصراً دوماً حتى على إرادة السماء التي يهزأ منها، فادعاء التوبة ليس إلا استراتيجيّة للفرار قام بها ليتابع مصيره وبحثه عن سُبل اللذة.

لا يدّعي دون جوان في العرض أيّ فضيلة، ومرجعيته الأخلاقية متلاشية بوصفه لا يعتبر ما يقوم به محرماً أو انتهاكاً لأيّ تابو، هو يتسامى نحو الرغبة، بوصفها محضة خالصة من أيّ اعتبارات تحكمها، أما تبدّلاته فهي تنشأ من رؤية الآخرين له، هو يُمسرح ما يخفونه وراء عفتهم، فدون جوان لا يستطيع أن يكون في الخفاء طالما هناك رغبات خفيّة في قلب أحدهم، إذ يدعو المؤمن للكفر مغرياً إياه بالنقود، ينتقد العذراء ويدعوها للرذيلة، يصرخ بوجه السماء الصامتة، وهنا تنشأ الكوميديا في العرض، دون جوان ليس محلّ الضحك، بل من حوله، هو انعكاس لما هو دفين فيهم، هو التناقض الذي ينشأ بين ما هم عليه وما يريدونه، دون جوان معادل بصري ومسرحي لما هو مهمّش، هو الصوت الذي نضرب رأسنا في الجدار خوفاً من أن يخرج للعلن.

العرض لا يمشي وفق خطّ زمن أفقي متتابع، فمنذ القرن السابع عشر يتحوّل دون جوان ويعبر الزمن حتى الآن، إذ نراه في مبارزة مع قطاع طرق، ليقف بعدها أمامنا مغنياً من تسعينات هذا القرن مرتدياً بذلة رسميّة، ثم مرحباً بتمثال الضابط الذي يزوره في منزله، لنشهد نهايةً مواجهته الأخيرة مع السماء، يهزأ منها حتى آخر لحظة، التوبة الذي ادّعاها لم تغير شيئاً، التمثال الذي طرق بابه جعله أشدّ عناداً، ثم فجأة، يختفي دون جوان، دون أيّ أثر، لكنّ التساؤل الذي يبقى معلقاً، هل سيعود الكون لاتزانه بعد رحيل "مُخرّبه"؟

> لا يدعي دون جوان في العرض أي فضيلة، ومرجعيته الأخلاقية متلاشية بوصفه لا يعتبر ما يقوم به محرماً أو انتهاكا لأي تابو، هو يتسامى نحو الرغبة، بوصفها محضة خالصة من أي اعتبارات تحكمها، أما تبدلاته فهي تنشأ من رؤية الآخرين له

يختبر دون جوان في المسرحيّة قدرته على تجاوز الحدود وانتهاكها، كل ما يكمن أن يقف في وجهه عرضةً للتحدّي، فهو يسعى وراء المتعة الآنية واللحظية، وما إن يكتشف هذا الحدّ/النهاية التي تختزنها اللحظة، حتى ينتقل لأخرى مباشرة، لا يتابع دون جوان معارك نتيجتها محسومة، فالحيوية التي يمتلكها تنبع من الرغبة في المعرفة، والتحدي للوصول إلى ما هو غير محدود، إذ لا قيود أو إيمان من نوع ما يقف بوجه لانهائية رغبته، وهذا ما نراه في العرض، الكلّ يسعى لتكبيله، يصرخ بوجهه "قف، كفى"، ما يستفزّ دون جوان بأن يتحدى كل هذه الصرخات، فيضحك بوجهها قائلاً "لا"، لينتهي به الأمر صريع الرفض.

الرقابة الإيرانية تحاصر مهرجان بيروت السينمائي الدولي

منع «شؤون شخصية» لمهى الحاج و«كأس العالم» للأخوين ملص و«فتاة القطار» لمحسن مخملباف

لقطة من الفيلم الفلسطيني الممنوع «شؤون شخصية»

الأخوان ملص الرقيب اللبناني قص من فيلمهما لأسباب سياسية

شادي علاء الدين
كاتب لبناني

طغت السياسة على مهرجان بيروت السينمائي الدولي الذي افتتح نشاطاته في الخامس من شهر أكتوبر الجاري بعرض فيلم "الفتاة في القطار" للمخرج بيت تايلور. حضرت السياسة في المهرجان ليس من خلال طغيان التوجه السياسي على الأفلام المقرر عرضها، ولكن من خلال المنع الذي طال ثلاثة من الأفلام التي كانت مدرجة على لائحة العروض المقررة في المهرجان.

توزع المنع على خريطة تمثل العناوين الحرجة في لبنان والتي لم يُصر إلى إيجاد صيغة واضحة للتعامل معها فقد منع فيلم إيراني للمخرج محسن مخملباف بحجة أنه يتضمن إساءة إلى الدولة الإيرانية، وراجت أخبار تفيد بأن الدولة الإيرانية أوعزت إلى حلفائها في لبنان بالتدخل لمنع هذا الفيلم. الفيلم الثاني الممنوع هو فيلم "شؤون شخصية" للمخرجة الفلسطينية مهى الحاج وجاء في خلفية أسباب المنع أن الفيلم هو من إنتاج إسرائيلي وأن عرضه يناقض مبدأ مقاطعة إسرائيل. الفيلم الثالث الممنوع هو فيلم سوري يحمل عنوان"كأس العالم" للأخوين ملص المعارضين للنظام السوري، وكان سبب المنع يتعلق بتضمن الفيلم نقدا قاسيا لبعض الأحزاب السياسية اللبنانية.

السحر الأسود

اكتملت دائرة السحر الأسود إذن إذا صح التعبير، وباتت الرقابة تنيط بنفسها عبر فكرة المنع مهمة طرد الشياطين.

ويبدو أن تعريف الشياطين في الساحة اللبنانية هو كل ما يمسّ بالوصاية الإيرانية المستجدة على البلاد التي تقيم وصاية النظام السوري في ظلالها، وكذلك وصاية الأجهزة والتيارات الممانعة واليسارية التي تنتج قراءة خاصة لفكرة مقاطعة إسرائيل، في حين أنها عمليا تقوم بالتضييق على الحضور الفلسطيني في كل المجالات، وتساهم في خلق حالة حصار ثقافي وإعلامي تطال الإبداع الفلسطيني. يلتقي هذا المنطق بعمق مع الجهود الإسرائيلية الحثيثة الهادفة إلى خنق الصوت الفلسطيني في كل المجالات، وخصوصا في مجال الفن الذي قد يكون المجال الأكثر فعالية وقدرة على التأثير في الرأي العام العالمي.

الرمزية الفظة

هكذا يؤسس المنع في رمزيته الفظة لصورة عن لبنان بوصفه بلدا قد وصل إلى درجة من الهشاشة، وفقدان المناعة الاجتماعية والسياسية الثقافية لدرجة أنه لا يستطيع احتمال نقاش يمكن أن يثيره فيلم.

ولعل العناوين الكبيرة التي طرحت على خلفية المنع، تعلن بوضوح أن ما كان يمكن أن يعدّ سابقا نوعا من الحساسية أمام طرح موضوعات معينة، قد نما وتحوّل إلى محرمات واضحة وصريحة، لا يستطيع المجتمع اللبناني التعامل معها دون أن يبدأ الجميع بقرع طبول الحرب الأهلية.

بلغ عدد الأفلام المشاركة في هذه الدورة من المهرجان 76 فيلما. تنقسم الأفلام المشاركة في إلى عدة مجموعات هي الأفلام المشاركة في مسابقتي "الأفلام الشرق أوسطية" وتشمل 20 فيلما و"الأفلام الشرق أوسطية القصيرة" وتشمل 9 أفلام.

غابت هذا العام مسابقة "الأفلام الشرق أوسطية الطويلة".

ويقدم المهرجان من خارج المسابقات مجموعة أفلام تنتمي إلى "البانوراما الدولية" وتضم 25 فيلما إضافة إلى أفلام "جبهة الرفض" التي تضم 16 فيلما، كما يعرض فيلمان تدور مواضيعهما حول البيئة والغذاء.

وتشارك وزارة السياحة في لبنان بستة أفلام قصيرة تتناول الحياة في لبنان قبل اندلاع الحرب الأهلية.

تتألف لجنة التحكيم في المهرجان من المخرج اللبناني كارلوس شاهين رئيسا، ومشاركة ندى دوماني مديرة الاتصال والإعلام في الهيئة الملكية الأردنية للأفلام إضافة إلى الصحافي والناقد اللبناني بيار أبي صعب.

الفيلم الفلسطيني

مديرة المهرجان كوليت نوفل تعرض لـ"العرب" مسألة المنع وتشرح ملابساتها قائلة "منع العديد من الأفلام، منها فيلم سوري حمل عنوان "كأس العالم" حيث طلب منا أن نقتطع أجزاء منه، ولكن لا نستطيع فعل ذلك لأننا لا نملك الفيلم، والمخرج لن يقبل أيضا، تاليا لن يتم عرضه. هذا الفيلم يتكلم عن الحالة السورية وهو بطبيعة الحال ضد النظام وقد اعتبر البعض أنه يتضمن إساءة لبعض الأحزاب اللبنانية. فيلم "شؤون شخصية" للمخرجة الفلسطينية المقيمة في فلسطين مهى الحاج منع لأن إنتاجه إسرائيلي، وتجدر الإشارة أنها ليست أول شخص فلسطيني ينتجون له، فعلوا ذلك سابقا مع إيليا سليمان وميشال خليفي. هذان يملكان جنسيات أخرى أما بالنسبة إلى مهى فهي لا تملك سوى الجنسية الفلسطينية. تدخل لمنع الفيلم مكتب مقاطعة إسرائيل وعمل على إيقاف عرضه.

الفيلم الإيراني الذي منع هو لمحسن مخملباف، وهو صانع أفلام يعيش مع عائلته في إنكلترا، ونحن نعرض أفلامه منذ عام 1998، هذا الفيلم منع في إيران قديما، واقتطعوا منه حوالي 40 دقيقة وبقي القسم الحالي منه الذي يقع في حوالي 60 دقيقة. قام المخرج بتجديده وأعاد إطلاقه وأرسله لنا. اسم الفيلم "فتاة القطار" وقد تم التدخل لإيقاف عرضه".

وتضيف كوليت قائلة "الأمن العام حوّل الموضوع إلى لجنة تابعة لرئاسة الوزراء تبتّ في هذه المواضيع عند عرض الأفلام في المهرجانات، اللجنة تألفت في العام 2010، ومن الممكن أن تعاود إعطاء رخص لعرض الفيلمين الإيراني والفلسطيني، ونأخذ الجواب النهائي يوم الاثنين. الرقابة كانت دائما بيد الأمن العام، وفي العام القادم نكمل 20 عاما في هذا المجال، وغالبا ما كان الأمن العام ليّنا، إلا في حال وجود تدخل سياسي".

شرعنة المنع

تعلق نوفل على فكرة المنع التي لم يعد لها أيّ معنى معتبرة أن" فكرة المنع أصبحت 'بلا طعمة' في ظل وجود اليوتيوب والإنترنت، بالعكس هي يمكن أن تعطي حجما أكبر وشهرة للفيلم عند منعه. لو يترك الفن والثقافة للفنانين والسياسة للسياسيين لكنّا بألف خير، يحاولون أن يعيدونا إلى العصر الخشبي".

المخرجة اللبنانية زينة صفير تعتبر أن "المنع مرفوض لأنه ينافي مبدأ حرية التعبير ونحن في لبنان نتمتع بها، لكن في رأيي أن المشكلة ليست في الرقابة بحد ذاتها بل في القانون، ونحن منذ فترة نعمل على تغيير هذا القانون. اليوم هناك أشخاص يطبقون ما هو مطلوب منهم، وتاليا نحن لا يمكننا أن نرفض هذا القرار فعليا لأنه يستند إلى بنية قانونية نافذة. ما يمكن فعله هو العمل على تغيير هذا القانون، ومنع الأفلام لم يحدث للمرة الأولى".

وترى صفير أن "في بلاد مثل بلادنا، السينما لا تنفصل كثيرا عن السياسة. الأمر كذلك حتى في هوليوود. أي مخرج اليوم يعرض فيلما نادرا ما يناقش فنيا بل يناقش موضوع الفيلم، نحن دوما نرى النتائج ولا نحاول معالجة الأسباب".

وصفير ترى أخيراً أن "من يمنع الأفلام ليسوا فنانين، من وضع القانون هو الإقطاع السياسي، وبالتالي لم يعد النقاش مبنيا على المستوى الفني للفيلم. الفساد والتراجع والإفلاس الذي نعاني منه والذي نتحمّل مسؤوليته جميعا تخطى موضوع منع الأفلام.

جميع الخطوات التي يتبعها العديد من الفنانين هي غير مجدية ونابعة من عدم معرفة بحقوقهم كفنانين وأيضا عدم المعرفة بالقانون الذي يسري على أعمالهم. وزير الثقافة الحالي ريمون عريجي محام وممكن أن نقوم معه بتعديل وإصلاح القانون الحالي لنا وللجيل القادم من بعدنا كي لا يقع في الأزمة نفسها".

يجتمع المنع المشرعن بالقوانين مع نوع آخر من القوانين أنتجتها اللحظة الحالية والتي تقوم على منح كل المكونات السياسية والطائفية في لبنان حق الفيتو ضد ما تعتبر أنه يمس بها بشكل من الأشكال، كما يترك لها الحق في تقدير هذا الأمر. هكذا لم تعد شؤون الثقافة والسينما في يد السينمائيين والكتّاب والمفكرين، بل في أيدي أمراء الطوائف والطائفية وأبنائها، والمتحمسين للدفاع عنها بالدم، والروح، والمنع والحجب.

عكس السير

يعلم الجميع ومنهم الجهات التي تدخّلت لإنجاز المنع أن الأمر صار ممتنعا ولكنهم مع ذلك يصرّون عليه، ويبذلون الجهود في سبيل تحقيقه لأن المهم ليس إنجاز المنع في حد ذاته، ولكن في ما يؤسس له من خلال ذلك من سحب الشرعية عن بعض الأعمال التي تنتقد جهات معينة أو تفرض إعادة النظر في الكثير من المسلمات. هكذا يمكن لمن يريد مشاهدة الأفلام الممنوعة الاطّلاع عليها في مجال خاص، ويمكن أن تعرض في مجال عام بشكل محدود كذلك، ولكن الوصمة التي تلحقها بها فكرة المنع تكمن في حرمانها من إنجاز أهدافها، وبلورة نقاش عام يمكن بدوره أن ينتج فعالية سياسية.

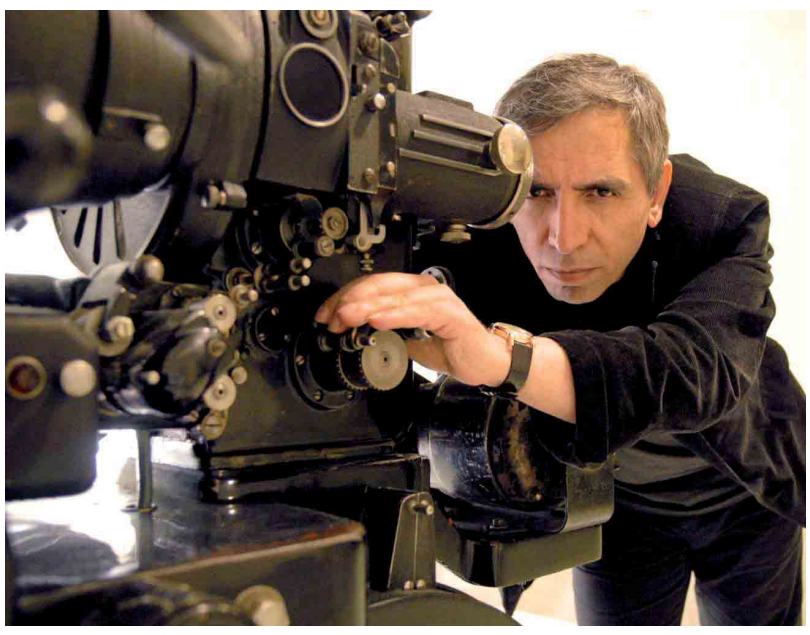

المخرج الإيراني محسن مخملباف منع فيلمه «فتاة القطار» بضغط إيراني على الأرجح

> لبنان يستعد للتعامل مع مهرجان سينمائي بمنطق الاستعداد للحرب الأهلية التي تكمن مقدماتها الضرورية في استحالة النقاش، أي استحالة الاشتغال بالثقافة والسياسة، وهو تحديدا ما يحرص خطاب المنع على نشره وتعميمه

المنع إذن يطال في عمقه السياسة التي تنتجها الثقافة، فأيّ مخرج ومهما علا شأنه لا يريد من الجمهور أن يشاهد فيلمه ويذهب دون أن يحمل معه شيئا من هذا الفيلم، يمكن أن يتجلى في العديد من مجالات العيش اليومي، إلى طريقة التفكير، وصولا إلى ممارسة السياسة.

والمنع يسعى إلى إقفال الباب أمام هذا النوع من الفعالية السياسية الثقافية، حيث تصبح الأعمال ومشاهدتها فعلا جامدا غير تفاعلي، يحدث وينتهي أثره في اللحظة التي ينتهي فيها عرضه. هكذا ستتحول عملية تلقّيه الخالية من التفاعل إلى عملية إعدام له، على العكس من حالة الولادة المتجددة والمستمرة التي يؤمّنها العرض العلني والعام.

لبنان الاستثنائي

على الرغم من أن المنع الذي جعلته لحظة التكنولوجيا الفائقة التي نحيا داخل زمنها مستحيلا فهو ما يزال ممكنا في لبنان، لأن استعمال التكنولوجيا في العالم ارتبط بمنظومة قيم لم تعد فكرة المنع قابلة للعيش في ظلالها، لأنها لا ترتبط بمطالب فئات سياسية أو اجتماعية محددة. بات رفضها من المسلمات ليس بسبب استحالتها التقنية ولكن بسبب استحالتها على مستوى القيم أساسا.

المنع ليس كذلك في بلاد الأرز حيث أن الاستحالة التقنية والقيمية التي تجعل المنع فاقدا للجدوى، يعوّض عنها بمنظومة قيم مضادة تجعله معبّرا عن قيم مجموعة كبيرة من مكوّنات المجتمع اللبناني وناطقا باسمها. يستطيع المنع إذن أن يكون خارج الإجماع على رفضه، ما يمنحه إمكانية الحضور الفاعل داخل السيكولوجيا الناظمة للسلوكات والتصرفات في لبنان.

يمكن رسم خريطة آلية عمل المنع في لبنان بشكل يمكن التأكيد فيه على أن هناك مجموعة تدين بالولاء للجهات التي وقفت وراء المنع ستمتنع عن مشاهدة الفيلم نهائيا بمجرد صدور الأمر عن هذه الجهة، هذه الفئة هي طوائف وجماعات. هناك فئة ستشاهد الأعمال عبر الوسائل التي تؤمنها التكنولوجيا من باب الفضول ولكنها لا تستطيع مناقشتها مع الفئة الرافضة لها، وهناك فئة ستسعى إلى مشاهدتها انطلاقا من عدائها للطرف المانع وجمهوره.

هكذا يستعد لبنان للتعامل مع مهرجان سينمائي بمنطق الاستعداد للحرب الأهلية التي تكمن مقدماتها الضرورية في استحالة النقاش، أي استحالة الاشتغال بالثقافة والسياسة، وهو تحديدا ما يحرص خطاب المنع على نشره وتعميمه.

> من يمنع الأفلام ليسوا فنانين، ومن وضع القانون هو الإقطاع السياسي، وبالتالي لم يعد النقاش مبنيا على المستوى الفني للفيلم

المخرجة اللبنانية زينة صفير

المعالجة السينمائية أفسدت الفكرة

فيلم «يوم للستات» ميلودراما الضحك والدموع

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ تسيطر على الكثير من كتّاب ومخرجي السينما المصرية الرغبة في التواصل مع الجمهور الشعبي فالطبقة الوسطى لم يعد لها وجود تقريبا، وبالتالي تضاءلت الأفلام التي تتوجه لها. هذه الرغبة تؤدي إلى تقديم الكثير من التنازلات سواء في بناء الفيلم أو في إقحام المواقف التي يرونها "مضحكة"، بل إن فيلما يتناول موضوعا جادا مثل "اشتباك" أفسده ذلك النزوع النزق تجاه "التهريج"!

هذا هو الانطباع الأوّلي الذي يتوارد على الذهن وأنت تشاهد فيلم "يوم للستات" للمخرجة الموهوبة كاملة أبو ذكري، الذي عرضه مهرجان لندن السينمائي وسيكون فيلم افتتاح الدورة القادمة من مهرجان القاهرة السينمائي. ومع مرور الأحداث والمواقف والانتقال بين الشخصيات المختلفة، يتضح أكثر فأكثر أن مشكلة هذا الفيلم تكمن تحديدا، في السيناريو.

قدّمت كاملة أبو ذكري قبل نحو سبع سنوات، واحدا من أفضل أفلام السينما المصرية هو فيلم "واحد صفر" عن سيناريو مريم نعوم المتماسك الطموح الذي لا يفقد توازنه، ورغم أنه ينتقل بين عشر شخصيات متباينة كان الفيلم يكشف ويعرّي فساد الواقع بل وما لحق من فساد بالكثير من أفراد الطبقة الشعبية والطبقة الوسطى، فأصبحوا يحتالون من أجل مواصلة الحياة، إلا أن الفيلم لا يتعامل معهم بقسوة، بل بحبّ وفهم، وكانت المعالجة السّاخرة تجعلهم يبدون وكأنهم يشتركون جميعا في لعبة واحدة لها قواعدها المشتركة، يحترمها الجميع ويرتضون بها، من أجل التحايل على مشاق الحياة.

> الفيلم تسوده الميلودراما المعتادة تاريخيا في الفيلم التجاري المصري، التي تتأرجح بين الإضحاك والمبالغات الهزلية والمشاهد التي تبرز سلوكيات الطبقة الشعبية

لم يكن الفيلم يروي قصة تقليدية، بل كان يقدّم نماذج لشرائح اجتماعية متباينة، تتداخل علاقاتها، وتتشابك، وتدور الأحداث كلها في يوم واحد، هو يوم مباراة كرة القدم بين منتخب مصر ومنتخب الكاميرون في بطولة الأمم الأفريقية. وكان الفيلم يتخذ من هذا الحدث "موتيفة" تجمع كل الشخصيات، ويجعلها تضلّ وتتوه وتتصاعد وتيرة رغبتها الهستيرية في الحصول على التعويض النفسي الجماعي. وعندما يتحقق "النصر" في نهاية اليوم بفوز المنتخب المصري، يكون الغطاء قد انكشف عن كل إفرازات الهزائم الاجتماعية المتراكمة.

ربما يكون سيناريو فيلم "يوم للستات"، الذي كتبته هناء عطية (كاتبة سيناريو "خلطة فوزية") قد استهوى كاملة أبو ذكري، لتقاربه الظاهري مع الإطار العام لفيلم "واحد صفر"، كونه مبنيا على شخصيات متعددة من الطبقة الشعبية من قاع المجتمع، حيث نرى كيف تجتمع نساء منطقة شعبية في القاهرة حول فكرة وجود حمّام للسباحة تفتتحه المحافظة داخل مركز للشباب في أحد الأحياء القاهرية الشعبية القديمة التي تعاني من الفقر والإهمال على جميع المستويات. وتدور الأحداث خلال أسبوع واحد من عام 2009، أي من حيث تركنا فيلم كاملة السابق.

رمزية الحمام

فكرة حمّام السباحة وتخصيص يوم في الأسبوع لارتياد نساء الحيّ، هي الفكرة الرمزية المقابلة لفكرة المباراة في "واحد صفر"، فالحكومة تريد التأكيد على أنها "تفكّر في الناس" وتريد إدخال السعادة عليهم، ثم سرعان ما يتحول "الحمّام" إلى بؤرة تجمّع لنساء الحي يوم الأحد، حيث تحشد كاملة أبو ذكري أكبر عدد من النساء البدينات يمكن مشاهدتهن في أيّ فيلم مصري، وتجعلهن يغصن في مياه الحمّام بملابسهنّ الشعبية المضحكة، بل ويأتين أيضا بالمأكولات الشعبية لتناولها هناك، في سخرية من التدهور الذي وصل إليه الحال، وفي الأيام الأخرى نرى أطفال وشباب ورجال الحي يعيثون فسادا في الحمّام، منهم من يتبوّل في الماء، ومنهم من يعابث في غلظة، فتاة الحيّ البلهاء "ناهد السباعي".. هنا يصبح الحمّام معادلا للتحرر من الهموم والأثقال التي يعاني منها أهل الحي، خصوصا النساء. ولكنه من جهة أخرى يشير إلى حيلة السلطة في إشغال الناس بصغائر الأمور بعيدا عن الالتفات لأوجاعهم لكن هذه الفكرة لا تتكرر بشكل جيد في الفيلم.

لدينا أولا إلهام شاهين التي تقوم بدور امرأة ذات جمال زائل، ثم ترهّلت وأصبحت تشعر بالأسى لما بلغته من تدهور رغم أنها تصرّ على أنها مازالت تعمل "موديل" أو نموذجا للرسامين كما كانت في الماضي، ورغم تحررها الكبير (تشرب الخمر، وتدخّن السجائر، وترفض ارتداء الحجاب) إلا أنها ستروي لنا في "مونولوج" طويل كيف أنها ظلت تقمع رغباتها الجنسية حتى بعد أن تجاوزت الخمسين!

إلهام شاهين في دور غير مناسب لها

أما نيللي كريم فهي تقوم بدور امرأة تعاني من الشعور بالاكتئاب والحزن بعد أن فقدت زوجها وابنها في حادث غرق العبارة الشهير الذي أودى بحياة أكثر من ألف مصري في تلك السّنة. وهي تعمل في بيع العطور الشعبية في دكّان متواضع، وتعيش مع شقيقها المتطرف الإسلامي "أحمد الفيشاوي"، الذي لا يعمل بل يستولي على ما تحصله من مال بالقوة والتهديد، وأبيها "فاروق الفيشاوي" وهو رجل متحرر يتعاطى المخدرات ويسهر مع أصدقائه، ويلهو في حمّام السباحة كلما أتيحت له الفرصة، وهو يرتبط بصديقه القديم العائد حديثا من الخارج "محمود حميدة" الذي كانت تربطه في الماضي علاقة حب بإلهام شاهين، لكنه هجرها ليتزوّج بغيرها. ونعرف أنه عاد من العمل في الخارج كحارس أمن، فقيرا معدما بعد أن قضى سنوات في السجن هناك لسبب غير مقنع يردّ على لسانه خلال حواره المنولوجي الطويل مع "إياد نصار" الذي يعمل مشرفا على حمّام السباحة، ويروي له حميدة كيف أنه أفرط في الشراب ذات ليلة، ثم أمسك بالمسدس الذي كان معه وأخذ يطلق النار في الهواء ابتهاجا أو ربما احتجاجا (!)، ممّا أدى إلى الحكم عليه بالسجن، وكلها قصة مثل قصص الأطفال التي لا تقنع أحدا!

ميلودرامية المواقف

مثل هذه القصص التي تأتي عن طريق الحوار تشكل أساس الفيلم في الكشف عن شخصياته المتعددة فسوف نتعرف أيضا على مأساة نيللي كريم من خلال الحوار، كما يضع سيناريو الفيلم في سياق مواقف تتصاعد لتصل إلى قمة الميلودراما والمبالغات كما في مشهد انهيار إلهام شاهين وهي تقص على نيللي كريم كيف أنها ليست امرأة سيئة كما يعتقد أهل الحي، وأنها حافظت على "شرفها" ولم تسمح لأيّ رجل بأن يتجاوز حدوده معها (وهي رؤية متخلفة في فيلم يفترض أنه يتبنى قضية حرية المرأة)، كما تصرخ من لوعة حبها القديم- المتجدد الذي تشعر به -دون أمل- تجاه محمود حميدة بينما هو لا يكاد يشعر بوجودها. لكننا سنفاجأ بعد ذلك، بمحمود حميدة يندفع في مشهد صارخ في ميلودراميته نحو إلهام شاهين، منهارا يبكي بين يديها، ليعترف لها بأنه مازال يحبها وأنه لم يحب امرأة غيرها!

في مشهد آخر تذهب نيللي كريم إلى إياد نصار الذي تشعر بحبه لها، لكي تطمئن عليه بعد المشاجرة التي كان طرفا فيها في الحي، لينتهي المشهد بما يشير إلى التلاقي العاطفي بينهما. وكما رأينا حميدة يبكي وينهار بين يدي إلهام شاهين، يطلب نصار من نيللي كريم أن تحتضنه بقوة، فالرجل في الحالتين، هو الطرف الأضعف أمام المرأة، وهي فكرة نظرية لكنّها غير متقنة جيدا دراميا. وفي مشهد آخر يتهجم أحمد الفيشاوي (المتطرف الأصولي الذي يتهم أهل الحي بالضلال) على والده فاروق الفيشاوي بألفاظ قاسية، فيطلب منه الأب أن يضربه ويظل يكرر مطلبه المضحك وهو يبكي على طريقة المسرحيات الميلودرامية التي تستدر دموع الجمهور وتصفيقه!

تسود الفيلم الميلودراما المعتادة تاريخيا في الفيلم التجاري المصري، التي تتأرجح بين الإضحاك والمبالغات الهزلية والمشاهد التي تبرز سلوكيات الطبقة الشعبية، أحيانا تشعر أن الفيلم يسخر منها ويضحكنا عليها، وأحيانا أخرى يتعاطف معها ويبرّر لها، غير أن الفكرة الأساسية التي يستند إليها الفيلم هي أن بسطاء المصريين قادرون دوما، رغم كل المشاق، على إيجاد الفرصة للاستمتاع بالحياة وخلق البهجة، بل إن آمالهم المفقودة يمكن أن تتحقق في نهاية المطاف، رغم كل المعوقات، فها هي الشخصيات النسائية كلها تجد من يحبها ويريد الارتباط بها، بمن فيهن ناهد السباعي، أي الفتاة المتخلفة البلهاء التي تصر على أنها غير بلهاء (لا نفهم هل تتظاهر هي بالبلاهة مثلا، ولماذا؟!)، فالميكانيكي الشهم "أحمد داود" يتقرب منها، يبدي لها الحب، يحقق لها أملها في تناول وجبة في أحد مطاعم "كنتاكي"، ثم يأتيها بقطعة "بيتزا"، خاصة وأنها وهي الفقيرة المعدمة، تتحدث كثيرا عن فقرها المدقع، وتقول إنها تحلم بوجود مصر أخرى، الناس فيها يأكلون كثيرا جدا من الطعام، ويدفنون ما يتبقى منه في حفرة كبيرة!

الاحتفال بالحياة

تتكرر فكرة مقدرة البسطاء على الفرح رغم قسوة الحياة، في كثير من الأفلام المصرية منذ "ليه يا بنفسج" و"الساحر" لرضوان الكاشف، و"سارق الفرح" لداود عبدالسيد، ثم "يا دنيا يا غرامي" و"خلطة فوزية" لمجدي أحمد علي، ثم "بنات وسط البلد" لمحمد خان.. وغيرها الكثير من الأفلام. ولعل المغري في هذه الفكرة أنها تسمح بإنتاج أفلام خفيفة، "شعبوية"، تنتقد بقدر ما تغازل أبطالها وجمهورها من الطبقة الشعبية، بل إننا في "يوم للستات" نشعر أحيانا بالسخرية التي تصل حدّ الهجاء لسلوكيات نساء تلك الطبقة التي تتصف بقدر كبير من الهمجية والتخلف والجهل إضافة بالطبع إلى القبح والبدانة ورفض التصرف بكياسة، والتقول على بعضهن البعض، ولكن من ناحية أخرى، نرى كيف يتصدّين جميعهن بقوة وعنف للشاب المتطرف الذي يحاول تقويم سلوكهن وطرده من الحي. أي أن التضامن بين النساء هو الذي يغلب في النهاية.

ضعف السيناريو

من المؤسف أن يتسبب ضعف السيناريو وتقليديته وشخصياته النمطية المتكررة التي ألفناها من قبل، في مشاكل تتعلق بالإخراج والمونتاج، فهناك ثلاث نهايات للفيلم، أو هذا ما نشعر به بسبب أسلوب الإخراج وربما كان يمكن أن ينتهي الفيلم بالفعل نهاية مفتوحة قبل تلك النهاية التوفيقية التي يفرضها السيناريو والتي تغلق كل الأقواس وتحقق للمتفرج النهايات السعيدة بجمع شمل الرجال والنساء. وهي نهاية تتسق مع طبيعة الفيلم الذي يصدر من داخل السينما السائدة ولا يسعى لتجاوزها فنيا.

يلاحظ أيضا الإفراط والتكرار في استخدام الموسيقى لتحقيق أكبر شحنة عاطفية، وامتداد بعض المشاهد بعد أن تكون قد حققت الغرض الدرامي منها، وتكرار الكثير من الألفاظ النابية، وبعض المواقف المفتعلة (مثل المشاجرة التي تنشب بسبب لهو شباب الحي بأحد الملابس الداخلية النسائية)، وهي استطرادات ومبالغات تؤدّي إلى هبوط الإيقاع ثم تأرجحه، مع وجود الكثير من المشاهد الزائدة التي كان من الأفضل استبعادها، ومنها على سبيل المثال، مشهد تسلّل إلهام شاهين عند الفجر إلى منزل محمود حميدة حيث تضبطها أمه العجوز "رجاء حسين" فتلقنها درسا فظا وتطردها شر طردة وهو مشهد طويل بتفاصيله التي لا توضح بقدر ما تثير الاضطراب في تفسير علاقة إلهام شاهين بمحمود حميدة.

هبوط الأداء

يعاني الحوار من الهبوط والركاكة، خاصة ما يأتي على لسان أحمد الفيشاوي، فهو حوار ساذج غير مقنع، وكذلك ما تردده إلهام شاهين في وصف مأساتها الشخصية. كما يساهم أداؤها المفتعل في محاولة منها لضخ الحياة في الشخصية بلا جدوى، في هبوط المشاهد التي تظهر فيها إلهام شاهين، وتبدو كلمات الحوار التي تردّدها مرتجلة، مكرّرة، ولا معنى لها سوى الصّراخ والصياح والشكوى ورثاء الذات. وتبدو الإشارة المتكررة المقحمة في أغاني وعصر عبدالحليم حافظ غريبة عن سياق الفيلم فعبدالحليم لم يكن مطرب الطبقة الشعبية بل مطرب الطبقة الوسطى، كما يصبح تكرار الإشارة إلى "منديل" عبدالحليم الذي تشتريه إلهام شاهين بمبلغ كبير من أحد المزادات، تفصيلا زائدا عن حاجة الفيلم لا يضيف إليه شيئا.

مشكلة إلهام شاهين أنها تبدو وكأنها تؤدي الشخصية التي تلعبها كيفما اتفق، فهي تتأرجح في الأداء بين شخصيتها في "خلطة فوزية" لمجدي أحمد علي، وكانت أكثر قوة في حضورها، وشخصيتها النمطية الهزيلة في "هز وسط البلد" لمحمد أبو سيف، كامرأة متسولة، بينما يفترض أن تكون في هذا الفيلم قد خالطت المثقفين من الرسّامين وتأثّرت بما سمعته منهم بحكم عملها كموديل. ولا شك أن الدور لم يكن مناسبا لها من الأصل، بحكم عوامل عديدة منها سنّها وملامحها الخارجية وصوتها وطريقة نطقها للألفاظ، لكن إلهام شاهين هي منتجة الفيلم.. فكيف يمكن ألا تكون "البطلة" أيضا!

مخرجة الفيلم كاملة أبو ذكري

الهجوم الوحشي من جانب نساء الحي الشعبي على حمام السباحة

تنصيب الأقصر عاصمة للسياحة العالمية يعيد إلى مصر بريقها

مهرجان الجاز وعودة الرحلات الألمانية والروسية ينهيان أزمة السياحة المصرية

أولى بوادر انتعاش قطاع السياحة المصرية للموسم الحالي تشكلت من خلال عودة العلاقات مع روسيا وعبر استئناف الرحلات الألمانية والبريطانية، بالإضافة إلى احتضان مصر الشهر الحالي لحدثين أحدهما مهرجان القاهرة الدولي للجاز والثاني تنصيب مدينة الأقصر الصعيدية عاصمة للسياحة العالمية. وهو ما يرجّح إقبالا سياحيا كبيرا على مصر التي تعيش على وقع الاستعدادات الحثيثة لتظهر بالصورة التي تتناسب ومكانتها التاريخية والحضارية، في عيون ضيوفها وزوارها من سياح العالم.

أحمد جمال
كاتب مصري

❏ تنتظر السياحة المصرية انفراجة قريبة بعد أن أضحت مسألة عودة السياح الروس إلى مصر أمرا وشيكا، في وقت شهدت فيه الفنادق المصرية رواجا مع وصول أولى الرحلات الألمانية، وهو ما يتواكب مع بدء موسم السياحة الشتوي في نوفمبر المقبل.

وتأتي هذه الانفراجة بعد مرور عام على حادثة إسقاط طائرة روسية بعد إقلاعها من منتجع شرم الشيخ في أكتوبر 2015، وهو ما دفع بروسيا لوقف جميع رحلاتها إلى مصر، ممّا ساهم في انخفاض أعداد السياح الوافدين من روسيا، إضافة إلى بريطانيا وألمانيا وإيطاليا.

وقد قام مكسيم سوكولوف وزير النقل الروسي بزيارة إلى مصر اعتبرها كثيرون بمثابة المتمّم لاستئناف الرحلات السياحة إلى مصر قريبا.

وأعلن شريف فتحي وزير الطيران المدني المصري بدء التجهيز لوضع اتفاقيّة بين مصر وروسيا تتضمن الإجراءات الأمنية التي سيتمّ اتّباعها عند استئناف حركة الطيران بين البلدين.

وقالت مصادر بوزارة السياحة المصرية لـ"العرب"، إن عودة السياحة الروسية باتت وشيكة، وأنّ زيارة وزير النقل التي شملت تفقّدا لعدد من المطارات ومتابعة التجهيزات الخاصة باستقبال السيّاح الروس، قد تكون الأخيرة من الجانب الروسي.

وأضافت المصادر أن الشركات الروسية تضع اللمسات الأخيرة قبل استئناف الرحلات، فيما أكدت وزارة النقل الروسية أن مطار القاهرة أصبح جاهزا لاستقبال الرحلات الجوية.

وأكد ثروت عجمي، مستشار غرفة شركات السياحة بجنوب الصعيد، أن بوادر عودة السياحة الروسية بشكل خاص والأوروبية بشكل عام بدأت بالظهور في الوقت الحالي، بعد أن شهدت الأسابيع الماضية العديد من الاتصالات بين شركات السياحة الأوروبية وعدد من الفنادق للحجز المسبق للموسم الشتوي.

عاصمة السياحة العالمية مستعدة لاستقبال ضيوفها

وقال الخبير السياحي المصري مجدي صالح في تصريحات لـ"العرب"، "نفّذت مصر ما يزيد عن 95 بالمئة مما طلبته روسيا لتأمين المطارات، في ما عدا نسبة ضئيلة من المطالب الروسية رفضتها مصر".

وأفاد ياسر جاهين، نائب مدير مطار شرم الشيخ، أن "عودة رحلات الطيران الألمانية، لمنتجع شرم الشيخ، ستكون بمعدل رحلة واحدة أسبوعيا".

كما أن مصر ستحتضن على مدى 3 أيام الدورة الثامنة من مهرجان القاهرة الدولي للجاز الذي ستنطلق فعالياته من 20 إلى 22 أكتوبر الحالي مما قد يحمل إلى مصر وفودا جديدة من السياح.

هذا وقد صرح منظمو المهرجان أن أكثر من 100 فنان من 13 دولة عربية وأجنبية من بينها مصر سيشاركون في المهرجان.

وقال عمرو صلاح رئيس المهرجان "المهرجان هذا العام يشمل 15 عرضا لمجموعة متنوعة من الفرق والفنانين من بينهم المغني المصري حمزة نمرة وعازفة البيانو والمغنية البرتغالية كارمن سوزا".

وأضاف صلاح أن من أبرز سمات الدورة الجديدة هي تواصل العروض المشتركة بين فنانين من أكثر من دولة وهو التقليد الذي بدأ منذ الدورة الرابعة في 2012 إضافة إلى مشاركة دول يستضيفها المهرجان لأول مرة مثل بنما والمجر وبولندا.

وأوضح صلاح أن هذه الدورة ستشهد مشاركة هولندا وألمانيا والدنمرك وسويسرا والبرتغال وبولندا والنمسا والمجر والتشيك وبنما واليابان والبحرين ومصر. وأشار إلى أن المهرجان يبدأ بعرض من البحرين التي تشارك لأول مرة في هذا المهرجان بفرقة (ليكويد) والفنان علاء غواص.

> السياحة المصرية تنتظر انفراجة بعد مرور عام على حادثة إسقاط طائرة روسية بعد إقلاعها من منتجع شرم الشيخ في أكتوبر 2015

كما تقام على هامش المهرجان ورش عمل من أبرزها ورشة عن "علاقة الإيقاعات الأفريقية بالإيقاعات البنمية".

وتحظى مصر في الوقت الراهن بانتعاش السياحة وعودة العلاقات، إذ أعلنت شركة مصر للطيران استئناف رحلاتها الجوية بين لندن ومدينة الأقصر السياحية في جنوب مصر.

وقد تزامن ذلك مع انتهاء سلطات محافظة الأقصر بصعيد مصر، من تنفيذ 90 بالمئة من مشروع تهيئة المحافظة استعدادا، لتنصيبها عاصمة للسياحة العالمية في شهر أكتوبر الحالي.

وقال محافظ الأقصر، الدكتور محمد بدر، عقب الانتهاء من إعادة إحياء طريق الكبّاش الفرعوني، الذي يربط بين معبدي الأقصر والكرنك، بأن إحياء هذا الطريق يهدف إلى تحويل الأقصر إلى أكبر متحف مفتوح بالعالم. ولفت بدر إلى إعطاء لون موحد لكافة المباني المطلة على الطريق وإنارته وذلك في إطار المساعي الجارية لافتتاحه أمام زوار المدينة من سياح العالم.

وأشار إلى أن مدينة الأقصر تشهد أعمال رفع لكفاءة كافة طرقاتها، ومرافقها السياحية، وطلاء جميع المباني المطلة على الطرق السياحية، والمحيطة بالمزارات الأثرية، بلون موحد، إلى جانب أعمال إضاءة وتجميل لكافة أحياء المدينة، التي تحتفل في 31 من الشهر الجاري بتنصيبها عاصمة للسياحة العالمية.

وقال المحافظ إن مدينة الأقصر تشهد مجموعة من الاستعدادات لاستضافة المئات من أصحاب الشركات السياحية، ببلدان العالم الأعضاء في منظمة السياحة العالمية، إلى جانب العشرات من وزراء السياحة العرب والأجانب.

وأشار بدر إلى أنه يجري وضع العشرات من الجداريات الفنية، المستوحاة من تراث وفنون الأقصر التاريخية، والمعاصرة، بجانب لوحات الترحيب، بضيوفها، والاحتفاء بتنصيبها عاصمة للسياحة العالمية، حيث ستنتشر تلك اللوحات بطول الطرق السياحية، والميادين العامة، بدءا من بوابة مطار الأقصر الدولي، ومرورا بقلب المدينة، وحتى موقع المزارات الأثرية والسياحية، ومعابد ومقابر ملوك وملكات ونبلاء الفراعنة في البرّ الغربي، الذي يضم بين جنباته المئات من المقابر والعشرات من المعابد التاريخية، إلى جانب إحياء مشروع اللون الموحد لمنشآت المدينة ومبانيها، لتظهر الأقصر بالصورة التي تتناسب ومكانتها التاريخية والحضارية، في عيون ضيوفها وزوراها من سياح العالم.

وجهات عربية

دبي تحتفل بـ«أكتوبر فيست» وعيد الهالوين

❏ **دبي** – تجتذب دبي أعدادا كبيرة من السياح من جميع أنحاء العالم من خلال تنظيم الاحتفالات العالمية مثل مهرجان أكتوبر وعيد الهالوين، إذ تعتبر إمارة دبي مرادفا للترف والفخامة والرقي.

ويعود ذلك إلى أن دبي تبدو كلؤلؤة ساطعة وسط الصحراء، حيث تكثر بها ناطحات السحاب ومراكز التسوق الفاخرة وجزر النخيل الاصطناعية ومراسي اليخوت الفخمة.

وقد يبدو من غير المألوف الاحتفال بمهرجان أكتوبر أو "أكتوبر فيست" تحت أشجار النخيل، حيث تظهر النساء بفساتين درندل ويرتدي الرجال بنطالا جلديا، بينما تسود في الخارج درجة حرارة تصل إلى 31 مئوية، وهي أجواء لا تتناسب بأيّ حال من الأحوال مع أجواء مهرجان أكتوبر في ألمانيا.

ولكن الأعداد الكبيرة من السياح حول الطاولات في حديقة منتجع "شيراتون جميرا بيتش"، والموسيقى ملائمة بالفعل للاحتفال بمهرجان أكتوبر في دبي.

وقد تم استقدام فرقة موسيقية من سالزبورغ خصيصا لعزف المقطوعات الموسيقية، وشهد الاحتفال قدوم 700 من السياح، ومن بينهم الأب الروحي لهذا الاحتفال، إنغلبرت غامسريغلر، أو كما يعرف في الفندق باسم الشيف إنغلبرت، حيث بدأ الشيف، البالغ من العمر 67 عاما، الاحتفال بمهرجان أكتوبر في فندق "شيراتون" منذ سنوات.

وأكد الشيف إنغلبرت أن الأمر كان صعبا في البداية، ولكن مع بذل الكثير من الجهد والعمل، أصبح هذا الاحتفال واقعا في دبي، وبعد مرور أكثر من 50 عاما في مجال السياحة والفندقة أصبح الشيف إنغلبرت ضيفا في هذا المهرجان.

وينتشر فريق العمل بين أشجار النخيل وحول حوض السباحة حيث يقوم العاملون بحمل أطباق الحلوى. وقد ارتدى أغلب السياح الزي البافاري. وبدأت الفرقة الموسيقية في العزف والترحيب بجميع الضيوف.

وأكد الشيف إنغلبرت أن 70 بالمئة من الضيوف يعتبرون من السياح، الذين اعتادوا الإقامة في هذا الفندق، ويظهر من بين الضيوف بعض السياح من إنكلترا وروسيا.

ولا يقتصر الأمر على السيّاح فقط، بل تقوم بعض الشركات بإقامة احتفالات لموظفيها من الألمان والسويسريين والنمساويين، الذين يعيشون في دبي.

ويقف السياح على الطاولات للاستماع إلى الصوت بشكل جيد، على غرار ما يحدث في خيام الاحتفال الكبيرة بمهرجان أكتوبر الأصلي.

وتمتد الاحتفالات لفترة طويلة خلال الليل في أجواء مبهجة من المرح والسعادة.

ولا تبدو الأجواء بمنتجع شيراتون غميرا بيتش مناسبة لأصحاب القلوب الضعيفة، حيث تقام الاحتفالات بعيد الهالوين على الشاطئ.

ومن يتوقع مشاهدة المؤثرات الغريبة والمتاهات المرعبة وغيرها من عوامل الجذب المشهورة بأعياد الهالوين، فإنه يُصاب بخيبة أمل، حيث تقتصر الاحتفالات على الموسيقى الصاخبة وأضواء الليزر وعلى السياح أنفسهم وغيرهم من الضيوف.

ويزداد الإقبال على التقاط صور السيلفي مع الشخصيات الغريبة، التي يتم نشرها على شبكات التواصل الاجتماعي في ثوان معدودة.

ويكثر وجود شخصيات الزومبي، التي تقف بجوار بعضها بعضا لالتقاط الصور، وتعلو وجوهها ابتسامة عريضة.

وتزداد متعة احتفالات الهالوين عندما يسير المرء حافي القدمين على الرمال الناعمة، وفي الصباح يبدو ضيوف الاحتفال في ملابسهم وكأنهم شخصيات زومبي حقيقية.

وتأتي هذه الاحتفالات في إطار استقطاب المزيد من السياح، إذ أن دبي لا تسخر جهدا في تحسين خدماتها.

مقتطفات من العالم

شركات السياحة الفرنسية تطالب بتأمين السياح

❏ **باريس** – طالبت شركات سياحية السلطات الفرنسية بتشكيل قوة شرطة خاصة للتصدي للاعتداءات التي قد تستهدف السائحين، وذلك غداة تعرض نجمة تلفزيونية أميركية لسطو مسلح في باريس.

ودعا قطاع السياحة في فرنسا السلطات إلى تشكيل قوة شرطة خاصة لمكافحة الجرائم التي تستهدف السائحين في وقت تسببت فيه المخاوف على سلامتهم في خفض عدد زوار العاصمة باريس.

وقال تحالف يمثل الشركات التي تعتمد في عملها على السائحين الأجانب، إنّ عددهم يمكن أن ينخفض بنسبة تتراوح بين أربعة وخمسة بالمئة هذا العام، بعد تكرار هجمات الإسلاميين المتشددين وتكرار أعمال السطو ضد السائحين الآسيويين.

وقال التحالف "تدهورت صورة فرنسا بشدة ويرجح أن يستمر أثر ذلك في 2017. لذلك يمكن أن يكون وقت التعافي طويلا". كما تضمّن البيان أنه إذا تأكد انخفاض عدد الزائرين، فسيكون الأكثر حدة منذ 40 عاما.

السياحة الطبية بكوبا مرهونة بالإقبال على مركز العلاج

❏ **هافانا** – يعد المركز الدولي للعلاج العصبي "سيرين" الذي فتح أبوابه منذ 27 عاما، من أكثر المجمّعات الطبية تطورا في كوبا وهو موجه للمرضى الأجانب في هذه الجزيرة المعروفة بجودة عمل طواقمها الطبية.

ويتمتع المركز بتجهيزات متطورة للغاية وبمكيفات هواء وحديقة خضراء وحوض سباحة مسقوف ومطعم، فضلا عن موظفين ذوي خبرة ولا سيما من الرياضيين السابقين.

وهو يقع في سيبونيي (غرب العاصمة هافانا) بعيدا عن زحمة وسط المدينة.

وقد استقبل المركز منذ افتتاحه الكثير من قادة أميركا اللاتينية ومشاهيرها، إلا أن مسؤولي المركز يقرون بتراجع عدد المرضى في السنوات الثلاث الأخيرة.

ولمواجهة هذا الوضع وضعت إدارة المركز استراتيجية لتجاوز المشكلة من خلال حملة عبر وسائل التواصل الاجتماعي وتجديد الموقع الإلكتروني وإقامة شراكات جديدة مع وكالات أجنبية وفتح أبواب المجمع أمام الصحافيين الأجانب.

متحف جديد لتمثال الحرية بحلول 2019

❏ **نيويورك** – أفاد مسؤولون في نيويورك بأنه سيفتتح قريبا متحف حديث ومتعدد الوسائط مكرس لتمثال الحرية رمز أميركا الذي يستقبل على جزيرة ليبرتي أيلاند نحو 4.3 ملايين زائر سنويا.

وأوضحت هيئة "ناشونال بارك سيرفيس" التي تدير الموقع، بأن الترتيبات الأمنية التي وقع اتخاذها بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 قلصت من قدرة الاستقبال في المتحف الواقع داخل التمثال بحيث أن 20 بالمئة فقط من زوار ليبرتي أيلاند بإمكانهم الدخول إليه.

وأطلقت الهيئة التي تشارك في إدارة ليبرتي أيلاند وأيليس أيلاند القريبة، الخميس بناء مبنى يتمتع بواجهات زجاجية كثيرة ستبلغ كلفته 70 مليون دولار. وأكد القيمون على المشروع أن المتحف عند افتتاحه في العام 2019 سيتيح منظرا رائعا على مانهاتن، فضلا عن تجربة متعددة الحواس وتعمق في مفهوم الحرية.

وخلافا للمتحف الحالي المقام في قاعدة التمثال، يبنى المتحف الجديد في الجهة المقابلة من الجزيرة الصغيرة.

جائزة نوبل للكيمياء من نصيب آليات تحمل فوائد للبشرية والعلم

اختراعات قلبت العالم وعلى رأسها الإنترنت لم تنل جائزة نوبل

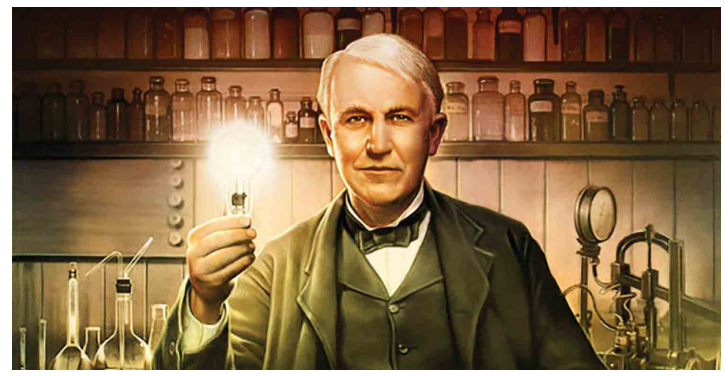

النجاح والانتشار يولدان من رحم الفشل

يعتبر الفوز بجائزة نوبل تتويجا لمجهودات خاض أصحابها العديد من التجارب والأبحاث للخروج باختراعات لم يسبق لها العلماء من قبل، أو تطوير إنجازات موجودة بالفعل على أرض الواقع. ومن بين الحائزين على هذه الجائزة لهذا العام ثلاثة علماء في الكيمياء تمكّنوا من تصميم وتركيب الآليات الجزيئية المستخدمة في الهياكل الكيميائية التي يستعين بها الباحثون في جميع أنحاء العالم في أصغر الآلات في العالم. هذا الحدث أعاد للأذهان سلسلة من الاختراعات التي أحدثت فرقا جذريا في العالم إلا أنها لم تحصل على جائزة نوبل.

❏ **لندن**- يطرح فوز ثلاثة من العلماء بجائزة نوبل 2016 في الكيمياء بفضل "أصغر الآلات في العالم"، العديد من التساؤلات حول طبيعة هذه الآلات الجزيئية وفوائدها على البشرية والعلم. كما أنه يعيد إلى الأذهان تاريخ 10 اكتشافات عظيمة لم تفز بجائزة نوبل إلا أنها ساهمت في التطور التكنولوجي اليوم وكانت المحرك الأساسي للدخول إلى عالم الإنترنت والبرمجيات التي أخذت تتطور مع الوقت.

وأرجعت الأكاديمية الملكية السويدية للعلوم التي تمنح الجائزة قرارها منح كلّ من العالم الفرنسي جون-بيير سوفاج والأسكتلندي جيه. فريسر ستودارت والهولندي برنار فرينخا الأربعاء جائزة نوبل في الكيمياء للعام 2016، إلى أن العلماء الثلاثة طوّروا جزيئات ذات تحركات يمكن التحكم فيها ويمكن أن تؤدّي مهام عند إضافة الطاقة لها.

> أصغر الآليات في العالم يمكن دفعها داخل جسم الإنسان لنقل عقار دوائي بداخله، كما يمكن أن تنتج عنها تطبيقات جديدة لتصاميم المواد الذكية

وقالت الأكاديمية إن العلماء الثلاثة ساهموا في "تصميم وتركيب الآليات الجزيئية المستخدمة في الهياكل الكيميائية التي يستعين بها الباحثون في جميع أنحاء العالم، وعلى رأسها الروبوت الجزيئي".

ولفتت الأكاديمية إلى أن "الآليات الجزيئية ستُستخدم على الأرجح في تطوير أشياء مثل مواد وأجهزة استشعار، وأنظمة تخزين طاقة جديدة". وتعتبر هذه الآليات أصغر آليات في العالم، فهي أصغر من حجم شعرة الإنسان بالآلاف من المرّات، ويمكن دفعها داخل جسم الإنسان لنقل عقار دوائي بداخله، وعلى سبيل المثال يمكن تطبيق علاج مباشر على خلايا سرطانية، كما يمكن أيضا لهذا المجال الخاص بتكنولوجيا النانو متناهية الصغر، أن تنتج عنه تطبيقات جديدة في تصاميم المواد الذكية.

وأضافت الأكاديمية "المحرّك الجزيئي بات اليوم على المستوى الذي كان عليه المحرك الكهربائي في العام 1830 عندما كان العلماء يعرضون أذرع محركات دوارة وعجلات مختلفة غير مدركين أنها ستؤدي إلى القطارات الكهربائية والغسالات الكهربائية والمراوح وخلاطات المطابخ". وتابعت تنقسم هذه الآلات الجزيئية إلى فئتين: اصطناعية وبيولوجية.

وتعمل المحركات البيولوجية الجزيئية بواسطة التدرج الكيميائي، أو التحلل المائي، وهي الآلية التي لم تتوافر حتى الآن في أيّ محرك جزيئي صناعي.

وتعتبر الآلات الجزيئية من العوامل الأساسية في حركة الكائنات الحية. أما المحركات الجزيئية الاصطناعية، التي لا تُرى بالعين المجردة، فيرتبط تطورها وفهم ميكانيكيتها أكثر فأكثر مع تطور علوم الكيمياء والفيزياء النانوي.

وتجدر الإشارة إلى أن جائزة الفيزياء منحت إلى البريطانيين ديفيد ثاوليس ودانكن هالداين ومايكل كوسترليتس لأعمالهم النظرية حول المادة "الغريبة" التي يتوقع أن تكون لها تطبيقات في مجال صناعة الكمبيوترات فائقة القوة.

وعن مبرّرات قرارها، قالت الأكاديمية السويدية، إن "العلماء الثلاثة فتحوا الباب على عالم جديد غير معروف من قبل، وأتاحت أبحاثهم إحراز تقدم في الفهم النظري للأسرار الغامضة للمادة، وفتحت آفاقا جديدة في تطوير مواد مبتكرة، يتم تصميمها حسب الحاجة".

وقال العالم نيلس مارتنسن، رئيس لجنة نوبل "التقنيات الحديثة التي نراها اليوم ومنها الكمبيوترات الحديثة تعتمد على فهمنا لطبيعة المواد المكوّنة لها".

وما نجاح مثال هذه التجارب إلا نتيجة عمل متواصل قد يكون فشل في السابق في الحصول على جائزة نوبل إلا أنه اليوم تمكّن من التغلغل أكثر في العالم الرقمي الذي لامس كل المجالات.وبالعودة إلى الوراء نجد أن من بين الاكتشافات التي فشلت في الحصول على جائزة نوبل ما ساهم في ولادة العالم الرقمي وما كان اللبنة الأولى وحجر الأساس في التكنولوجيا.

◄ **الإنترنت**: من بين أهم هذه الاختراعات التي غابت عنها هذه جائزة منذ قيام أول حفل لمنحها عام 1901، الإنترنت، إذ فشل باحثون أميركيون في بداية عام 1960، في الحصول على نوبل لإنشائهم شبكات اتصال حاسوبية، وهي ما تطوّر بعد ذلك ليتحول إلى شبكة الإنترنت.

وفشلت الشبكة العنكبوتية مرة أخرى في الحصول على الجائزة عن طريق عالم الكمبيوتر البريطاني تيم بيرنرزلي الذي كان صاحب فكرة بعث الشبكة العالمية، بالإضافة إلى أنه أنشأ أول موقع على هذه الشبكة في العام 1990. إلا أن هذا العالم لم ينل جائزة نوبل، على الرغم من أنه كان وراء تغيير حياة معظم البشر في العالم.

فشل أصحاب اختراع الشبكة العنكبوتية قابله انتشار كبير للإنترنت في كامل أنحاء العالم وسيطرتها عليه وعلى كل المجالات والبحوث التقنية والعلمية والأدبية.

◄ **«دي أن إيه»**: لا يعد التغاضي عن تسليم مخترعي الإنترنت جائزة نوبل الحدث الوحيد في تاريخ هذه الجائزة فقد فشل مشروع الجينوم البشري عام 2001 في الحصول على هذه الجائزة، علما وأن الجينوم البشري لم يكن عبارة عن اكتشاف أو اختراع، بل كان مشروعا هندسيا تطلب رفع مستوى تسلسل الحمض النووي إلى الحجم الصناعي.

◄ **الثقوب السوداء**: كشف العالم ستيفن هوكينغ في العام 1970 عن اعتقاده بأن الثقوب السوداء التي قد تكون أقل أو أكثر خلودا، يمكن أن تنفجر في ومضة من أشعة غاما بدلا من فقدانها كتلتها ببطء لتتبخر في نهاية المطاف.

وكانت المشكلة حينذاك تتعلق بعدم وجود وسيلة للتحقق من هذه الفكرة، وقام هوكينغ بتوحيد نظرية النسبية مع نظرية الكمّ، الأمر الذي حفّز التقدم بشكل كبير في نظرية المعلومات، ورُسّخ بحث هوكينغ بقوة في الفيزياء النظرية لكنه لم يمنح جائزة نوبل.

◄ **الجدول التسلسلي للإلكترونيات**: بالبحث في عالم الإلكترونيات والبروتونات نجد أنها عائدة إلى العالم الكيميائي الروسي ديمتري مندليف الذي وضع جدولا ترتيبا أساسيا لبروتونات وإلكترونيات جميع العناصر الكيميائية المتواجدة في كل مادة، وتعريفا للعناصر الكيميائية. كما قام ديمتري مندليف في العام 1869 بترتيب العناصر بالاعتماد على السلوك (الدوري) للخصائص الكيميائية للعناصر. ورُشّح لجائزة نوبل عامي 1905 و1906 ولكنه لم يحصل عليها، حيث اعتبرت لجنة التحكيم أن إنجازه أصبح قديما ومعروفا.

◄ **المصباح الكهربائي**: من بين الاختراعات التي أحدث عدم منحها جائزة نوبل صدمة بين مختلف الشرائح الاجتماعية اختراع توماس أديسون للمصباح الكهربائي الذي طوره العالم البريطاني جوزيف سوان فيما بعد.

فعدم حصول المصباح الكهربائي على نوبل لم يمنع تاريخيا من تسجيله كأهم اختراع منح العالم أول مجال ضوئي عرف في ما بعد العديد من التطورات.

◄ **الكوارك**: فاز موراي جيل مان بجائزة نوبل للفيزياء في العام 1969 لاكتشافاته المتعلقة بتصنيف الجسيمات الأولية وتفاعلاتها، ولكنه لم يحصل على جائزة نوبل عن اكتشافه للكوارك رغم أنه يعدّ من أصغر مكونات الذرة التي يتحد بعضها ببعض لتشكيل البروتونات والإلكترونات والجسيمات الأخرى. وعندما انطلق حفل تسليم جوائز نوبل عام 1901، كان علم الأحياء التطوري ما يزال في بداياته، حيث لم يكن علماء الأحياء يعرفون الكثير عن التفاصيل الدقيقة لكيفية تغير الحياة على مرّ الأجيال.

◄ **التركيب التطوري الحديث**: كشفت مجموعة من علماء الوراثة بين عامي 1920 و1950، عن آلية تشكل الطفرات وانتشارها بالإضافة إلى تشكل المواد الخام للتطور.

وعُرف هذا الاكتشاف لاحقا باسم "التركيب الحديث المتطور" أو "الاصطناع الحديث" ولم يحصل على جائزة نوبل للأسف الشديد.

◄ **المادة المظلمة**: بالإضافة إلى مجموعة هذه العلوم التي لم تحظ بالجائزة، يوجد العديد من الاكتشافات الفلكية التي تستحق جائزة نوبل ومن بينها المادة المظلمة التي لم تلق أيّ اهتمام يذكر من قبل لجنة جوائز نوبل. وفي العام 1970، شهد كل من فيرا روبين وكينت فور وجود النجوم على حواف المجرات وهي تتحرك بنفس سرعة النجوم المتواجدة في الوسط. وبعبارة أخرى، إن السرعة العالية للمجرات يمكن أن تكون سببا لابتعادها ولكن تساهم المادة المظلمة في استبقائها بمساعدة الجاذبية.

وتعتبر المادة المظلمة غير مرئية وتشكل 90 بالمئة من كتلة الكون، ولا ينبعث منها الضوء كما لا تعكسه. ولكن ما يزال البعض من الغموض يكتنف هذه المادة الكونية المظلمة، ويتابع العلماء استكشاف طبيعتها الخفية.

◄ **شجرة الحياة**: في الوقت الذي كان العلماء يصنفون فيه الميكروبات على أساس أشكالها، قام العالم كارل وويس باختراع وسيلة لتوقع العلاقة بين الميكروبات بناء على نوعية جيناتها.

وقام العلماء باستخدام العديد من التقنيات لفهرسة أنواع الميكروبات التي تعيش في أجسامنا، والتي تؤثر على صحتنا، كما رسموا العلاقات التطورية للكائنات الحية الكبيرة منها والصغيرة.

وبفضل هذه الطريقة، اكتسبت شجرة الحياة جذعها الثالث الكبير بالإضافة إلى العديد من الفروع والأغصان الجديدة. وتوفي كارل ووبس عام 2012 قبل نيله جائزة نوبل.

◄ **علم الحفريات**: لم ينل عالم الحفريات جون أوستروم جائزة نوبل لعلم المتحجرات أو أيّ فرع آخر من فروع التاريخ الطبيعي، على الرغم من اكتشافه لأبرز أنواع الديناصورات المكتشفة على الإطلاق، ويبلغ هذا الديناصور من العمر نحو 110 ملايين سنة.

10
اختراعات لم تفز بجائزة نوبل مهدت للتطور التكنولوجي وكانت وراء الدخول إلى عالم الإنترنت

كل هذه الإنجازات لم تكن بحاجة إلى جوائز لتثبت جدارتها ونجاعتها إذ يكفيها أنها ساهمت في تغيير مجرى العالم، وسهلت فهم الكثير من الغموض الذي يحيط به من كل جانب، بالإضافة إلى أنها مكنت من السيطرة على الكثير من الأمراض وأجهزت على العديد من العراقيل فعلى سبيل المثال مكن مشروع الجينوم البشري أو ما يسمى تسلسل الحمض النووي المعروف بـ"دي أن إيه" من العلاج بالجينات وتطوير طرق علاجية حديثة كما أدى إلى الحصول على أدوية جديدة. كذلك الشأن بالنسبة إلى الإنترنت التي اكتسحت العالم ووفرت المليارات من المعلومات ولا تزال توفر، كما أنها هيّأت المناخ المناسب لعمالقة التكنولوجيا الذين اتخذوا منها منصات كبرى لمحركات بحثهم.

وتحولت الثقوب السوداء التي لم يحاول أحد أخذها بعين الاعتبار إلى جزء لا يتجزأ من علوم الفيزياء النظرية، كما أنها حفزت إحراز تقدم كبير في نظرية المعلومات.

وأثبتت التجارب السابقة أن الجوائز وعلى رأسها نوبل ليست مقياسا للنجاح أو الفشل وإن كانت محفزا على مواصلة العمل لكن الاختراعات التي لم تلق حظا في الفوز عرفت انتشارا عالميا رسخ على مر العصور. كثرة التكهنات التي سبقت حصول الفائزين على جوائزهم لهذه السنة أعادت إلى الأذهان التساؤل عن أسباب فشل الاختراعات التي غيرت العالم، عن نيل نوبل، ولكن الأهم من ذلك أنها أثارت بعض الانتقادات واخترنت في طياتها اقتراحات ضمنية لعل من بينها ألا يمكن تعديل بنود الجائزة بحيث يخصص قسم منها لتكريم الإنجازات التي فارق أصحابها الحياة وتكون عائدات الجائزة لدعم هذه الاختراعات.

جديد التكنولوجيا

❏ شركة ويفرلي لابس الكندية تطوّر سمّاعات ذكية للأذن، قادرة على الترجمة الفورية لعدد من اللغات الأجنبية، على رأسها اللغتان الإنكليزية والأسبانية، وتتيح للشخصين اللذين يرتديانها، التحدث مع بعضهما بلغتين مختلفتين بشكل متزامن، دون وقوع انقطاع في الترجمة طيلة فترة حديثهما سويا.

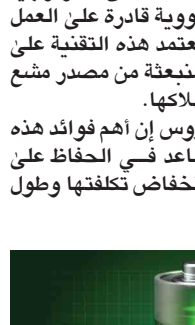

وأوضحت الشركة أن هذه السماعات تأتي امتدادا للتطور النوعي لما بات يعرف باسم التكنولوجيا التي يمكن ارتداؤها.

وأفادت بأنه ستتم إضافة لغات أخرى إلى الجهاز.

❏ شركة باناسونيك تميط اللثام للمرة الأولى عن شاشة تلفزيون غير مرئية بالكامل، تشبه للوهلة الأولى لوح زجاج ضخم شفاف قابل للانزلاق، يتحوّل بكبسة زر واحدة إلى شاشة تلفزيون حقيقية.

وتبدو شاشة العرض الشفافة من باناسونيك كقطعة ديكور، فهي مدمجة داخل خزانة خشبية مزودة بألواح زجاجية شفافة، يمكن سحبها يمينا أو يسارا أو تثبيتها في الوسط، لتتحول إلى شاشة عرض يمكن التحكم بها عن طريق الريموت كنترول أو بواسطة الإيماءات أو الأوامر الصوتية.

وأوضحت الشركة اليابانية أن شاشتها غير المرئية تمنح صورا عالية الدقة، معتمدة على تقنية أوليد، وبعد الإغلاق تتحول الشاشة إلى لوح زجاجي يستطيع المستخدم رؤية الديكورات الموضوعة على الرف القابع خلفه.

❏ علماء روس من جامعة سمارة القومية للبحوث يقومون بالعمل على تكنولوجيا تسمح بصنع بطارية نووية قادرة على العمل لأكثر من 100 عام. وتعتمد هذه التقنية على فكرة تحويل الطاقة المنبعثة من مصدر مشع إلى كهرباء يمكن استهلاكها.

ويقول العلماء الروس إن أهم فوائد هذه التكنولوجيا أنها تساعد في الحفاظ على البيئة، بالإضافة إلى انخفاض تكلفتها وطول فترة عملها.

❏ شركة صناعة السيارات اليابانية تويوتا تنتج روبوتا صغيرا يستطيع التحدث مع البشر، وهو في حجم كفّ اليد ويسمى "كيروبو ميني" والذي بإمكانه الدخول في محادثة. وبحسب الشركة يجمع اسمه بين كلمة "كيبو" ومعناها الأمل وكلمة روبوت، كشريك تواصل وتحدث. ويوجه الروبوت، البالغ طوله 10 سنتيمترات، رأسه نحو أصوات الكلمات ويمكن أن ينخرط في محادثة عارضة بينما يحرك رأسه ويديه.

ويستطيع الروبوت، الذي يقال إنه يتمتع بمستوى ذكاء طفل في الخامسة، قراءة تعبيرات الوجه من خلال الكاميرا.

❏ وشم متألف من جسيمات النانو يساعد في علاج أمراض خطيرة والسيطرة على حالة المرضى المصابين بأمراض المناعة الذاتية.

وكان العلماء في جامعة رايس وكلية الطب بايلور الأميركيتين قد اخترعوا هذا الوشم. وسبق لهم أيضا أن أكدوا أن مواد النانو المصنعة من الكربون تمتلك خصوصيات مضادة للأكسدة، وأن لديها قدرة على مكافحة شتى الأنواع النشطة من الأوكسجين التي تتشكل بكميات كبيرة في حال الإصابة بأمراض المناعة الذاتية. ويرى العلماء أن تلقيح المرضى بجسيمات النانو سيسبّب ظهور وشم صغير في مكان التلقيح.

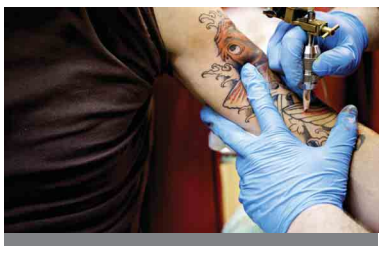

تمارين الكارديو أكثر فعالية بعد تناول وجبة خفيفة

تدريبات الكارديو تستبدل الدهون بالعضلات

ممارسة تمارين الكارديو على معدة خاوية أو ممتلئة ليست بنفس النجاعة التي تتحقق بعد تناول وجبة خفيفة تساعد الجسم على تجميع طاقته دون التعرّض للإجهاد والإرهاق. فهذا النوع من التدريبات يستوجب مخزونا من الطاقة يخوّل للعضلات العمل دون التعرض للإصابات أو تراجع قدرتها على التحمل.

❑ **كولونيا (ألمانيا)** – يعتقد البعض من الرياضيين بأن ممارسة تمارين الكارديو على معدة خاوية أكثر فعالية. وينفي البروفيسور الألماني هانز جورج بريدل صحة هذا الاعتقاد. ويوضّح أن الطعام يشحن مخزون الطاقة بالعضلات والكبد وحينئذ يحرق الجسم هذا المخزون ليلا لحماية العضلات قدر الإمكان. فمَن يمارس التمارين صباحا على معدة خاوية، يُجبر الجسم على التزود بالطاقة من نطاقات أخرى بالجسم. وقد ينطبق هذا على مخزون الغليكوجين بالعضلات، مما يؤدي إلى تفكك العضلات.

> ممارسة تمارين الكارديو على معدة خاوية قد تؤدي إلى انخفاض نسبة السكر بالدم ومتاعب بالدورة الدموية أو الشعور بالغثيان

وأضاف الأستاذ بالجامعة الرياضية بمدينة كولونيا في ألمانيا أن ممارسة تمارين الكارديو على معدة خاوية قد تؤدي إلى انخفاض نسبة السكّر بالدم، مما تترتب عليه متاعب بالدورة الدموية أو الشعور بالغثيان. وفي مثل هذه الحالة ينبغي تناول طعام سهل الهضم بسرعة قدر الإمكان، مثل خبز الدقيق الأبيض أو البعض من الفاكهة.

وأكد عضو الجمعية الألمانية للطب الرياضي، فينفريد بانتسر، أن الاعتقاد السائد بأن ممارسة الرياضة في حالة جوع تساهم في خسارة الوزن الزائد خاطئ. وبيّن أنه توصل خلال أبحاثه إلى أنه في صورة الرغبة في التنحيف تجب ممارسة الرياضة بعد تناول وجبة من الطعام حتى يتمكن الجسم من حرق عدد أكبر من السعرات الحرارية.

وأشار عضو الجمعية الألمانية للطب الرياضي إلى أن أغلب الراغبين في اكتساب قوام رشيق يمارسون الرياضة في الصباح الباكر على معدة خاوية، لكن الأفضل أكل ولو القليل من الطعام لتكون النتائج أكبر.

وبشكل أساسي، ينصح البروفيسور الألماني بريدل بتناول الإفطار قبل ممارسة تمارين الكارديو، مع مراعاة عدم ملء البطن، وإنما تناول وجبة خفيفة تحتوي على الكربوهيدرات.

وفي دراسة أخرى، تتبّع باحثون بلجيكيون طرق فقدان الوزن في مجموعتين من الشباب الأصحاء، الأولى مارس أفرادها تمارين شاقة وروتينية لكن بعد وجبة الإفطار. وأفراد المجموعة الثانية مارسوا التمارين نفسها لكن قبل وجبة الإفطار. واتبع المشاركون في البحث نظاماً غذائياً تزيد فيه نسبة السعرات الحرارية بنحو 30 بالمئة كما تزيد فيه الدهون بنسبة 50 بالمئة لمدة ستة أسابيع.

وخلصت الدراسة إلى أن أفراد المجموعة الأولى الذين مارسوا الرياضة بعد الإفطار قد اكتسبوا وزناً إضافياً، يقدر بنحو كيلوغرام ونصف الكيلوغرام لكل منهم وتطورت لديهم مشاكل الأنسولين، فيما لم يكتسب أفراد المجموعة الثانية الذين مارسوا التمارين الرياضية قبل وجبة الإفطار أيّ وزن إضافي وكانت لديهم مستويات الأنسولين صحية، كما قامت أجسامهم بحرق المزيد من الدهون طوال اليوم مقارنة بالرجال الآخرين.

يذكر أن الكارديو عبارة عن مجموعة من التمارين التي ترفع من معدل نبضات القلب ويتطلب استخدام العضلات الكبيرة مثل الأرجل على مدى فترة طويلة من الزمن. ويفضل ممارسة تمارين الكارديو في نمط تكراري وشدة خفيفة إلى متوسّطة ولمدة طويلة نسبيا. ومن أشهر تمارين الكارديو رياضة الجري والمشي والسباحة وركوب الدراجة والتجديف أو تمارين الأيروبيكس.

وعند ممارسة الكارديو يجب أن يفرز الجسم العرق، بشكل معتدل، مع الحفاظ على معدّل نبضات القلب المرتفعة لمدة لا تقل عن 20 دقيقة. ويوصي مدربو اللياقة بالانتظام في ممارسة الكارديو 3 مرات في الأسبوع على الأقل، ولكن الجامعة الأميركية للرياضة تنصح بممارسة الكارديو لمدة لا تقل عن 30 دقيقة وأكثر على مدى أيام الأسبوع.

ولأن الكارديو يعتبر ببساطة تمرينا يرفع معدل ضربات القلب لفترة طويلة من الزمن فهو أكثر أهمية للصحة العامة من رفع الأوزان.

ويرى خبراء الطب الرياضي أن أسرع طريقة ليبدو المتدرب وكأنه بنى 5 كيلوغرامات من العضلات هي أن يفقد نفس الكمية من الدهون ويمكن أن تستغرق إضافة العضلات إلى فترة زمنية تقارب السنة.

ويؤدي أداء الكارديو أيضا إلى تغيير الهرمونات في الجسم إلى حدّ كبير. والهرمونات الجديدة من شأنها أن تساعد في تخفيف أعراض الاكتئاب والتعب وتقليل الشهية. والأفراد الذين يشاركون في ممارسة هذه التدريبات، بانتظام، غالبا ما تكون لهم نظرة أكثر إيجابية للحياة وأقل عصبية وتوترا.

وبالنسبة إلى من يعانون من مرض السكري، يساعدهم تدريب الكارديو باعتدال على إدارة المرض وتخفيف معدلاته ورفع قدرة العضلات على استخدام الغلوكوز. كما يعتبر الكارديو من أقوى التمارين التي تساهم في تقوية عضلة القلب التي تعتبر من أهم العضلات في جسم الإنسان وكذلك تساهم في الحفاظ على الرئتين وتقويتهما وتزيد من كثافة العظام وتقلل من القلق وتساعد على النوم الهانئ وتقلل من أمراض القلب وتساعد القلب على أن يعمل بكفاءة عالية، كما أنها تزيد من القدرة على الاحتمال والأداء أثناء التمرن على الأوزان بالنسبة إلى كمال الأجسام. وينبه خبراء اللياقة إلى ضرورة القيام بتمارين الكارديو ورفع الأوزان بشكل منفصل تماما وترك أربع ساعات أو أكثر للراحة بينهما.

وبهذه الطريقة، لا يتداخل أيّ تمرين مع الآخر ويمكن أن يعطي المتدرب كلاً منهما جهدا وطاقة متوازنة تضمن نجاعة التدريب ولا تجهد العضلات.

ويوصي بعض الباحثين الأشخاص الذين يعانون من زيادة الوزن بشكل كبير أو المبتدئين في اللياقة البدنية، بالمشي أو الركض الخفيف وهي رياضات مهمة لمساعدة الجسم على الإحماء والاستعداد لمرحلة التدريب التي تتطلب جهدا أكبر، لاحقا.

ورغم الفوائد الكثيرة لتمارين الكارديو على العضلات وسائر الجسم فإن بعض الأخطاء قد تعرّض المتدرب للأضرار والإصابات الخطرة، فممارسة تدريبات القلب والأوعية الدموية مثل الركض والرقص والأنشطة ذات التأثير العالي التي تضع الضغط على المفاصل، بشكل متكرر، تسبب مجموعة متنوعة من الإصابات الجسدية متفاوتة الخطورة.

وتعدّ زيادة الطاقة، واحدة من فوائد القلب والتدريبات، لكن يمكن أن تأتي بنتائج عكسية لأنّ ممارسة التمرينات الرياضية قد تتدخل في نظام النوم وجودته. ولمنع حدوث ذلك يفضل ممارسة التدريبات في الصباح أو في وقت مبكر من المساء لكي لا تؤثر على مواقيت النوم وتتسبب في الأرق والإجهاد.

> الكارديو يرفع معدل ضربات القلب لفترة طويلة من الزمن وهو أكثر أهمية للصحة العامة والعضلات من رفع الأوزان

وجدير بالذكر أن تدريبات الكارديو والمعروفة بتدريبات القلب والأوعية الدموية قد لا تساعد على خفض الوزن، في كثير من الأحيان، إذا تم الاعتماد عليها وحدها لتحقيق هذا الهدف دون الالتزام بنظام غذائي متوازن. ففي مقالة نشرت على الإنترنت في نيويورك تايمز ونقلا عن البروفيسور إريك رافوسين، وهو خبير في فقدان الوزن، يقول إن ممارسة الرياضة وحدها، بما في ذلك تمارين القلب، لا تشجع عموما على فقدان الوزن. ويحدث هذا لأن الناس يميلون إلى اتخاذ المزيد من السعرات الحرارية عندما يمارسون الرياضة تعويضا للإجهاد الذي مروا به وبالتالي تتجدد الطاقة المحروقة ويضاف المزيد من الدهون.

الكارديو ترفع قدرة العضلات على التحمل

«إيريسين» هرمون يذيب الدهون لدى المواظبين على الرياضة

❑ **واشنطن** – أظهرت دراسة أميركية حديثة أن ممارسة الرياضة يوميًا تؤدي إلى ارتفاع هرمون يلعب دورًا رئيسيًا في إذابة الدهون الضارة بالجسم، كما يمنع الجسم من تكوينها، ما قد يساهم في علاج أمراض السكري والسّمنة والسرطان والقلب.

الدراسة أجراها باحثون بكلية الطب بجامعة فلوريدا الأميركية ونشروا نتائجها في المجلة الأميركية لعلم وظائف الأعضاء.

وفي العام 2012 اكتشف باحثون من جامعة هارفرد هرمونًا يسمي "إيريسين"، عثر عليه في الخلايا الموجودة بعضلات الأشخاص المواظبين على التمارين الرياضية، فوجدوا أن معدل وجود هذا الهرمون يزداد أثناء التمارين. واكتشفوا أيضًا أن هذا الهرمون يعمل على تشغيل الجينات التي تحوّل الدهون البيضاء الضارة إلى دهون بنية، وهذه الدهون البنية هي التي تساعد الجسم على حرق السعرات الحرارية الموجودة في الجسم، ما يقلّل من الوزن الزائد.

وللتعرف أكثر على هذا الهرمون، قام فريق جامعة فلوريدا في دراستهم الجديدة، بجمع الخلايا الدهنية من 28 متبرعًا أجروا جراحة تصغير الثدي وتم حقن الخلايا الدهنية بالهورمون.

وكانت النتيجة هي تقليل الخلايا الدهنية البيضاء بنسبة تتراوح ما بين 20 و60 بالمئة، عبر زيادة بروتين يلعب دورًا رئيسيًا في حرق الدهون 5 مرات أكثر من الخلايا في المعدّلات العادية، بالإضافة إلي تقوية العظام.

وقال الباحثون إن نتائج دراستهم تكشف المزيد من المعلومات عن فوائد هرمون "إيريسين" الذي يمكن أن ينتجه الجسم باستمرار، مع الانتظام في ممارسة الرياضة، ما يساهم في حرق الدهون الضارة، وعلاج أمراض السكري والسّمنة والسرطان.

وأظهرت صحيفة دايلي ميل البريطانية أن زيادة مستوى هرمون الإيريسين تأتي نتيجة لممارسة التمارين الرياضية بشكل متكرر ولفترات طويلة ولا يتم إنتاجه من خلال ممارسة الرياضة لوقت قصير. لذلك، أكد البروفيسور سبيغلمان الذي أشرف على الدراسة، بأن هذا الهرمون لا يشكل بديلا عن ممارسة الرياضة، وليس بالإمكان بناء العضلات في المستقبل عن طريق الاكتفاء بالحصول على جرعات منه.

يشار إلى أن الفرد المتدرب رياضياً يتميز عن الفرد غير المتدرب بقدرة أكبر على مقاومة المرض والتعب وكفاءة أعلى من اللياقة البدنية والوظيفية واستهلاك أقل للأكسجين ونبض أبطأ ودفع قلبي أعظم وسرعة أكبر في العودة إلى الحالة الطبيعية بعد المجهود، كما يتميز بالقوة والسرعة والرشاقة والتحمل والمرونة والتوازن.

وأضافوا "بدلا من انتظار مفعول أدوية التخسيس، يمكنك أن تساعد نفسك بتغيير أسلوب حياتك، ومارس الرياضة بانتظام، لزيادة معدل حرق الدهون وتقوية العظام وتحسين صحة القلب والأوعية الدموية".

وأثبتت دراسات سابقة أن عدد الأشخاص الذين يعانون من السمنة في ازدياد مستمر، بسبب تغيّر أنماط الحياة والعادات الغذائية، بالإضافة إلى زيادة استهلاك الدهون والسكريات، والنشويات.

وتشير آخر إحصائيات منظمة الصحة العالمية، إلى أن نحو مليار ونصف مليار من البالغين يعانون من فرط الوزن على مستوى العالم، كما أن 3 مليون طفل دون سن الخامسة كانوا يعانون من فرط الوزن في عام 2010. وعن فوائد الرياضة، تنصح المنظمة الأطفال والشباب بممارسة التمارين لمدة ساعة على الأقل يوميًا، بالإضافة إلى تخصيص الجزء الأكبر من النشاط البدني اليومي للألعاب التي تتم ممارستها في الهواء الطلق.

وأشارت المنظمة إلى أن ممارسة النشاط البدني تساعد الشباب على نمو العظام والعضلات والمفاصل والقلب والرئتين بطريقة صحية، بالإضافة إلى الحفاظ على وزن مثالي للجسم.

> ممارسة النشاط البدني تساعد الشباب على نمو العظام والعضلات والمفاصل والقلب والرئتين بطريقة صحية

تغييب المرأة عن عالم البرمجيات عائد إلى توجهات قائدات العالم الرقمي

العربيات يتمتعن بمهارة عالية في استخدام الإنترنت ويجهلن الـ«سايبر فيمنزم»

عربيات صعدن سلم المجد في عالم المال والأعمال

ترجح بعض تفاصيل المعركة النسوية في كواليس السايبر وقوف مالكي الشركات الرقمية العملاقة الحديثة (غوغل، فيسبوك، مايكروسوفت، ياهو، بنغ) ضد المشاركة النسوية في النشاط السايبري لأسباب جندرية محضة. وأمام استماتة المرأة الغربية في المطالبة بحقها في المشاركة الفعلية في السايبر تبدو الحركات النسوية العربية جاهلة بـ"سايبر فيمنزم" ومقتصرة على الأنشطة المتعلقة بمواقع التواصل الاجتماعي. وعلى الرغم من أن هذا الموضوع ما زال متفاعلا في العالم، إلا أنه غائب عن العالم العربي بسبب ضعف الحركات النسوية فيه، وانعدام المشاركة النسوية في عالم السايبر.

ملهم الملائكة
كاتب عراقي

❏ إقصاء المرأة عن عالم السايبر أمر متداول إعلاميا اليوم، ورغم أنّ هذا لا يجري منهجيا، ولا توجد معطيات نهائية ملموسة تعززه، إلا أنّ الخطاب الأميركي الشائع بين الناشطات النسويات في الألفية الثالثة يؤكد ذلك.

بات الحديث عن حرية المرأة وحقها في العمل والحصول على أجرٍ مساوٍ لأجر الرجل من بديهيات المساواة التي أنتشرت في النصف الثاني من القرن العشرين وصولا إلى الألفية الثالثة، ولم يعد الموضوع أسبقية تتسابق على إعلانها ومتابعتها منظمات المجتمع المدني في أنحاء العالم. فبحث المرأة عن حريتها اليوم تغلغل في عالم الرقميات واللوغارتمات الإلكترونية، فإحصاءات المعنيات بمتابعة دور المرأة في عالم الإنتاج تؤكد تدني مستوى المشاركة النسوية في عالم برمجيات وتقنيات السايبر، وانخفاض نسبة النسوة كخبيرات في عالم السايبر إلى 7 بالمئة، وهنّ يعزين ذلك إلى توجهات مقصودة من قائدات العالم الرقمي الحديث، فالحركة النسوية اليسارية تشنّ حربا ضروسا على ماريسا مايير المديرة التنفيذية لشركة ياهو، وتتهمها بتعمد إقصاء النساء في مفاصل المشروع العملاق، علما أن ياهو قد بيعت واشترى أصولها كارتل فيرزيون.

في هذا الاتجاه أعادت صحيفة الغارديان البريطانية التأكيد على أنّ مؤسسات وادي السليكون والهاي تيك والسايبر عبر العالم تمارس سياسة التمييز والتفرقة بشأن تشغيل النساء، متّهمة على وجه الخصوص شركات تويتر وفيسبوك ومايكروسوفت بتشغيل الرجال بنسب أكبر وخاصة في المواقع القيادية، بشكل مقصود.

لكن اللافت للنظر أنّ دعاوى عدة رفعت على شركة ياهو بالخصوص وآخرها في الأول من فبراير عام 2015 قدمت إلى محكمة المقاطعات الأميركية متهمة الشركة "بممارسة إقصاء متعمد على أساس الجنس في التوظيف والتشغيل ضد الذكور"!، وورد اسم جورج أندرسون أحد رؤساء تحرير صفحة ياهو بتعمد تفضيل الإناث في التعيين وإقصاء الرجال حتى إذا قدموا مهارات متفوّقة.

وعلى كل حال فقد طرد أندرسون من وظيفته نهاية عام 2014، وربما قلّل ذلك من الاتهامات الموجهة للشركة بتفضيل النساء في التعيين!

التناقض المثير للانتباه والدهشة، أنّ الناشطات النسويات اليساريات خاصة حانقات على شيرلي ساندبيرغ المديرة العاملة لشركة فيسبوك، وعلى ماريسا مايير المديرة التنفيذية لشركة ياهو باعتبار أنّ نسبة تشغيل النساء في المؤسستين لا تتجاوز 47 بالمئة! ولا أحد يستطيع الجزم هنا حول سبب حنق الناشطات النسويات في هذا الاتجاه إذا كان هذا الرقم صحيحا.

الكلام عن التفرقة في تعيين النساء وتفضيل الرجال عليهن يدور في حلقات الناشطات النسويات، ويعزوه كثيرون إلى التنافس الشخصي بين الناشطات وليس إلى حقائق الأرض، فالمؤسسات الكبرى اليوم لا تبدو مهتمة قطّ بكون المتقدم للعمل امرأة أو رجلا، لكن قوانين حماية تشغيل المرأة هي التي خلقت صعوبات جمة في تشغيلهن. فالمرأة تأخذ إجازة أثناء الحمل إذا أيّد الطبيب ضعف ظهرها وحاجتها إلى الرقاد، ثم تنال إجازة ولادة وأمومة مدفوعة الأجر لمدة تصل إلى سنة، ومدفوعة نصف الأجر لمدة تصل إلى سنتين، وهذا سبب لتردد أيّ شركة أو مؤسسة في تشغيل النساء.

ألمانيا وجدت حلا توفيقيا بهذا الاتجاه، فباتت تدفع أجرا لإجازة أبوّة للرجال، وبهذا سيتحتم على الشركات والمؤسسات أن تواجه قضية الأمومة والأبوة بالنسبة إلى الحقوق بنفس القدر (مع فارق أنّ الرجل لا يستحق إجازة ولادة وحمل!).

تاريخ هذا الربط بين تشغيل النساء وبين نشاط مؤسسات العالم الرقمي يرتبط بانطلاق الحركة النسوية السايبرية، ومؤتمرها الدولي الأول في كاسل بألمانيا عام 1997. وهناك دار النقاش بشكل مستمر حول التسميات والتعاريف، وتركز أغلبه حول ضرورة طرح تعريف النشاط النسوي السايبري في عالم التداول.

المجتمعون سعوا لاستثمار فرصة انعقاد التجمع لمناقشة قضية وصفوها بأنها تخضع لتناقضات عصرية تتعلق بمقاربة موضوع النشاط النسوي أون لاين، ما يؤكد -حسب وجهة نظرهم- ضرورة خلق سياسة نسوية سايبرية يجب تطبيقها على النات.

لكن بحلول الألفية الثالثة وما رافقها من انفجار معرفي في عالم السايبر وتناقل المعلومات والتواصل الاجتماعي المتسارع وأشكاله اللامتناهية، لم يعد أحد ينظر بجدية إلى قضية سياسة نسوية سايبرية.

الأسئلة التي تدور اليوم في عالم السايبر باعثها مواقف فردية من مارك زوكربيرغ وباقي عمالقة السياسة السايبرية الرقمية. فهل يقف مالكو الشركات الرقمية العملاقة الحديثة (غوغل، فيسبوك، مايكروسوفت، ياهو، بنغ) فعلا ضد المشاركة النسوية في النشاط السايبري لأسباب جندرية محضة؟ لا سبيل إلى إجابة لهذا السؤال بشكل قطعي، لأنّ معطيات التوظيف والنسب المتعلقة بها سرية ولا يستطيع أحد الوصول إليها.

لاوري بيني الناشطة الأميركية الشابة كتبت عما أسمته بـ"سايبرسكسيزم" في كتابها الوردي الموسوم "أشياء مسكوت عنها" واسع الانتشار في الولايات المتحدة الأميركية وإلى حدّ ما في أوروبا، "أحد أهم الأشياء التي ينبغي فهمها عن سايبرسكسيزم أنها تنبع من مكان الألم، ومن مكان الخوف والأذى لتترجم إلى عدم فهم عنيف يتخذ شكلا شخصيا إلى حدّ كبير. وبالطبع، فليس من مسؤولية المضطَهدين -بفتح الطاء- أن يبعثوا الراحة في نفوس مضطهديهم -بكسر الطاء-. لكن التفهم العاطفي هنا أداة مهمة لفهم الوضع وطرحه على الملأ". لكن هذا الكلام إذا وضع تحت منظار النقد والتقييم يفتقد إلى معطيات، ويمكن اعتباره مجرّد هواجس عاطفية غير ناضجة وغير مبنية على وقائع. وتوجز الناشطة الأميركية الشابة خلاصة رؤيتها بهذا الخصوص بالقول "جزء من المشكلة قائم على هاجس أنّ البنات أقل ذكاء من الأولاد، ولم يعد لائقا إعلان ذلك بصوت عال منذ عقود، لكنّه محسوس ضمنا في التبريرات (التي تقدّمها الشركات والمؤسسات) لشرح سبب انخفاض نسبة النساء في ميادين هاي تك (سايبر) والسياسة والبزنس، وفي المستويات العليا من الإعداد الأكاديمي" وبعد أن تشرح رؤى يغلب عليها الإحساس والعاطفة تخلص لاوري بيني إلى القول إنّ الرجال يريدون تعميم اعتقاد طالما كان سائدا عبر القرون ومفاده أنّ "النساء لا يصلن إلى مواقع القمة لأنهنّ ببساطة غير مؤهلات ولا يملكن ما يكفي من الذكاء والالتزام للوصول إليها".

لكن هذا الجدل الذي يبدو مترفا، وجد له ما يصدقه على الأرض، فقد تشكّل منذ نحو عقد "حزب القراصنة" الداعي إلى حرية الرأي في العالم الرقمي، والداعي إلى قبول سياسات الشباب والناشطين في العالم الرقمي كجزء من عالم السياسة. فأغلب الناشطات النسويات السيبريات عبر العالم انخرطن للعمل في صفوف هذا الحزب.

الحزب الذي وصفه البعض في البداية (2006) بأنه "فقاعة إلكترونية شبابية مثل ألعاب الأتاري في القرن الماضي"، بات اليوم ممثلا في البرلمان الأوروبي، وفي برلمانات السويد وألمانيا والنمسا وأيسلندا والتشيك ولوكسمبورغ.

وكثير من الناخبين الأوروبيين يدلون بأصواتهم بجدّ لصالحه، لكن هل يدعم هذا الحضور السياسي القوي قضية النساء السايبريات؟ وهذا سؤال لا يزال رهينا بالتطورات. فهل توجد مشكلة تشغيل سايبري للنسوة في العالم العربي؟

34
بالمئة من العربيات يقضين ما لا يقل عن 10 ساعات أسبوعيا في استخدام الإنترنت

بعيدا عن عالم النساء السايبريات، لا يزال الحديث في العالم العربي يجري حول نشاط المرأة في استخدام الإنترنت وحضورها على شبكات التواصل الاجتماعي، ولم يدخل بعد حيّز الجدل في أروقة العمل والتشغيل والمساواة في فرص العمل.

وأشار موقع "أراب ومين أند بزنس" المعني بمتابعة عمالة المرأة ونشاطها في عالم النات إلى أنّ دراسة حديثة قد كشفت تمتّع المرأة العربية بمهارة عالية في استخدام الإنترنت، حيث أن 71 بالمئة من النساء اللواتي شملهن الاستطلاع منتسبات إلى إحدى الشبكات الاجتماعية على الإنترنت، وتتواصل 66 بالمئة منهن يوميا مع أصدقائهن من خلاله.

بينما تمتلك 83 بالمئة منهن خدمة إنترنت في منازلهن، وتقضي 34 بالمئة منهن ما لا يقل عن 10 ساعات أسبوعيا في استخدام شبكة الإنترنت، بينما تقوم 45 بالمئة منهن بقراءة المقالات والمجلات الرقمية. لكن النشاط العملي لسيّدات الأعمال العربيات والمعنيات بقضايا السايبر خصوصا يكاد يقتصر على بضعة أسماء منها: زويا صقر، وهي إعلامية لبنانية، أطلقت موقع "نواعم" الذي حظي بشعبية كبيرة. ثم افتتحت موقعين آخرين.

وتكرارا لتجربتها الإعلامية الناجحة أطلقت oln.tv، وهو قناة تلفزيونية عبر الإنترنت تعرض باللغة العربية فيديوهات حصرية لمواضيع تبدأ من الأزياء، مرورا باللياقة ووصولا إلى السيارات.

كذلك نجد جمانة حداد وهي مسؤولة عن الصفحة الثقافية في جريدة النهار اللبنانية، وأستاذة في الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت، وهي ناشطة في مجال حقوق المرأة ومؤسسة مجلة "جسد" المتخصصة في آداب الجسد وعلومه وفنونه.

إضافة إلى تالا السمّان، وقد عرفت في بريطانيا بكونها رئيسة تحرير myfashdiary.com، وما لبثت أن نالت اهتمام وسائل الإعلام الدولية حين شرعت في المساهمة بالتحرير والكتابة في صحيفة الغارديان، وهوفينغتون بوست.

الحديث في العالم العربي لا يزال يجري حول نشاط المرأة في استخدام الإنترنت وحضورها على شبكات التواصل الاجتماعي، ولم يدخل بعد حيز الجدل حول مشكلة تشغيل سايبري للعربيات

العلامات التجارية الشهيرة شغف للبنات وأرق للآباء والأمهات

الصراع بين طبقات المجتمع وراء «السفه الشرائي» والتبضع المفرط

تحوّل اقتناء السلع ذات العلامات التجارية العالمية الشهيرة باهظة الثمن في هذه الأيام إلى"هوس" وثقافة منتشرة بين طلاب وطالبات المدارس في الكثير من الدول العربية، اعتقادا منهم بأنها ترفع مكانتهم الاجتماعية، وتزيد احترام الآخرين لهم، بل أصبحت "الماركات" مجالا للمباهاة والتنافس، حتى بات الآباء والأمهات يجاهرون بالشكوى.

شيرين الديدامونى
كاتبة من مصر

❏ قبل بداية العام الدراسي بأيام، وجهت إحدى مديرات مدارس اللغات الشهيرة بالقاهرة للبنات، رسالة إلى أولياء أمور الطالبات، قالت فيها "ساعدوني لنعلم بناتنا، إننا عندما نختار في حياتنا لا داعي للماركات المشهورة، في الحقائب والأحذية، وتعالوا نشتري المعقول، وليس ضروريا أن 'تتكلم' الحقائب أو 'تنوّر' الأحذية، أو أن تكون على الأدوات صور للمشاهير، فهناك من لا يستطيعون شراء تلك الماركات، و'سينكّدون' على أهلهم، بل وسيمتلئون بالحقد والحسد".

الرسالة التي وجهتها مديرة المدرسة سلوى جويف حملت بين ثناياها الكثير من المعاني، ولاقت ترحيبا شديدا من أولياء الأمور، خاصة بعد الارتفاع الصارخ في أسعار المستلزمات المدرسية، مثل الأقلام والحقائب المستوردة، بسبب ارتفاع سعر الدولار مقابل الجنيه المصري، وأشارت تعليقاتهم إلى أن أسعار "الماركات" العالمية مرتفعة جداً، ولا تتناسب مع الأوضاع المادية الحالية للكثير من الأسر.

لكن الصعوبة كانت في كيفية مواجهة إصرار وحرص بناتهن على الشراء، أسوة بزميلاتهن في المدرسة، اللاتي يتباهين مع كل موسم دراسي جديد بما اشترينه من حقائب مدرسية وملابس وأدوات.

نسبة كبيرة من الطلاب والطالبات لديهم حسابات خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، ويتبارون من خلالها في نشر صور عن حصيلة تسوّقهم من تلك الماركات، ما يثير غيرة الآخرين، ويضغطون على الآباء للحصول على المثل.

المشكلة أن الأجيال الجديدة لديها اقتناع تام بأن "الماركات" الأصلية عنوان لشخصيتهم، وجواز سفرهم للمرور بين الناس، وكأنّ قيمة الإنسان تحدّد بـ"الماركة" التي يرتديها، وصارت معايير التقييم

> الأجيال الجديدة لديها اقتناع تام بأن «الماركات» الأصلية عنوان لشخصيتهم، وجواز سفرهم للمرور بين الناس، وكأن قيمة الإنسان تحدد بـ«الماركة» التي يرتديها، وصارت معايير التقييم مرتبطة بالملابس والحقائب والأحذية

الطالبات هن الأكثر ميلا للتباهي

مرتبطة بالملابس والحقائب والأحذية، وشاع المثل "قل لي ماذا ترتدي أقل لك من أنت".

أكدت آمال آسر (طالبة بمدرسة لغات) أنها تلتزم بتوجهات المدرسة بشأن السلوكيات الإيجابية، إلا أنها ترى أن شراء الأنواع الفاخرة من المستلزمات الدراسية لا يتنافى مع تلك السلوكيات، فجميع صديقاتها يشتري الحقائب والأحذية ذات الماركات العالمية، حيث تتميز بمواصفات عالية الجودة، وهي مرتفعة السعر لأنها الأفضل من ناحية الألوان والتصاميم، وتدوم لفترة أطول من تلك الأخرى المحلية.

وذكرت آمال لـ"العرب"، أنها لا تقبل أن يكون مظهرها أقل منهنّ، فحتى لو كانت "الماركات" مكلفة ماديا، غير أن النظرة السلبية تجاه أيّ طالبة لا تحمل حقيبة مدرسية من ذات المستوى، أو لا ترتدي حذاء غالي السعر، تكون أكثر تكلفة معنويا ونفسيا.

وشهدت الفترة التي سبقت دخول المدارس وجود الإعلانات التجارية في الشوارع وعلى أغلفة المجلات وبعض وسائل الإعلام، التي تشجّع على شراء الماركات العالمية، مثل "ديزني وأديداس، ونايك وبوما.. وغيرها"، لحقائب وأحذية وملابس.

لم تسلم المستلزمات الدراسية من الأمر، حيث حرص الطلاب على شراء ماركات عالمية من الأقلام وألوان الرسم والأدوات المدرسية، التي تبلغ قيمتها أضعاف أسعار الأنواع الأخرى، ومنها الحقائب التي يصل سعر الواحدة منها إلى أكثر من ألف جنيه (نحو 100 دولار).

كما أن الألوان الأصلية يصل سعر العلبة منها إلى 50 دولارا، بينما الألوان العادية لا يتجاوز سعرها الـ10 دولارات فقط، ويتكالب الطلاب على شراء أنواع مرتفعة الثمن من الدفاتر، يصل سعر الواحد إلى أكثر من 20 دولارا، بينما لا يتجاوز سعر العادي منها 3 دولارات.

وأكد متخصصون في مراكز تأهيل الطفل لـ"العرب" أن ظاهرة "السفه الشرائي" والتسوق غير المسؤول، والذي لا يتناسب مع الدخل والحالة الاجتماعية والاقتصادية للفرد، سببه مشاكل وعقد نفسية لدى الطلاب، كونهم في صراع مع طبقات المجتمع الراقي، ومع أنفسهم. ويحاول الطلاب التغلب على ذلك بالاعتماد على المظاهر لإثبات الذات، واقتناء ماركات عالمية، للتباهي وحبّ الظهور ولفت الأنظار، ولا يهمّهم، إذا تسبب شراء تلك المقتنيات في أزمات مالية لذويهم.

على جانب آخر، هناك من تربّي منذ الصغر على ارتداء الماركات واقتنائها، وبالنسبة إليهم، فإن هذا أمر طبيعي ولا غبار عليه، لكن المشكلة عند استقلالهم عن الأهل، وتغيّر ظروف حياتهم المادية، وقتها يكتشفون مدى غلاء الماركات، فيضطرون للتخلي عن التعلّق بها، والاكتفاء بما هو مُقلّد، ما يولّد لديهم مشكلات نفسية مع الذات. وترى سميرة عبدالخالق مديرة مدرسة بمدينة ميت غمر (محافظة الدقهلية-شمال القاهرة) أن القضية لم تتحول في مدرستها إلى حد الظاهرة، والممارسات أغلبها من الطالبات، ولا تنتشر وسط البنين.

وأضافت لـ"العرب" أن الطالبات هنّ الأكثر ميلا للتباهي بشراء أغلى المستلزمات الدراسية، مشددة على أن استخدام الطالبات للماركات والأشياء الثمينة، من شأنه أن يحدث نوعا من الغيرة، فمستويات الطلاب مختلفة، وهناك من لا يستطيع شراء الماركات، ما يسبب الحقد بين الطلاب، وربما يصل الأمر إلى أن يلجأ بعضهن للكذب والحديث عمّا لا يملكن، وهذا السلوك لا يليق بالأخلاقيات التربوية.

ونبهت إلى أن الإدارة تتواصل مع أولياء الأمور من خلال الرسائل النصية، وتوزيع المنشورات وصفحات التواصل الاجتماعي، للتصدي لكافة المظاهر التي يمكن أن تعوق العملية التعليمية، فالمدرسة لها دور كبير في مكافحة هذه الأمور عبر الإجراءات الإدارية، وإلزام الطالبات بتوحيد الأشياء، بداية من الزيّ والحذاء والحقائب وحتى الأدوات، كي يكون هناك تقارب بين الطالبات وعدم التمييز بينهن.

وأضافت أنه ليس من الممكن إعفاء الأهالي من تمسك أبنائهم بشراء الماركات والتبضع المفرط، فطبيعة إنفاق الوالدين تشكّل الفكر الاستهلاكي لدى الأبناء، والعديد من الأهالي ساهم في تعزيز هذا النوع من الشراء عند الأبناء بسبب غياب الثقافة الاستهلاكية السليمة، فبعض الأسر تسعى إلى تأكيد وضعها الاجتماعي ومكانتها من خلال ما تقتنيه من ماركات.

وقال محمد عبدالواحد، أستاذ الطب النفسي بالقاهرة لـ"العرب"، إن السلوك الاستهلاكي عند الأبناء انعكاس لما يتعلّمونه داخل الأسر، وتعزز "ثقافة التميز هذا النوع من الشراء، فالبعض عند اقتناء ماركة شهيرة يشعر بتوازن نفسي مصطنع، يكسبه إحساسا بالتميز ومساواة الآخرين من الطبقات المخملية.

ولفت إلى أن شعور الطالب الفقير بالنبذ الاجتماعي، بسبب ما يرتديه، يقف وراء اضطراره إلى تغيير جلده في بعض الأحيان، وشراء المستلزمات المقلّدة، حتى ينال شهادة الرضا من المحيطين به.

غير أن إرضاء الناس جميعا غاية لا تُدرك، لذلك من الضروري غرس القيم التي تحدد اتجاهات الأبناء، ومساعدتهم لتأكيد ذواتهم عن طريق مكتسباتهم المعنوية، وليس عن طريق المظاهر المادية، لأن جذب نظر الآخرين لا يكون بالماركات بل بالأخلاقيات، وأكثر الناس مبالغة في اقتناء الأشياء غالية الثمن، ربما كانوا من أكثر الناس عيبا ونقصا.

طبق اليوم

الفاصوليا البيضاء باللحم

* **المقادير:**
- 300 غرام فاصوليا بيضاء.
- 3 ملاعق كبيرة زيت ذرة.
- 500 غرام لحم بالعظم مقطع.
- 2 حبات كبيرة طماطم مكعبات.
- حبة كبيرة بصل مكعبات.
- 4 فصوص ثوم أنصاف.
- 2 أكوب عصير طماطم.
- ورق غار.
- 2 أكواب مرق لحم أو ماء.
- ملعقة صغيرة ملح.
- ربع ملعقة صغيرة فلفل أسود.
- كوب بقسماط.
- 3 ملاعق كبيرة جبن رومي أو بارميزان.

* **طريقة الإعداد:**
- في طبق واسع توضع الفاصوليا وتغسل جيداً ثم تغمر الفاصوليا بالماء وتترك لمدة ليلة كاملة.
- في قدر واسع توضع الفاصوليا مع قليل من البيكربونات، ثم يوضع القدر على نار متوسطة إلى أن تنضج الفاصوليا.
- في قدر متوسط الحجم يسخن الزيت، ويضاف اللحم ويقلب باستمرار إلى أن يتغيّر لونه. ويضاف البصل والثوم ويقلبان قليلاً، ثم تضاف الطماطم.
- يضاف الملح والفلفل وورق الغار وتقلب المكونات قليلا.
- يضاف المرق وعصير الطماطم وتقلب المكونات لتختلط جيداً.
- تخفف النار ويغطى القدر ويترك اللحم يطهى لمدة ساعة أو إلى أن ينضج.
- يسكب خليط اللحم في طبق الفرن وتضاف إليه الفاصوليا المسلوقة.
- يوزع البقسماط على السطح وفوقه يوزع الجبن.
- يدخل الطبق إلى الفرن لمدة 10 دقائق إلى أن يحمر.

موضة

النجوم تتلألأ في أزياء إيلي صعب

❏ "شرارة الأناقة" هو العنوان الذي اختاره إيلي صعب لمجموعته الجديدة، وتجلّت هذه الشرارة في مئات النجمات التي زيّنت الأزياء والإكسسوارات، وتجسّدت الأناقة في فساتين انسيابية رشيقة، رافقتها تداخلات هندسيّة متجددة، وقصّات أنثويّة جذّابة تضيف حريّة إلى الحركة.

ووصف خبراء الموضة العرض بحفلة ديسكو صاخبة بالأضواء والألوان أقامها المصمم إيلي صعب خلال عرضه للأزياء الجاهزة لربيع وصيف 2017 ضمن فعاليات أسبوع باريس للموضة، فقد أعادت ذاكرة الحاضرين إلى أجواء حفلات سبعينات القرن الماضي حيث بريق النجوم ولمعان الترتر يزيّنان الإطلالات بلمسات مشرقة.

وبدت امرأة صعب في هذه المجموعة حرّة، قويّة، ومنطلقة بكلّ ثقة. أزياؤها أشبه بثورة متأججة من الألق والرونق تمزج بين خفّة أناقة الصيف والفخامة المسرفة.

غلبت ألوان "التكنو" المتعددة، والأسود، والذهبي، والأبيض اللؤلؤي على معظم إطلالاتها التي تمّ تنفيذها بخامات التول، والحرير، والشيفون، والدانتيل، واللوريكس، والجلد المشغول.

وتمّ إطلاق المجموعة الأولى من النظارات الشمسيّة التي تحمل اسم الدار، أما حقيبة "Le31" الأيقونية الشهيرة فقد لبست الجلد المنقوش وتزيّنت بالنجوم.

الزواج في تاريخ مميز لا يحمي الأزواج من الانفصال

❏ **واشنطن** – أثبتت دراسة أميركية حديثة أن الأزواج الذين يختارون تواريخ مميزة كموعد لزفافهم هم الأكثر عرضة للطلاق عن الذين يتزوجون في تواريخ عادية، موضحة أن الأزواج الذين يختارون مواعيد عادية يملكون صفات مشتركة أكبر، فالأمر هنا لا يتعلق بالتاريخ فقط إنما بطبيعة الاختيارات التي تكشف عن تباعد شخصية الزوجين.

وتوصّل باحثون من جامعة ملبورن الأميركية إلى أن التواريخ على شاكلة 14 فبراير تاريخ عيد الحب، و 9/ 9/ 99، و1 /2 /03، وغيرها من تواريخ مميزة في حياة المقبلين على الزواج، تتزايد فيها حالات الزواج أكثر بـ5 مرات من التواريخ العادية.

وكشفت بيانات في الفترة من 1995 حتى 2013، أن يوم عيد الحب كان في المرتبة التاسعة من حيث أكثر الأيام شعبية في عقد القران، وأن نحو 27 ألف شخص تزوجوا في هذا التاريخ منذ 19 عاما.

وأوضح الباحثون القائمون على الدراسة أن العديد من العوامل تتضافر كمسببات للطلاق، لكن يأتي في مقدمتها اختيار موعد الزفاف. وأفادت الدراسة أن الأزواج الذين يعقدون قرانهم في مواعيد عادية أكثر توافقا في علاقاتهم كما يتشابهون في الخصائص، من أولئك الذين يتزوجون في مواعيد مميزة، والذين يزيدون في اختلافاتهم، حيث أشارت إلى أن الذين يختارون مواعيد مميزة بينهم اختلاف أكبر في الخصائص ودرجة التفاهم، وهذا الاختلاف هو الذي يفسر تعرض علاقاتهم لمخاطر أكبر. وجاء في الدراسة أن الأزواج الذين تزوّجوا في مواعيد خاصة، كان معظم مستواهم التعليمي وأعمارهم أقل من هؤلاء الذين اختاروا مواعيد عادية.

الأزواج الذين يعقدون قرانهم في مواعيد عادية أكثر توافقا

كما أن النساء اللاتي تزوجن في يوم عيد الحب كانوا أكثر عرضة للحمل في يوم الزفاف أكثر من أولئك الذين تزوّجوا في مواعيد عادية.

وأفادت نتائج الدراسة أنه بحلول الذكرى الخامسة للزواج، انفصل 11 بالمئة من الأزواج الذين تزوّجوا في عيد الحب مقارنة بانفصال 8 بالمئة فقط من الذين تزوجوا في تواريخ عادية في الفترة نفسها. وبحلول الذكرى التاسعة للزواج، انفصل 21 بالمئة من الذين تزوّجوا في عيد الحب، و19 بالمئة من الذين تزوّجوا في تواريخ مميّزة، مقابل 16 بالمئة من الذين تزوّجوا في تواريخ عادية.

لاعبون كتبوا تاريخ الجزائر بالدماء من أم درمان إلى الماراكانا

المايسترو سفيان فيغولي يعود لتعزيز كتيبة الخضر

يفاضل المحللون الرياضيون بين العديد من اللاعبين الموهوبين في المنتخب الجزائري ولا يعطون تبريرات مقنعة حول جاهزية هذا وعناد ذاك وأفضلية الآخر على مستوى الفنيات، ولكنهم يجمعون على قدرة هائلة يتمتع بها اللاعب سفيان فيغولي الذي حفر اسمه مع المحاربين في كأس العالم الأخيرة بالبرازيل وطال غيابه بعدها، ولكنه يعود إلى سفينة الخضر في المواعيد الكبرى ومنها اللقاء المنتظر أمام أسود الكاميرون.

الحبيب مباركي
كاتب من تونس

❏ يجادلني خلاني ورفقاء دربي عند الحديث عن عالم الكرة المروع والمشوق في كل مرة نتحلق فيها سواء في المقهى أو في بعض الأوساط التي نتردد عليها للتنزه وتغيير الأماكن، فتراني منحازا من حيث لا أدري لترديد أسماء لامعة سطعت في نجم الكرة الجزائرية، رغم انتمائي إلى الحبيبة تونس، أمثال جمال مناد ورابح ماجر والأخضر البلومي وعبدالحفيظ تصفاوت وغيرهم، وصولا إلى الجيل الحديث الذي أمتعنا في السنوات الأخيرة وخصوصا في مرحلة التصفيات المؤهلة لكأس العالم البرازيل 2014، فمن منا لا يتذكر معركة "أم درمان الشهيرة" التي تألق فيها "الخضر" أمام خصم لا يقل أهمية ألا وهو منتخب الفراعنة، حيث عاش الجزائريون ذكرياتهم وعاد بهم التاريخ الذي توقف لعشرات السنين مع حلم معانقة المونديال والتواجد في البرازيل، وكان لهم ما أرادوا.

عناصر خلدت تاريخ الجزائر

فرحة الجزائريين لم تنته عند حدود الترشح والاكتفاء بالأدوار الأولى ككل المنتخبات العربية تقريبا، علما وأن المنتخب الجزائري كان الممثل الوحيد للعرب في كأس العالم بالبرازيل 2014، بل واصل المحاربون الإمتاع وشدوا الجماهير العربية إليهم بعد تحقيقهم لحلم ثان عجز الجيل الذهبي للجزائر عن تحقيقه ألا وهو المرور إلى الدور الثاني، ولكنهم غادروا مرفوعي الرؤوس أمام منتخب ألماني (بطل كأس العالم 2014) بعد أن عاش كابوسا من الجزائريين طيلة مباراة بشوطيها كاملين وقف فيهما زملاء عبدالمجيد بوقرة "الماجيك" وعنتر يحيى وسليماني وفيغولي، لينتزع الألمان فرصة ترشحهم في الشوط الإضافي بشق الأنفس ويبددوا حلم الجزائريين في الوصول إلى المربّع الذهبي.

وبالعودة إلى أبرز النجوم الذين تألقوا في تلك الفترة نجد أن سفيان فيغولي اسم لطالما تردد صداه في الأوساط الرياضية العربية منها والغربية، وشغل الجماهير فأحبته وعاشت لحظات من الخيال واستمتعت كثيرا على وقع لمساته للكرة وتوغلاته في عمق الخصم.

عرف عن المحارب الجزائري فيغولي، الذي لا يقدر أيّ لاعب على محاصرته، أنه سريع إلى الحد الذي يستطيع فيه التخلص من كل خصومه، فهو اللاعب المثالي لاحتياجات وفكر وتكتيك أيّ مدرب، لأنه يستطيع التألق والتوهج في الجهة اليمنى كجناح وفي نفس الوقت يستطيع اللعب كصانع ألعاب حر خاصة وأنه يمتلك بينيات ولمسات غير عادية خصوصا في التمرير.

كما أن فيغولي لاعب لا يركز فقط على اللعب في الهجوم، فهو دائم الحضور بفضل قوته البدنية المميزة لتقديم المساعدة في الواجب الدفاعي، وهذا أمر مهم لا تراه كثيرا عند لاعبي الشق الهجومي.

يذكر أن فيغولي مرّ بفترة صعبة جدا مؤخرا مع فريق فالنسيا قبل الانتقال إلى وستهام الإنكليزي، ولكن بالرغم من ذلك، فإن أرقامه تؤكد أنه لاعب لديه طابع مميز كصانع ألعاب، حيث يكفي أن نقول بأنه أكثر لاعب في الليغا صنعا للفرص وللأهداف مع نادي فالنسيا في آخر خمس مواسم برصيد 148 فرصة.

> فيغولي لاعب لا يركز فقط على اللعب في الهجوم، فهو دائم الحضور بفضل قوته البدنية المميزة لتقديم المساعدة في الواجب الدفاعي، وهذا أمر مهم لا تراه كثيرا عند لاعبي الشق الهجومي

أوضح اللاعب الدولي الجزائري سفيان فيغولي، لاعب نادي ويستهام الإنكليزي لكرة القدم، أن منتخب بلاده لا يخشى أحدا، في إشارة إلى المباراة أمام الكاميرون المقررة الأحد المقبل، ضمن الجولة الأولى من مباريات المجموعة الثالثة من التصفيات المؤهلة لنهائيات كأس العالم 2018. وقال فيغولي في تصريحات صحافية، على هامش المعسكر الإعدادي الذي يخوضه المنتخب الجزائري استعدادا لملاقاة الكاميرون "سعيد كالعادة بالعودة إلى صفوف المنتخب وملاقاة إخواني. سنعمل بجد هذا الأسبوع لتحضير مباراة مهمة جدا. المواجهة أمام الكاميرون متكافئة وستلعب على جزئيات والخبرة لها دور".

وأضاف "لا بد من الجاهزية التامة يوم المباراة وتقديم كل ما لدينا. الحضور الذهني مهمّ للغاية، يتعيّن علينا أن نكون متضامنين ومتفانين في العطاء، لأن المباريات على هذا المستوى تحسم ذهنيا وبفضل الخبرة أيضا". وجدد فيغولي، الذي يعود إلى المنتخب بعدما غاب عن مباراة ليسوتو في ختام التصفيات المؤهلة لنهائيات كأس أمم أفريقيا 2017، بداعي الإصابة، تأكيده على أن المنتخب الجزائري لا يخشى أحدا، وأنه يثق تماما في اللاعبين "المميزين" الذين يضمهم بين صفوفه.

يذكر أن مدرب منتخب الجزائر لكرة القدم الصربي ميلوفان رابيفاتش كان قد أعلن عن القائمة النهائية المكونة من 24 لاعبا لمواجهة الكاميرون يوم التاسع من أكتوبر ضمن الجولة الأولى من التصفيات الأفريقية المؤهلة إلى نهائيات مونديال 2018 في روسيا. وخلت التشكيلة من المفاجآت باستثناء استدعاء الحارس شمس الدين رحماني بدلا من عزالدين دوخة، فيما يبقى رايس مبولحي الحارس الأول في تشكيلة الجزائر.

سعادة بالعودة للخضر

أوقعت القرعة الجزائر في المجموعة الثانية "الحديدية" التي تضم أيضا نيجيريا وزامبيا إلى جانب الكاميرون. وحرص رابيفاتش على عدم التقليل من أهمية المنتخبات الأخرى، خصوصا الكاميرون التي لم يسبق للجزائر أن هزمتها. وقال في تصريحات نقلتها وكالة الأنباء الجزائرية "لم يسبق للجزائر أن هزمت الكاميرون، وآمل بأن تتغير الأمور معي وبأن ننجح في وضع حد للتفوق الكاميروني".

وأضاف "من الواضح أننا نعوّل على تحقيق الفوز، لكن هذا ليس بالأمر السهل في مواجهة منتخب كاميروني رائع نعرفه جيدا. سنستعد بأفضل طريقة لهذه المواجهة خصوصا وأن اللاعبين يعرفون ماذا أريد منهم على أرض الملعب".

وسيعتمد المدير الفني للمنتخب الجزائري على مجموعة من اللاعبين سيكون توزيعها على النحو التالي: في حراسة المرمى: رايس مبولحي (أنطاليا سبور التركي) وشمس الدين رحماني (مولودية بجاية) ومالك عسلة (شبيبة القبائل).

أما الدفاع فسيتكون من هشام بلقروي (الترجي التونسي) وليامين كادامورو (شيرفيت جنيف السويسري) وهواري فرحاني (شبيبة القبائل) وفوزي غلام (نابولي الإيطالي) ونصرالدين خوالد (اتحاد العاصمة) وكارل مجاني (ليغانيس الأسباني) ومهدي تاهرات (إنجيه الفرنسي) ومهدي سفان (رين الفرنسي) ومحمد خثير زيتي (وفاق سطيف). في حين سيكون محور الوسط معززا بمهدي عبيد (ديجون الفرنسي) ورياض بودبوز (مونبلييه الفرنسي) وياسين براهمي (بورتو البرتغالي) وسفيان فيغولي (وستهام الإنكليزي) وعدلان قديورة (واتفورد الإنكليزي) ووليد مسلوب (لوريان الفرنسي) وسفير تايدر (بولونيا الإيطالي). وسيعول في الهجوم على رشيد غزال (ليون الفرنسي) وسفيان هني (إندرلخت البلجيكي) ورياض محرز وإسلام سليماني (ليستر سيتي الإنكليزي) وهلال العربي سوداني (دينامو زغرب الكرواتي).

حكاية الدوري الفرنسي

يجمع المحللون والمهتمون بالشأن الكروي عموما على أن اللاعبين الجزائريين المتألقين حاليا في أوروبا كانوا قد عانوا الأمرّين في الدوري الفرنسي، ولولا مغادرتهم إلى فرق أخرى في أوروبا لما بزغ نجمهم، ومنهم نبيل بن طالب ورياض محرز وفوزي غلام وخاصة النجم المخضرم سفيان فيغولي، حيث غرق كل هؤلاء النجوم تقريبا في أندية مغمورة بفرنسا، وبالتأكيد فإن لاعبا مثل إسلام سليماني لو اختار نادي نانت الفرنسي الذي عرض عليه الانضمام إلى صفوفه على سبورتينغ لشبونة لما برز نجمه مطلقا، وتأتي صرخة فيغولي في "لاغازيت دي فانيك" لتعبّر بصراحة عمّا عاناه العديد من اللاعبين الجزائريين في فرنسا والذين يطلب منهم المستحيل، وأيّ خطأ ولو كان شكليا يرمي بهم في الجحيم، كما حدث للنجم فوزي غلام الذي وضعه سانت إتيان على مقاعد الاحتياط في نهائي كأس فرنسا الذي كان حلما بالنسبة إليه، وعندما فاز ناديه بالكأس احتفل برفع العلم الجزائري، فوجد نفسه مع الفريق الثاني لناديه، ولولا نابولي الذي أنقذه وفاز معه إلى حد الآن بكأس إيطاليا وكأس إيطاليا الممتازة، ولعب معه مرتين في أوروبا ليغ ولعب مع الخضر في بطولة كأس العالم الأخيرة، والجميع يعلم بأن غلام لو بقي في فرنسا، لما بلغ هذا المركز الذي قد يؤهله إلى اللعب مع العديد من الأندية من أمثال ريال مدريد وبرشلونة الأسبانيين.

وفي الحقيقة فإن حكاية الجزائريين مع الدوري الفرنسي تعود إلى فترة طويلة منذ جيل موسى صايب وعبدالحفيظ تصفاوت اللذين حصلا على لقب الدوري الفرنسي مع مدرب غير عنصري، هو غيرو الأب الروحي لنادي أوكسير، حيث لم ينعم الخضر باللعب في أندية فرنسية كبرى ولم يحصلوا على أيّ لقب كبير ما عدا كأس فرنسا، وربما لما كان لرشيد غزال أو عيسى ماندي أو رياض بودبوز أيّ شأن يذكر كرويا.

وبالعودة إلى الوراء قليلا، فحتى جيل الثمانينات من القرن الماضي يدرك جيدا هذا الأمر، لأن النجم رابح ماجر مثلا، الذي كان أحسن لاعب كرة قدم في العالم تقريبا، عندما فكر باللعب في الدوري الفرنسي وجد جميع الأبواب موصدة أمامه، فخاض تجربة مغمورة مع نادي باريس الثاني وبقي صعبا دخوله إلى بيت سان جرمان.

كما لعب صالح عصاد مع ميلوز في الدرجة الثانية وتاج بن ساولة مع لوهافر ومحمود قندوز مع مارتيغ، وبقيت كل الأندية الفرنسية الكبرى مغلقة أبوابها أمام الخضر، ولم يلعب عصاد سوى البعض من الدقائق فقط مع نادي باريس سان جرمان ولم يكن حينها الفريق الأول في فرنسا، وعلى الجانب الآخر كان بلوغ أيّ مدرب جزائري منصب مدير فني في ناد فرنسي ينشط في الدرجة الأولى من أكبر المستحيلات في تلك الفترة.

المشجعون في كل مكان

علاقة المشجعين الجزائريين بمنتخب بلادهم حتما لا يمكن وصفها بالعادية وأنها تنتهي بمجرد الخروج من الميدان بعد أيّ مباراة يخوضها المنتخب الجزائري، ولكن للجزائريين طقوسهم وعاداتهم في التشجيع، إذ أنهم مهووسون حدا لا يوصف بحبهم لبلادهم ولرفع علمها في كل المناسبات، ولنقل إنها عقيدة تربى عليها الجزائريون وزرعت فيهم إبان العشرية السوداء.

> سفيان مر بفترة صعبة جدا مؤخرا مع فريق فالنسيا الأسباني قبل الانتقال إلى وستهام الإنكليزي، لكن رغم ذلك فإن أرقامه تؤكد أنه لاعب لديه طابع مميز كصانع ألعاب

ويضحي غالبية الجزائريين بالغالي والنفيس من أجل توفير كل مستلزمات المشاهدة ومتابعة عروض أبطالهم في مختلف أنحاء العالم، ولكن حكاية حاملي الأعلام الجزائرية في مختلف ملاعب أوروبا في السنوات الأخيرة هي ظاهرة أخرى تقطع مع جميع عناصر الشك في مدى تغلغل حب العلم الوطني الجزائري بين مشجعيه وخصوصا للأسماء اللامعة وعلى رأسهم سفيان فيغولي ورياض محرز وإسلام سليماني وغيرهم.

وهذا ما قاله في حديث صحافي شاب جزائري يقطن في لندن يدعى عادل بولطيف، وهو من مواليد عاصمة الضباب ويشجع نادي توتنهام، بأنه صار يشجع ليستر من أجل اللاعب محرز، وبالرغم من أن مناصري ليستر لهم طريقة خاصة في التشجيع من دون رايات، حيث يجلسون على مقاعدهم وهم يصفقون بطريقة متميزة، ولكن هذا الجزائري كسر القاعدة بحمله لعلم بلاده الجزائر تتخلله أشرطة زرقاء لنادي ليستر خلال مباريات الفريق في الموسم الماضي.

وهذه المظاهر وغيرها توحي بما زرعه نجوم المنتخب الجزائري في قلوب كل جزائريي أوروبا، بدليل أن المباريات الودية التي لعبها الخضر منذ عهد كريم زياني إلى عهد سفيان فيغولي في مختلف البلدان الأوروبية، صارت حدثا كبيرا لم يمكن ليمرّ هكذا مرور الكرام، وأحدثت هذه المظاهر حالات طوارئ في العديد من البلدان ومنها أيرلندا وألمانيا وسويسرا التي احتضنت ملاعبها مباريات ودية للخضر قبل مونديالي جنوب أفريقيا 2010 والبرازيل 2014، حيث عجزت الملاعب عن استقبال الآلاف من المشجعين القادمين من كل بلدان أوروبا ومن فرنسا بالخصوص.

محارب من طينة خاصة

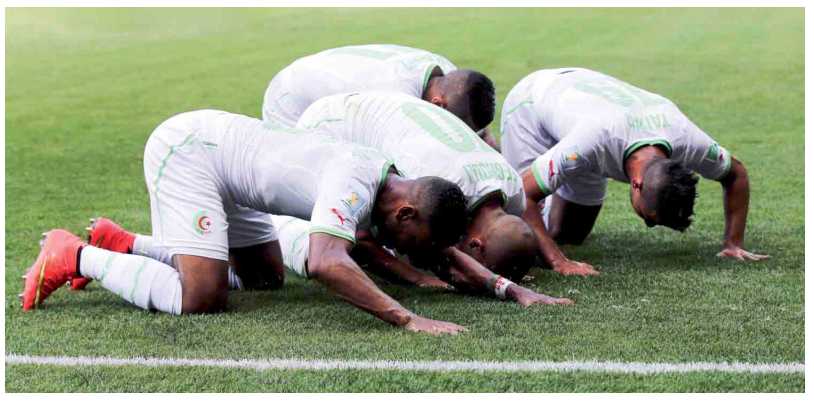

مرسيدس تسعى لحسم لقب الصانعين من بوابة اليابان

هاميلتون يتطلع لاستعادة طعم الانتصارات وروزبرغ يواصل تصدره

بعدما اضطر للخروج من السباق الماليزي الأسبوع الماضي بسبب عطل في السيارة، سيحبس البريطاني لويس هاميلتون وفريقه مرسيدس أنفاسهما لنحو ساعة ونصف الساعة الأحد، أملاً في اجتياز السباق الياباني بنجاح ودون أيّ مشاكل أو أعطال في السيارة.

❏ **سوزوكا (اليابان)** – ينطلق البريطاني لويس هاميلتون من المركز الثاني خلف زميله في فريق مرسيدس الألماني نيكو روزبرغ في سباق الأحد، ضمن منافسات بطولة العالم (الجائزة الكبرى) لسباقات سيارات فورمولا 1 باليابان.

وفيما تشتعل المنافسة بين روزبرغ وهاميلتون على لقب البطولة لفئة السائقين، يحلم فريقهما بحسم لقب الصانعين (الفرق) من خلال السباق الياباني بعدما أفلتت الفرصة من الفريق في السباق الماليزي.

وكان هاميلتون اضطر للخروج من السباق الماليزي الأحد الماضي، وذلك قبل 15 لفة من نهاية السباق بسبب عطل في محرك السيارة، علما بأنه كان في مقدمة السباق.

وسمح خروج هاملتون من السباق لزميله روزبرغ بإحراز لقب السباق وانتزاع صدارة الترتيب العام للبطولة هذا الموسم بفارق 23 نقطة أمام هاميلتون، ولكنه حرم مرسيدس من الحسم المبكر للقب البطولة على مستوى الفرق والذي سيصبح الثالث على التوالي للفريق.

ورغم ما حدث في السباق الماليزي، لا يزال هاميلتون متفائلا ويرى أن انطلاق زميله روزبرغ من المركز الأول الأحد، لا يعني بالضرورة فوزه بلقب السباق.

وقال هاميلتون "فيما يشتعل الصراع حاليا كما كان على مدار العام، أشعر بالفعل بأنه اختبار لإرادتي وروحي ولطبيعتي الشخصية من أجل العودة بقوة والمنافسة على اللقب، الأمر لا يتعلق بكيفية سقوطك وإنما بكيفية العودة"، وأضاف "لا تنسوا أنني حامل اللقب العالمي، سأكون على ما يرام".

> المنافسة تشتعل بين روزبرغ وهاميلتون على لقب البطولة لفئة السائقين، فيما يحلم فريقهما بحسم لقب الصانعين من خلال السباق الياباني، بعدما أفلتت الفرصة من الفريق في السباق الماليزي

وسيطر الانزعاج على مسؤولي مرسيدس لخروج هاميلتون صفر اليدين من رصيد النقاط لرابع سباق في الموسم الحالي بسبب مشاكل فنية.

وفي المقابل، يبدو روزبرغ بعيدا تماما عن الاستهانة بقدرات وإمكانيات هاميلتون وقدرته على المنافسة واستعادة صدارة الترتيب العام، خاصة وأن هاميلتون سبق له تعويض تأخره بفارق كبير في مواسم سابقة، وقال روزبرغ "أثق بأنه سيعود بقوة، إنه مقاتل".

ويطمح روزبرغ إلى الفوز بلقب السباق الياباني للمرة الأولى في تاريخ مشاركاته بالسباق، فيما يسعى هاميلتون للفوز به للعام الثالث على التوالي.

ويبدو سباق الأحد على مضمار سوزوكا البالغ طوله 5.907 كيلومتر فرصة جديدة أمام مرسيدس لحسم لقب الفرق مبكرا، وذلك قبل السباقات الأربعة التالية في البطولة.

وتفوق روزبرغ على زميله هاميلتون وتصدر التجربة الرسمية للسباق السبت، ليشهد السباق الرسمي الأحد انطلاق روزبرغ من المركز الأول ليكون السباق الثالث على التوالي الذي ينطلق فيه من هذا المركز.

وتصدر روزبرغ التجربة الرسمية السبت، قاطعا مسافة اللفة على مضمار سوزوكا في دقيقة واحدة و30.647 ثانية، ليكون السباق الثامن هذا الموسم ورقم 30 في مسيرته الرياضية الذي ينطلق فيه من المركز الأول.

واحتل هاميلتون المركز الثاني في التجربة الرسمية بفارق 0.013 ثانية عن روزبرغ، حيث قطع مسافة اللفة في دقيقة واحدة و30.660 ثانية.

وقدم روزبرغ أداء رائعا على مدار التجارب الحرة والرسمية للسباق الياباني، حيث تصدر جميع التجارب الحرة الثلاث الجمعة والسبت، قبل أن يتصدر التجربة الرسمية للسباق السبت.

ويدرك روزبرغ منذ الموسمين الماضيين أن الانطلاق من المركز الأول لا يعني الفوز باللقب ولا يضمنه. وقال هاميلتون "التاريخ أظهر أنك لا تحتاج لتكون في صدارة الانطلاق حتى تتوج بلقب السباق".

وأكد هاميلتون سعادته بالنتيجة التي حققها في التجارب، معربا عن أمله في استعادة الانتصارات بعدما حرمه عطل السيارة من الفوز بلقب السباق الماليزي، وقال هاميلتون إن روزبرغ قدم "عملا رائعا" حتى الآن على مضمار سوزوكا. ويطمح روزبرغ في مواصلة هذا العمل الرائع خلال السباق الرسمي الأحد، مع إدراكه التام لرغبة زميله هاميلتون في تعويض الإخفاق بالسباق الماليزي.

وحل الفنلندي كيمي رايكونن والألماني سيباستيان فيتيل سائقا فريق فيراري في المركزين الثالث والرابع بالتجربة الرسمية السبت، ولكن فيتيل سينطلق الأحد من المركز السابع بعد تنزيله ثلاثة مراكز كعقوبة من مراقبي السباق لتسببه في تصادم مع روزبرغ في المنعطف الأول بالسباق الماليزي.

ونتيجة لهذه العقوبة، ينطلق ماكس فيرستابن ودانيال ريتشاردو سائقا فريق ريد بول من المركزين الرابع والخامس، كما ينطلق سيرجيو بيريز سائق "فورس إنديا" من المركز السادس.

الصراع يحتد بين الزميلين اللدودين

مسيرة الألف ميل مع موستافي

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❏ منذ قرون خلت برز فيلسوف صيني حكيم يدعى لاو تسو، هذا الفيلسوف ترك إرثا إنسانيا عريقا وصار لدى أبناء موطنه ملهما وقدوة، فكلامه "لا يسقط إلى الأرض"، وكل العبارات التي تصدر عنه هي "درر"، أما أكثرها تأثيرا وخلودا هي تلك المقولة الشهيرة التي باتت شعارا ومبدأ لدى كل مجتهد مثابر وصابر.

لاو تسو قال "مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة"، قول خالد سار عليه الكثيرون وصار أفضل تعبير عمّن واجه الصعاب والمتاعب، لكنه في نهاية المطاف حقق هدفه ونال مراده.

ربما هذه الحكمة تنطبق على الكثير من اللاعبين البارعين والبارزين والناجحين في العالم، ومن بينهم لاعب رائع قد لا يعرفه الكثيرون، لأنه ليس من نجوم الصف الأول، لكنه سيكون له شأن كبير في القريب العاجل.

إنه المدافع الألماني لنادي أرسنال الإنكليزي شكودران موستافي الذي دخل حديقة النجوم من الباب الكبير، لكن بخطى واثقة وهادئة ودون ضجيج كبير، صار اليوم أحد أفضل المدافعين في العالم، وهو مصدر سعادة أرسين فينغر مدرب أرسنال الذي قال في حديثه عن اللاعب، إنه المدافع الذي أنتظر قدومه منذ زمان بعيد.

حكمة الفيلسوف الصيني الحكيم تنطبق بكل تفاصيلها ورموزها وتجلياتها على هذا اللاعب الألماني الخجول والمجتهد منذ نعومه أظافره.

موستافي الألباني الأصل اكتشف كنه كرة القدم وأحبها في نادي مغمور ومجهول، ففي سن مبكرة للغاية لم تكن الطريق مفروشة بالورود، حيث التحق بنادي روتنبورغ الألماني لتبدأ المسيرة الطويلة، عمل بجهد كبير وصبر طويلا، ثم برز فجأة مع هذا النادي بما أنه سجّل له العديد من الأهداف وكان أحد أفضل عناصر هذا النادي الناشط في بطولة الهواة.

سارت الأمور بشكل إيجابي في بداية رحلة الألف ميل، حيث حرص أن تكون خطوته الثانية ثابتة ومدروسة، لقد قرر موستافي المغمور أن يجري سلسة اختبارات مع بعض الأندية الألمانية العريقة مثل بايرن ميونيخ وفرانكفورت وفيردر بريمن وهامبورغ، وكانت النتائج رائعة ومميزة، لقد نجح في كل الاختبارات وكان قادرا على اللعب مع البايرن واختصار طريق الشهرة والنجاح.

بيد أن علامات حكمة لاو تسو ظهرت لديه مبكرا، حيث ارتأى عدم المجازفة وركوب الخطر، لأنه أدرك أنه قد يفشل مع الفريق البافاري وهو الطفل الخجول والمغمور، فقرر أن تكون خطوته التالية مع هامبورغ، ففي ذلك الفريق ستكون أعين المراقبين والملاحقين قليلة، لتتواصل المسيرة بخطى واثقة.

لم يعمّر موستافي طويلا في فريقه الألماني، بل خيّر أن يواصل الاعتماد على حكمة الفيلسوف الصيني بحذافيرها، والخطوة التالية هي خوض تجربة ثرية ومختلفة تماما خارج الديار الألمانية، فانتقل إلى دوري الأضواء والشهرة والعراقة، إنه الدوري الإنكليزي، لكن دخول عالم الشهرة يجب، وفق نظرية الحكيم، أن يكون دون وجع في الرأس ودون أي ضغط، فاختار اللعب مع نادي إيفرتون الذي لا يقارن من حيث الشعبية والشهرة مع بقية الفرق المعروفة في إنكلترا.

ورغم أن التجربة لم تكن ناجحة بشكل كبير بما أنه لم يحضَ العديد من المباريات مع الفريق الأول، إلاّ أن بعض الأطراف المؤثرة في النادي الإنكليزي حاولت الإبقاء عليه ومنحه الفرصة كاملة، لكن اللاعب الألماني أراد أن يطوّر مواهبه ويكتشف عوالم جديدة، ويختبر قدراته الدفاعية في دوري إيطالي قوي للغاية يستمد هذه القوة من الصلابة الدفاعية اللافتة.

كان له ما أراد ووقع لنادي سامبدوريا، لقد أراد أن تكون خطوته هذه محسوبة بدقة، فلم يختر فريقا ينافس على النزول أو فريقا ينافس على البطولات وتسلّط عليه الأضواء باستمرار، لقد أراد ببساطة أن يلعب باستمرار ودون توقف حتى يكون الاختبار مكتمل الشروط والأركان، وتكون الخطوة الجديدة في مسيرة الألف ميل موفقة.

نجح وبرع وانتزع الإعجاب وكان مثالا للمدافع الرصين إلى درجة أن البعض أطلق عليه اسم "الحكيم"، نجاح لافت كان جزاؤه الظهور عن جدارة ضمن منتخب ألمانيا الأول بعد أن لعب سابقا مع منتخبات الشباب، وهذه خطوة أخرى محسوبة ومدروسة من قبل الحكيم موستافي. وبما أن هذه المسيرة يجب أن تشمل أغلب الدوريات القوية في أوروبا، كانت وجهته التالية الدوري الأسباني المثير والشهير بوجود ناديي ريال مدريد وبرشلونة وأيضا فالنسيا الذي يبدو من الفرق القادرة على منح الفرصة والثقة المطلقة لموستافي، وكان له أيضا ما أراد بما أنه أصبح من العناصر الثابتة والركائز الدائمة في الفريق رغم المشاكل التي عانى منها فالنسيا من حيث الأداء والنتائج.

كان بشهادة الجميع سواء في أسبانيا أو ألمانيا مدافعا رائعا وصلبا، وكان دوما أحد أفضل لاعبي الفريق على امتداد موسمين قدم خلالهما الحكيم الألباني الأصل مستوى رائعا، الأمر الذي جعله يفكر في الخطوة الجديدة القادمة.

الخطوة جديدة، وهي ليست الأخيرة بلا شك، قادته مجددا إلى دوري إنكلترا الذي لم يحقق فيه خلال تجربته الأولى النجاح الساحق، لكن هذه المرة عاد أكثر قوة وخبرة وحكمة، عاد من بوابة "الغانرز أي أرسنال الذي استقبله بالورود.

"واثق الخطوة يمشي ملكا" هكذا كانت بداية المدافع الألماني مع أرسنال في موسمه الأول، حيث بات منذ يومه الأول لاعبا أساسيا ونجما من نجوم الفريق، والأمر المؤكد أن المبلغ الكبير الذي دفعه النادي للتعاقد معه، قد لا يساوي شيئا أمام عبقرية موستافي الذي جسد ببراعة وإتقان تام مقولة الفيلسوف الصيني لاو تسو.

مسيرة الألف ميل لن تنتهي قريبا، بما أن موستافي لم يتجاوز بعد الرابعة والعشرين ربيعا، فمن يدري أين ستكون الخطوة التالية؟ خاصة وأن أعتى الفرق الأوروبية بدأت تفكر في التعاقد مع الحكيم.

بعد عقدين.. فرنسا تثأر من بلغاريا برباعية

❏ **باريس** – قدمت فرنسا عرضا رائعا لتنحي جانبا واحدة من أكثر اللحظات المؤلمة في تاريخها الكروي وتفوز 4–1 على بلغاريا، الجمعة، ضمن المجموعة الأولى للتصفيات الأوروبية المؤهلة لنهائيات كأس العالم لكرة القدم روسيا 2018.

ولم تستضف فرنسا منافستها بلغاريا منذ أن جمعهما اللقاء صاحب الذكرى السيئة في نوفمبر 1993 ضمن تصفيات كأس العالم، عندما تلقت فرنسا هدفا قبل النهاية لتخسر 2–1 وهو ما أدّى لفشلها في بلوغ نهائيات كأس العالم 1994 بالولايات المتحدة.

وتراجع أصحاب الأرض ثانية على ملعب فرنسا، الجمعة، بعد أن تلقت شباكهم هدفا مبكرا من ركلة جزاء سجلها ميخائيل ألكسندروف في الدقيقة السادسة، إلاّ أنهم عدلوا تأخرهم من خلال السيطرة على منطقة خط الوسط واقتحام خط الدفاع الهش لبلغاريا.

ووضعت ثلاثة أهداف سجلها كيفن غاميرو وديميتري باييه وأنطوان غريزمان فرنسا في المقدمة بنتيجة 3–1 مع نهاية الشوط الأول.

وأكمل جامیرو، الذي احتفل بشكل لافت بهدفه الدولي الأول خلال خمس سنوات، الرباعية بتسجيله لهدفه الثاني في اللقاء في الدقيقة 59.

وتتقاسم فرنسا التي جمعت أربع نقاط من مباراتين، صدارة المجموعة إلى جانب هولندا والسويد، وتحتل بلغاريا المركز الرابع برصيد ثلاث نقاط.

وقال غريزمان "لقد كانت أمسية مثالية، تمكنا من قلب النتيجة لنفرض بعدها هيمنتنا على المباراة، أشعر بفخر شديد".

وكان التفاهم الواضح بين غاميرو وغريزمان أحد مفاتيح الفوز المقنع الذي حققته فرنسا الجمعة.

وقال غاميرو "لعب كلّ منا بطريقته وسارت الأمور على نحو جيد، نأمل أن يستمر الأمر على هذا النحو".

واستهل منتخب فرنسا وصيف بطل أوروبا 2016 مشواره في المجموعة الأولى من التصفيات بالتعادل السلبي مع روسيا البيضاء، وسيحل ضيفا على هولندا الاثنين، فيما ستحل بلغاريا، التي تحاول التأهل إلى نهائيات بطولة كبرى للمرة الأولى منذ بطولة أوروبا 2004، ضيفة على السويد.

ويتأهل إلى النهائيات مباشرة صاحب المركز الأول في كل من المجموعات التسع، فيما تلعب أفضل 8 منتخبات حلت في المركز الثاني الملحق الفاصل الذي تتأهل عنه 4 منتخبات ليصبح المجموع العام 13 منتخبا من القارة الأوروبية، إضافة إلى روسيا المضيفة.

انطلاقة جديدة للديوك

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

أردني يكسر الحواجز الاجتماعية بتصاميم تناسب الجنسين

قدم مصمم الأزياء الأردني الكندي رعد حوراني خلال عرض ضمن "أسبوع الموضة العربي" في دبي أزياء تناسب الجنسين للمرة الأولى في العالم العربي، في خطوة يهدف من خلالها إلى كسر الحواجز الاجتماعية على طريقته.

لا فرق بين ذكر وأنثى

❏ **دبي** – تشكل مجموعة مصمم الأزياء الأردني الكندي رعد حوراني لربيع/صيف 2017 التي قدمت في دبي ضمن "أسبوع الموضة العربي 2016"، مزيجا محدثا من تصاميمه السابقة التي قدمها لأول مرة في باريس سنة 2013، مع التركيز على ملابس "لا تبطل موضتها" مصممة منذ 10 سنوات عندما خاض رعد غمار هذا المجال الموجه للجنسين.

وكان رعد حوراني الذي يتمتع بصفة "ضيف عضو" في الغرفة النقابية للأزياء الراقية في باريس أول مصمم في العالم يقدم سنة 2013 مجموعة ملابس فاخرة موجهة للرجال والنساء في الوقت عينه.

وارتدى الرجال والنساء الذين قدموا مجموعته مساء الجمعة في دبي معاطف سميكة مربوطة بطرق مختلفة مع نظارات على أعينهم.

ويستذكر مصمم الأزياء البالغ من العمر 34 عاما "لم يكن الناس يفهمون واقع الأمر بداية وكانوا يسألونني أيّ الملابس مخصصة للنساء وأيّها للرجال، وعملت جاهدا خلال السنوات العشر الأخيرة لنقل رؤية محايدة لمفهوم الجنسين".

ويوضح أن المجموعة المقدمة الجمعة في دبي هي نسخة محدثة من المجموعات السابقة "في سياق مقاربة حديثة وأشكال جديدة"، وهي المرة الأولى التي يستخدم فيها حوراني، الذي يفضل التصاميم البسيطة، أقمشة فيها طيات.

ويعكس المصمم الشاب في أزيائه نظرته للحياة، كما يحلو له القول، وهي حياة يعيشها "بلا أيّ قيود مفروضة بسبب الجنس أو العرق أو العمر أو الجنسية".

ويسعى رعد حوراني إلى أن يقدم لزبائنه جزءا من هذه الحرية، مع تصميم ملابس موجهة للجنسين تتناسب مع الموضتين الرجالية والنسائية من خلال إضافة تفاصيل بسيطة مثل الحزام وربط القطعة بطريقة مختلفة.

ويؤكد حوراني بقوله "أحاول ابتكار تصاميم غرافيكية محايدة مع توفير خيارات متعددة لارتداء كل قطعة".

ويضيف "لا أعمل على أسلوب يقيد حرية الجنسين في ارتداء الملابس، فتصاميمي قابلة للتحول من حيث الأسلوب".

ويستخدم حوراني عادة القطن والحرير والنسيج الحريري في تصاميمه، لكنه لجأ هذه المرة في دبي إلى أقمشة صناعية أضاف إليها ألوانا فاقعة خلافا لعادته القاضية بالاكتفاء بالأبيض والأسود والرمادي والأزرق.

ويقر المصمم مبتسما "كان العرض أكثر مرحا هذه المرة"، مع عارضات غلفن "كالهدايا" للاحتفال بمرور 10 سنوات على خوضه هذا المجال.

ومع ذلك أتت ردود الفعل على مجموعته متباينة، وقد وصفها أحد المتفرجين بـ"الغريبة".

أما نورا، وهي فرنسية تعيش في دبي، فقد أثارت بعض القطع إعجابها باعتبار أن "هذه الصيحة ليست رائجة هنا في الشرق الأوسط، وفي الخليج العربي، وهي مميزة بعض الشيء، ولأجل استيعاب الأسلوب، لا بد من فهم رؤية مصممه".

ويوافق الأميركي داريل سكوت المقيم بدوره في المنطقة رأي نورا، قائلا "إنها مثيرة للاهتمام، فهي مختلفة لكن على نحو إيجابي"، مشيرا إلى أنه "الأسلوب الذي يميز النجمة ليدي غاغا" التي سبق لها أن ارتدت تصميم حوراني.

122 عاما: العمر الأقصى للإنسان

❏ **باريس** – أظهرت دراسة نشرت نتائجها مجلة "نيتشر" البريطانية أن البشر بلغوا ربما المدة القصوى الممكنة للحياة، على الرغم من كون الأمد المتوقع للحياة سجل ازديادا مطردا في العقود الماضية.

وركز معدو الدراسة وهم باحثون أميركيون بقيادة جان فيغ، على السن القصوى التي تم بلوغها لدى سكان حوالي أربعين بلدا.

وأشار الباحثون إلى أن "نتائج دراستنا تدفع إلى الاعتقاد بقوة بأن المدة القصوى لحياة البشر ثابتة وتخضع لضغوط طبيعية"، وهذه ليست المرة الأولى التي يهتم فيها باحثون بهذه المسألة.

ففي سنة 2014، أظهرت دراسة فرنسية أن أمد الحياة المتوقع وصل إلى حدود قصوى منذ العديد من السنوات لدى الرياضيين من المستوى الرفيع، وكذلك الأمر لدى الأشخاص الذين تخطت أعمارهم الـ110 سنوات.

ولم يتمكن أي شخص من بلوغ أو تخطي الرقم القياسي في أمد الحياة المسجل للفرنسية جان كالمان التي توفيت سنة 1997 عن 122 عاما.

وعبر درس حالات المعمرين فوق سن مئة وعشر سنوات في أربعة بلدان (فرنسا واليابان وبريطانيا والولايات المتحدة)، اكتشف باحثون أميركيون أن السن القصوى عند الوفاة ازدادت سريعا بين 1970 و1990 قبل بلوغ حد أقصى سنة 1995. بعدها، بدأت هذه السن القصوى عند الوفاة تتراجع بشكل طفيف بواقع 0.38 عام سنويا بين 1995 و2006.

وأوضح براندون ميهولاند، وهو أحد معدي الدراسة، أنه منذ وفاة جان كالمان "فإن كل عمداء البشرية توفوا في سن تناهز 115 عاما، ونتوقع ألا يتغير هذا الوضع في المستقبل المنظور".

ولم يستبعد ميهولاند أن يعيش أحدهم عمرا أطول، غير أن فرصة بلوغ شخص ما سن الخامسة والعشرين بعد المئة باتت شبه معدومة .

وذكر الباحثون بأن أمد الحياة المتوقع ارتفع بدرجة كبيرة خلال القرن العشرين في موازاة تراجع سريع في معدلات الوفيات لدى الأطفال، إضافة إلى تحسين الظروف الصحية، لكن اليوم، ومع أن عددا متزايدا من الأشخاص يعيشون لأكثر من 70 عاما في حوالي أربعين بلدا تتوافر فيها البيانات، فإن ازدياد أمد الحياة لدى الأشخاص المسنين فوق سن المئة بلغ حده الأقصى قبل أن ينخفض اعتبارا من ثمانينات القرن الماضي.

ومع ذلك أقر الباحثون أن نتائجهم "تدفع إلى الاعتقاد، من دون أيّ إثبات، بأن أمد الحياة لدى البشر قد تكون له حدود طبيعية".

عودة لوحات قيّمة بعد عقد من الزمن على سرقتها

❏ **هورن (هولندا)** – احتفت مدينة هورن في شمال غرب هولندا الجمعة، بعودة خمسة أعمال لرسامين فلامنديين من القرنين السابع عشر والثامن عشر بعد 11 عاما على سرقتها من متحف محلي.

وقال مدير المتحف أد غيردينك بتأثر ظاهر "بعد 4320 يوما، نعم، كنا نعد الأيام (منذ سرقة اللوحات)، ها هي بيننا مجددا".

وتجمّع المئات من الأشخاص أمام متحف فستفرايس لمشاهدة إعادة اللوحات التي تم نقلها عبر شاحنة إلى الموقع. وكانت اللوحات الخمس المعادة من بين 24 لوحة و70 قطعة فضية سرقت في التاسع من يناير 2005، وفي حينها، كانت القيمة الإجمالية للوحات تقدر بعشرة ملايين يورو.

والأعمال هي عبارة عن لوحتين عائدتين للفنانين هندريك بوغارت وفلوريس فان شوتن، إضافة إلى عملين آخرين للرسام جاكوب فابن، كذلك ثمة لوحة خامسة للرسام إيساك أوفاتر تعود إلى سنة 1784 وتقدر قيمتها بحوالي 30 ألف يورو، كانت قد سلمت إلى السفارة الهولندية في كييف من جانب أوكراني اشتراها بحسن نية. وأشارت المتحدثة باسم المتحف كريستا فان هيس إلى أن هذه اللوحات الخمس "في حالة كارثية" ويتعيّن ترميمها، وتم إطلاق حملة تمويل تشاركي لهذه الغاية.

لقاء تقتحم الغناء

❏ **القاهرة** – قررت النجمة والممثلة المصرية لقاء الخميسي، بطلة "السيت كوم" المصري "راجل وست ستات" خوض تجربة الغناء للمرة الأولى، وذلك مع فرقة "فؤاد ومنيب" الموسيقية، إذ أعجبت بالموسيقى التي يقدمها الفريق، حيث ستشاركهما من خلال أغنية في حفلتيهما القادمتين، وخاصة أنها كانت ترغب في تقديم أغنية منذ فترة إلى أن جاءتها الفرصة.

وأجرت لقاء مؤخرا بروفات على الأغنية التي ستقدمها بصحبة الثنائي فؤاد ومنيب في أحد الأستوديوهات، إذ تقدم أغنية من تأليف الشاعر مصطفى حجازي وألحان أحمد منيب، وتغنيها بصحبة الفرقة في حفل الاثنين الـ10 من أكتوبر بمكتبة الإسكندرية، وفي حفل آخر الأربعاء الـ12 من نفس الشهر في ساقية الصاوي.

وكانت آخر أعمال لقاء الخميسي مسلسل "رأس الغول" مع النجم محمود عبدالعزيز، وهو من إخراج أحمد سمير فرج، والذي تم عرضه في شهر رمضان الماضي.

صباح العرب

حكيم مرزوقي

قصة واقعية جدا

❏ اسمي عبدالواحد وشقيقي التوأم اسمه عبدالأحد، مشكلتي الوحيدة هي أنّي لم أفترق يوما عن "سبب شقائي"، هذا الذي يسمونه "شقيقي" منذ رحم أمنا، لا لحبّ أو تعلق، فنحن نختلف في كل شيء ماعدا هذا الجسد الذي حلّ فيه رأسانا على شكل حرف (Y)، إنها عاهة خلقيّة نادرة، أو ما يسمى بالتوأم السيامي.

الرأس ذو الشعر الكثيف الذي يجاورني بشكل مزمن، رجل أمّي لا يتقن القراءة والكتابة، إنه يرمقني الآن مثل دابّة وأنا أخطّ إليكم هذه السطور، ويستعجلني في إتمام الكتابة لأفرغ له يدي للأكل والشرب وممارسة الرذائل التي أدمنها، مع أنّ معدتنا واحدة كما تعلمون.

تزعجني طبائع شقيقي إلى حدّ الفزع، فأنا متديّن وهو مارق فاسق، أنا محافظ وهو متحرّر من كل الضوابط، أنا حريص متقشف، وهو باسط اليد سليط اللسان، أنا أحبّ أن آوي إلى فراشي باكرا بعد صلاة العشاء، وهو يهوى السهر ومعاشرة الغانيات، لا أنكر أنّ صوته جميل وينفخ في آلة موسيقيّة تافهة، ويرفع الأوزان التي لا أقوى على حملها مع أنّ عضلاتنا واحدة.

صحيح أنّنا ننام على ذات الوسادة، لكننا طبعا لا نشترك في نفس الحلم، وكثيرا ما يجبر أحدنا الآخر على الاستيقاظ مرغما، إنّنا مختلفان في كل شيء إلى درجة أنّ لكل واحد أجهزته الخاصة كالتلفزيون والراديو والهاتف وغيرها، كما أنه ليست لنا نفس الصداقات.

كثيرا ما أوقعني هذا الجار المزمن في مشاكل كثيرة، كأن يستخدم حرمة جسدنا في مآرب لا ترضي الخالق، هو يدخن وأنا أصاب بضيق التنفس، هو يشرب المنكر وأنا أتقيأ، ولا أنكر أنّه أكثر ميلا منّي إلى رياضة المشي وكثرة الاستحمام والتأنق وإطالة النظر في المرآة، لكنّه استعراضيّ ومتعجرف يلبس على الموضة وأنا أفضّل ما خشن من لباس السلف الصالح.

يغازل النساء ويوقعهنّ في شراكه، أمّا أنا فانطوائيّ بطبعي، متلعثم وخجول، هو أعزب وأنا متزوّج من امرأتين، وقد سبق أن قال لي يوما بوقاحة إنّه لا يريد أن ينجب أطفالا لهم عمّ أصلع متخلّف، أمّا أنا فقد رزقني الله المال دون بنين.

هل تعلمون ماذا قال لي في هذه اللحظة، وأنا أكتب إليكم هذه السطور؟ قال "إذا لم تفرغ لي يدي الآن فسوف أضع هذا القلم في عينك وأنطحك رأسا يكسر هذين النظّارتين فوق أرنبة أنفك". طبعا أنا لم أردّ على رعونته تنفيذا لوصيّة أمّي التي أرضعتنا من ثدييها، ثمّ إنّي رئيسه في العمل، وهو مغتاظ منّي لأنّي أكلّفه بمهامّ شاقّة أثناء الدوام، وفضحته عندما شاهدته يمدّ يدي - عفوا يده - إلى جيب معطفي ويسرق النقود.

أفكر في طريقة للانتقام من هذا الكافر، فانصحوني ما العمل؟.. التوقيع: "أخوكم المعذّب عبدالواحد".

وضع مساعد التحقيق الورقة على طاولة رئيسه، وقال "سيدي، لم نجد غير هذه السطور أمام الجثّة ذات الرأسين وقد أمسكت كلّ يد برقبة الثاني".